أنيس منصور

كيف لا أبكى؟!



أنيس منصور

الحائز على جائزة مبارك فى الآداب

كيف لا أبكى؟!



العنوان: كيف لا أبكى؟!
المؤلف: أنيس منصور .
إشراف عام: داليا محمد إبراهيم .
تاريخ النشر: الطبعة الخامسة يوليو 2005م .
رقم الإيداع: 2004/ 5054
الترقيم الدولى: ISBN 977-14-2673-7

الإدارة العامة للنشر: 21 ش أحمد عرابى - المهندسين - الجيزة
ت: 3466434(02)-3472864 (02) فاكس:3462576 (02) ص.ب:21 إمبابة
البريد الإلكترونى للإدارة العامة للنشر: publishing@nahdetmisr.com

المطابع: 80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة السادس من أكتوبر
ت: 8330287 (02) - 8330289 (02) - فاكس: 8330296 (02)
البريد الإلكترونى للمطابع: press@nahdetmisr.com

مركز التوزيع الرئيسى: 18 ش كامل صدقى - الفجالة - القاهرة - ص . ب : 96 الفجالة - القاهرة.
ت : 5909827 (02) - 5908895 (02) - فاكس: 5903395 (02)

مركز خدمة العملاء: الرقم المجانى: 08002226222
البريد الإلكترونى لإدارة البيع: sales @nahdetmisr.com

مركز التوزيع بالإسكندرية: 408 طريق الحرية (رشدى)
ت: 5462090 (03)
مركز التوزيع بالمنصورة: 47 شارع عبد السلام عارف
ت: 2259675 (050)

نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
أسسها أحمد محمد إبراهيم سنة 1938

موقع الشركة على الإنترنت: www.nahdetmisr.com
موقع البيع على الإنترنت: www.enahda.com

كلمة أولى

هل تعرف (فيكى) . . طبعا لاتعرفها . . ماتت أو كأنها ماتت . . لقد هاجرت إلى البرازيل . وحكايتها طويلة . ولكنها كانت أول وجه أراه وأول صوت أسمعه يتلخبط منى الكلام . . بين العربية والفرنسية والأسبانية . . سمراء حلوة . . طويلة . . ما الذى كانت تقوله ونحن جالسان فى مطعم فى شارع سليمان باشا . . كانت تتكلم عن أشيائها الصغيرة . . إنها موظفة فى إحدى الشركات الإيطالية . . وكل شىء حولها له قصة وحكاية . . وهى مركز كل الحكايات . . كل شىء له أوصاف خاصة وكل شىء مشكلة . . أو كان من الممكن أن يكون كذلك لولا يقظتها وذكاؤها وستر ربنا . . وكانت فيكى متدينة . . وكان الصليب ذهبياً ماسياً على صدرها . .

وكنت أتسلى بكل ما تقول . . وأناقش بحماس وأندهش لهذه القدرة الهائلة على أن يتحول كل شىء إلى عمل أدبى أو عمل فنى . . فكل شىء له أوصاف وألوان . . كل شىء . . فهى لاتحكى وإنما هى تكتب وترسم أيضاً . فماذا قالت : ملأت أذنى وعينى بالحكايات وبالرقة والحرارة والأمل . . هى عندها أمل . . وهى على يقين من أننى سوف أكون شيئاً مهماً . ولا أعرف من أين جاء لها هذا اليقين . سألتها قالت : رأيت فى نومى . .

سألتها قالت لى : خالتى الفيرا فتحت لك الكوتشينة . .

سألتها قالت : رأيت فى المنام أن القديسة تريزه طلبت منى أن أزورها . . وزرتها وأضاءت الشموع ومددت يدى فى شنطتى وقد كتبت أسماء كثيرة كلٍ اسم على ورقة فكان اسمك أول اسم . . ومعنى ذلك أن مستقبلاً عظيماً ينتظرك . .

وهى على يقين تام من كل شىء . وحسدتها على نعمة الإيمان السهل القوى . .

كأنها ماتت منذ زمن طويل . ولم أصادف إلا نادرًا واحدة فى مثل صدقها وإيمانها العميق . .

فكيف لا أبكى عليها !

لا أعرف كيف يكون شكل الدنيا لو بقيت هيلجا . . ماذا جرى لها وماذا جرى لى بعدها . . التقينا أول مرة فى مدينة الشروك بجنوب النمسا . . لايهم كيف كان اللقاء . . ولكن هى التى تهم . . كيف أننى لم أحاول أن أعرفها . . أن أدور حولها . . أن أقول لها حكاية . . أن افتعل اهتماما وأنصب شبكة من الملاحظات والحكايات . . هى رأتنى وقالت لى : أنت تريد أن تعرفنى؟ فقلت : أتمنى ذلك . قالت : إذن نحن قد تعارفنا . هيا بنا . .

وانفتحت أمامنا شوارع المدينة ودروبها إلى الغابات وإلى الجبال . . ليلاً ونهارًا . . إلى دنيا لم أرها . . ولم أسمع ولم أقرأ ولم أتصور ولا تخيلت . هى تحمل سلة من التفاح والسندوتشات والنبيذ . . وأن نذهب إلى الغابة . . والحيوانات والطيور والنهر يتدفق والأضواء مخيفة . . مخيفة لى . . أما هى فوجهها الأبيض

وابتسامتها الحلوة . . وأسنانها الصغيرة والدم فى خديها وشفتيها وكل أضواء النجوم فى عينيها . . وانظر إليها أنها خلاصة الجمال والفن والحيوية الجرمانية . . ما أوصافها؟ ما سر الجمال فيها؟ ما الذى أعجبنى . . ما الذى سحرنى . . ما الذى أوجع قلبى وعقلى عليها . .

ما الذى كان منها . . ما الذى بقى منها . .

شىء عجيب عندما قررت هيلجا أن تعيش فى انجلترا لأن لها أقارب هناك . . كيف خلعت يدها من يدى . . كيف نزعت نفسها من قلبى . . كيف فتحت قلبى . . وبرقة ولطف وأدب اغلقته وراءها . . بهذه السهولة . . بهذه البساطة . . هل كانت كاذبة؟ أبدًا! هل كانت تؤدى دورًا وانتهى العرض المسرحى؟ أبدًا . .

إذن ماذا؟ إنها ظهرت واقتربت جدًا . . وأسعدها وأسعدنى ذلك . . ولكن ليست هذه الحياة التى تريدها . . إنها تريد أن تعيش وأن تعمل وأن تتزوج فى بريطانيا . . لا هى وعدت بشىء . .

ولا هى دفعتنى إلى وضع تريده ولا أريده . . إنها تعلم أننى سوف أبقي فى مصر لا حياة لى إلا بها وفيها . . وكان ذلك واضحاً تماماً . واحترمت آمالى واحترمت شجاعتها . .

وجاءنى خطاب وخطاب من بريطانيا تتحدث فيها عن حياتها الجديدة . . كأن لم تكن لها حياة قبل ذلك . . كأننى لم أكن أو أننى كنت بعض الوقت . . وليس من المعقول أن تبكى على الذى ذهب . . لقد ذهب ولكنه لم يختف . . ذهب ولكنه لم يمت . . وإنما بقى ذكرى لنا . . كما بقيت هى ذكرى جميلة . .

ونحن مختلفان . . أريد أن استوقفها بعض الوقت ، لأحزن وأبكى عليها . . ولكنها لاترى ذلك . . هى توقفت ونظرت ودمعت ولكن الحياة لاتنتهى . . ويجب ألا تنتهى . وإنما أنا صورة فى ألبوم حياتها . . تنظر إليها وتعيد النظر . . ثم تميل عليها تقبلها . . وقبلى صور . . ومن بعدى صور أخرى . .

كأن هيلجا ماتت . . فكيف لا أبكى عليها ؟ !

ولا أنت تعرف ماتيلدا التى درست الفلسفة مثلى . وتحب معظم الفلاسفة الذين أحببتهم . ولها رأى فى الدنيا والآخرة . . كأنها تردد ما فى دماغى . . والذى أتردد كثيرًا فى الحديث عنه . .

كانت تمشى فى شارع ناسيونالى فى روما . وكنت أبحث عن مكتبة . وظننتها فرنسية فسألتها باللغة الايطالية : إن كانت تتكلم الفرنسية . فتوقفت سعيدة وقالت : نعم . .

وكانت تدرس اللغة الفرنسية . ووجدت الحديث معى فرصة للتدريب عليها . . وكان لقاء . . وألف لقاء . . وكانت ماتيلدا مخطوبة لطيار . وهذا الطيار مقامر . وكاد يبدد أموالها . . وبعد أيام فى روما وفى برلين وفى مدن رايالو وبورتو فينو وسانت مرجرينا على الريفيرا الإيطالية استطاعت ماتيلدا أن تزرعنى فى حياتها وأن تزهر وتثمر فى قلبى وعقلى . . كيف؟ لا أعرف . . ولا كيف أننا نتكلم كثيرًا عن الزواج . بالضبط ما لا أريد ولا أحب .

وكنت عندما أصافحها وأعود إلى غرفتى . . أشعر أن الغرفة تضيق . . تضيق والأوكسجين ينسحب من الدنيا وأكاد أختنق بالدموع : ما ذنبها . . لماذا أنا تعيس ؟

في ذلك الوقت كانت عندى قضية عمرى هى : أن أكون شيئاً . فى عالم الصحافة والأدب . ولا شىء آخر يشغلنى أو يجب أن يشغلنى . . لا شىء . . لا حب ولا سياسة ولا دين . . لا شىء .

وجاءت الخطابات الجميلة التى تبعث بها من روما وتقول لى فيها : بعد أن قابلت البابا يوحنا الثالث والعشرين وقال لها . . وقالت له . . فهو أحد أقاربها . . وتفسر كلام البابا على أنه نبوءة لنا نحن الاثنان . . حياتنا معا .

وأنا أقول : أبدًا! ليس قبل أن أكون شيئاً . صحيح هى أجمل من فى الدنيا وما فى الدنيا . . ولكن ليس الزواج مستقبلا . . ولا هو مؤهل علمى . . أن أكون شيئاً مهماً هذا كل شىء فى الدنيا وبعد ذلك يجىء أى شىء آخر . .

وفى يوم طلبت منى أن يكون لى حساب فى بنك العمال فى روما . ولم أفهم . ولكنها فتحت لى حسابا . وضحكت كثيرًا . وفى يوم تلقيت خطابا من البنك يقول إنه قد تحول لحسابى ٥٠٠ مليون ليرة . أى ما يعادل نصف مليون جنيه - يا خبر أسود !

فسافرت إلى روما . وقابلت الصديق صلاح يوسف كامل مدير الأكاديمية . وقلت له إن ماتيلدا حولت لحسابى هذا المبلغ . ثم إنها اختفت . . وأغلب ظنى أنها هربت فلوسها حتى لا يستولى عليها خطيبها المقامر . .

وبدأت أبحث عن ماتيلدا . . ذهبت إلى صديقاتها فى (ديوان المحاسبة) فى ميدان سان سالفسترو . . واحدة قالت : عند خالتها فى مدينة بيروجه . . وإليك عنوانها . .

وذهبت . ولم أجدها . .

وواحدة قالت : إنها عند عمتها فى مدينة تارنتو فى أقصى الجنوب من إيطاليا . . والمسافة بين البلدين كالمسافة بين المنصورة وأسوان . والدنيا صيف . وقطارات ايطاليا المتجهة الى الجنوب شعبية جدًا . .

وفى تارنتو قالت لى عمتها : كان فى نيتها أن تجىء . . ولكن لسبب ليس واضحاً سافرت إلى برلين . وإليك عنوانها . .

وسافرت إلى برلين وإلى باريس . . أين أنت يا ماتيلدا . . أين أنت . . قلبى يتقطع عليك . . ولكن مستقبلى أهم . . وتذكرت (كهف العبقرية) فى الأساطير الجرمانية . . فمن حق أى أنسان أن يدخل الكهف بشرط . . أن يترك ذراعاً أو ساقاً أو عيناً . . وأنا لا أتردد ولن أتردد فى أن أفعل ذلك . . حتى لو كانت الضحية هى ماتيلدا . .

وفى العام التالى ذهبت مع صلاح يوسف كامل إلى وزارة العدل وكتبت شيكاً بالمبلغ الذى تركته ماتيلدا مع اسمها بالكامل وعناوين خالتها وعمتها وصديقاتها . .

وكرهت روما . .

وبعد عشر سنوات اتصل بى صلاح يوسف كامل وقال : وجدتها . .

– من ؟

– صاحبة ملايين الليرات . .

– أين ؟ فى عرضك فى طولك . . كيف وجدتها . . كيف

حالها . . تزوجت . . أين تسكن . . لاتزال جميلة . . ماذا قالت لك . . عنوانها . . تليفونها !

وبقية القصة لا يمكن وصفها . . فكيف لا أبكى عليها ؟ !

أما أجمل من رأيت فى الدنيا حتى اليوم فهى خالتى . . لا رأيت قبلها ولا بعدها . . لا صوتها ولا شكلها ولا لون بشرتها ولا جمالها ولا عطفها ولا حنانها . . لقد اختارها الموت لكى تقصف عمرى . . إنها أجمل وأحسن وأروع . . فيها كل الصفات الجميلة الرائعة فى أى قاموس وفى أية لغة . . كيف جمع الله كل هذه المعانى . . وكيف أنه اختارها . . كأن الله - سبحانه - قد وجدها كثيرة على الناس . . كثيرة علىَّ أنا بالذات - فالعالم الآخر أحق بها . .

عاشت خالتى كأنها ما عاشت . . وماتت كأنها ما ماتت . . فهى فى عينى وفى خيالى وفى قلبى وعقلى . . ما هذا الذى كانت تقوله خالتى وتقوله أمام أمى . . وكنت أصدقها . . كانت تقول وأنا نائم على صدرها : أنا أمك الحقيقية . .

وكنت أنظر إلى أمى وإلى خالتى ولا أفهم . . خالتى آية من آيات الله فى الجمال - وأمى هى أمى . . ولا أعرف كيف أن لى أمَين فى وقت واحد . . كيف أفتح عينى على وجه خالتى . . وآكل وأشرب معها . . وأمى لاتعترض ولا تندهش . . وأنا مأخوذ بالذى أرى والذى أسمع . .

ويوم قالت لى خالتى : تتجوزنى ؟

فقلت بسرعة : نعم . .

وكانت هذه نكتة العائلة والضيوف . وكانت تقول للناس :هذا عريسى . . ويسألوننى : أنت عريسها .

فأقول : نعم . .

والناس يضحكون من الطفل الذى تزوج خالته . .

وكبرت . . وخالتى كبرت . . وظلت جميلة طيبة رقيقة فى غاية الدفء . . إنها تعطى كل ما أطلب والذى لا أطلب . . ولم يحدث أن طلبت من أمى أى شىء . . ولكن أحب أمى وأحب خالتى . . ولا أعرف الفرق بين هذا الحب وذلك الحب . .

ولا أعرف معنى هذا الحب العميق . . ولا أوله ولا آخره . . وما الذى يمكن أن يحدث إذا سافرت إلى القاهرة لأدرس فى الجامعة وبقيت خالتى فى المنصورة . . لم أسأل . لم أفكر . فقد سحبتنى الجامعة من الدنيا كلها . . اختفت الدنيا . . اختفى كل الناس تقلصت كل الشوارع والبيوت . . فلم يبق إلا شارع واحد من بيتنا فى الزمالك إلى الجامعة . .

وأنا غرقان فى الجامعة فى الدراسة والكتب والقلق والفلسفة جاء من يقول : تعيش أنت . . خالتك ماتت !

يارب ارحمها . . ماتت؟ يعنى إيه؟ إزاى؟ ما السبب؟ لماذا؟ وأسئلة كثيرة لامعنى لها . . إلا أننى تصورت أنها باقية لاتموت . . وأن الله قد ادخرها لى . . حتى أفرغ من الدراسة فأجدها فى مكانها . . لأذهب اليها كلما اشتقت إلى قلبها الطيب وحضنها الدافىء وعطفها وأمومتها اللانهائية . .

لم أستطع أن أبكيها فى يوم فى شهر فى سنة . . وإنما ظللت أبكيها العمر كله . . فلم أر لها مثيلا فى أى شىء . .

فكيف لا أتحول دمعة فى عين الدنيا كلها ؟

أما الذى كان زلزالا له توابع كبيرة وصغيرة فهو يوم أن قابلت الأخت فرانشيكا . .

كنت أتردد على مكتبة (الدير الدومنيكى) فى شارع مصنع الطرابيش فى العباسية . . الشارع يبدأ بمدرسة الطائفة الإسرائيلية وينتهى بالدير الدومنيكى حيث الأب والصديق قنواتى والأب بولانجيه . . وكلاهما كان أستاذى فى دراسة الفلسفة المسيحية . . كانا فى غاية الرقة واللطف والصدق . . لا أنسى يوم قابلت الأب قنواتى فى روما . . وسألنى عن أى شىء أبحث . .

قلت له : قرأت إعلانا عن موسى حلاقة جديد . يمكن استخدامه شهورا . .

وكان ذلك سبباً فى أن نمشى معاً فى شوارع روما ساعتين حتى ذهبنا إلى المحل الذى يبيع للرهبان الكاثوليك بنصف السعر !

وفى يوم لمحت إحدى الراهبات تدخل الدير الدومنيكى . . كأننى أعرفها وعرفتها وقلت لها : أنتِ إيفون؟ وقالت لى : أنت أنيس؟

إيفون كانت أخت أحد أصدقائى فى مدرسة المنصورة الثانوية . . كانت حلوة . وكانت هى التى تقدم لنا الشاى والجاتوه . أما أمها الست أم فايز فكانت صديقة أمى . . وكانت أمّاً لكل أصدقاء ابنها فايز . . كانت أمنا جميعا . .

وفى حديقة الدير الدومنيكى قالت لى إيفون حكايتها . . ولما دخلت الدير غيروا اسمها إلى فرانشيسكا وحلقوا شعرها . . ولكن وجهها ازداد نورًا . وبشرتها اكثر نضارة . ما الذى يحدث لمن يدخل الدير؟ من أين يأتون بهذا النور فى العيون وهذا الصفاء فى الوجه . . وهذا النقاء فى الصوت . وبهذا الامتلاء . . لقد امتلأت نفوسهم وعقولهم ومعداتهم بعيدا عن هذه الدنيا . . امتلأت هناك ومن هناك . .

قلت لها : قولى لى يا إيفون ماذا حدث؟ ومتى ؟

وعرفت أن أمها ماتت . . وأن أخاها فايز مات فى حادث سيارة وكان قد تزوج قبل الحادث بأيام . . وكان لها أخ قد هاجر إلى كندا فعاد بسرعة ليستولى على ثروة الأب والأم ويطردها من البيت ليبقى هو وزوجته وأولاده . . فمن الطبيعى جداً أن تتجه إلى العالم الآخر . . فى الدير فى حضن السلام والصلاة والصفاء . .

قالت لى : أنت تصدقنى ؟

- طبعاً !

- هل تذكر يوم قلت لك : إننى أحبك ؟

- نعم . .

- وصدقتنى ؟

- لا . .

- لماذا ؟

- لم أعرف المعنى . . ولا كان عندى أى استعداد نفسى لذلك .

- هذا صحيح . . هل تعرف كم خطاباً أرسلت إليك .

- لا أعرف .

- مائة خطاب . .

- لم أتسلم واحدًا منها . .

- نعم . لأننى لم أبعث بها . . كتبتها وأخفيتها . هل تصدق أن معى بعض هذه الخطابات . .

ومدت يدها إلى أعماق ثوبها الأبيض وأخرجت لفة من الأوراق القديمة . واختارت واحدًا . وقالت ويدها ترتجف : لك . . لا تقرأه هنا . .

ونهضت واستودعتنى واختفت وظللت جامدًا فى مكانى . .

وفى البيت قرأت ما كتبته إيفون أو فرانشيسكا :

أنيس . . إن أول (علقة) من أمى كان سببها أننى قلت لها : أمنيتى فى الدنيا أن أتزوج أنيس . . الباقى يمكنك أن تعرفه . . فأنت مسلم وأنا كاثوليكية . . ونحن عيال . . ولكن أخى فايز هو الذى قال لى : أحسن واحد . . أحسن من أخ . . أنتِ على دينك وهو على دينه . . إيه يعنى؟ . . أنا شخصياً سوف أتزوج مسلمة . . وأغير دينى . . المهم : السعادة . . وكل الأديان تؤمن بإله واحد . . والباقى لا يهمنى . .

تعرف يا أنيس . . ما الذى جعلنى أحبك فى صمت شىء غريب جدًا . . فى يوم رحت أبحث عن أخى فايز فوجدتك أنت وفايز وكوهين ومخالى تحتضنون بعضكم البعض فى حب ومودة . . فى هذه اللحظة رأيت الحب . . بين المسلم واليهودى والمسيحى

ومخالى الملحد . . إنها لحظة حب . . لحظة صدق . . وأنت الذى جمعت هؤلاء الأصدقاء معاً . . أنت سبب هذا الجمع أنت مصدر هذا الصدق . . فى هذه اللحظة قلت لنفسى : إن هذا الزوج قادر على أن يجعل دنياى أوسع . . وأصدقائى من كل دين فلا نعرف إلا التسامح وإلا المحبة . . والله محبة . . وحكاية ثانية : هل تعرف أنك الوحيد الذى يقبل يد أمه . . رأيتك تقبل يد أمك وكأنك تسجد على كفها . . تصور . فى هذه اللحظة دخلت قلبى ولم تخرج . . هل تذكر أنك قلت لنا يوم عيد ميلاد فايز إنك قرأت قصة القديس إبيلار الذى أحب الراهبة هلويزا . . وكيف أنه ترك حياة الرهبانية وتزوج راهبة تركت الدير . . ورأى الاثنان أن الحب عبادة . . وأن الزواج عرس فى السماء . . وأن السعادة هى فى الحب والوفاء وتلك هى العبادة والبركة . . ويومها قلت لى ضاحكاً : سوف ندخل الدير ثم نهرب معاً !

هل تصدق أننى صدقتك . والله يا أنيس صدقتك . . وكتبت لك عشرين . . ثلاثين خطاباً أبارك هذا الحلم . ولم أبعث لك هذه الخطابات . . إنها كانت إنجيلا لحياتى أقّبله وأصلى له . . وأبكى عليه وعليك وعلينا . . وسوف أبكى ياحبيبى . . وسوف أنتظرك وأنا مؤمنة بأنك ستجىء يوماً . . ستجىء يوما - إيفون . .)

وكان يوماً طويلاً وليلاً أطول . . آه يا إيفون لو كان عندى وقت . . آه يا أيفون لو كنت قد ظهرت بعد ذلك . . ولكن الدنيا سودتها فى عينى : ألوف الكتب والنظريات والآراء والمذاهب . . كأننى أقيم فى كهف تحت هرم من الكتب . . فأنا لا أرى ولا أسمع ولا أتكلم . . أنا مأخوذ . . غرقان . .

ولما تخرجت فى الجامعة ذهبت إلى الدير الدومنيكى أسأل عن الأخت فرانشيسكا . لماذا؟ مجرد سؤال . . من يدرى دعوتها إلى . أن نجلس معاً . تقول وأنا أسمع وأقول . . فقال لى الأب قنواتى : أوه . . تأخرت كثيرًا جدًا إنها الآن فى أجمل مكان . . إنها فى مدينة أسيزى مدينة القديس فرانشيسكو ونحن أتباعه . . نحن الفرنسيسكان . .

وكان القديس فرانشيسكو قد جاء إلى مصر فى منتصف القرن الثالث عشر . . ويوم رأى رجلا يضرب كلباً حتى الموت لزم الفراش حتى كاد يموت . . فهو أكثر الناس حباً للحيوان . . وكان يسمح للحيوانات والطيور بأن تدخل الكنيسة فهى مخلوقات الله أيضا .

وبعد ١٥ عاماً من آخر لقاء مع الأخت فرانشيسكا ذهبت إليها فى مدينة (أسيرى) . وسألت عنها . وسألوبى : من أنت ؟ ولماذا؟ وما صلتك العائلية بها . . وأين كنت طوال هذا الوقت . . وغلبنى البكاء فتوقفت مديرة الدير عن الأسئلة الكثيرة التى كان لابد من أن توجهها لى . .

وجاءت إحدى الراهبات ورفعت رأسى ببطء خوفاً من أن أرى شيئاً يصدمنى . . ولم تكن هي وإنما زميلة لها طلبت منى أن أسير وراءها . ومضت فى مصر طويلاً جدًا جدًا . . هل كان كذلك أو أنه شعورى . . لم يكن ممرًا على سطح الأرض . . وإنما كأنه سرداب تحت الأرض . . ومشيت . وتحت شجرة فى الحديقة . . أشارت لى أن أجلس ومددت يدى إلى كوب من عصير البرتقال أبل ريقى . . وشممت رائحة أعرفها . . لا أعرف اسمها ولكن أتذكر هذه الرائحة . . الرائحة تجئ من ورائى وتلفت وكانت الأخت فرانشيسكا . .

وأشـارت لى أن أجلس . جلست . ورحت أنظر إلى وجـهـهـا . . لم يتغير شىء . . بادرتنى : أنا كبرت ؟

- أبدًا . .

- ازددت وزناً ؟

- أبدًا . .

- قرأت خطابى . .

- ياه . . إنتِ لسه فاكره . .

- كيف وجدته . .

- والله تعذبت كثيرًا جدًا يا إيفون . . يا فرانشيسكا . . بمنتهى الصراحة أنتِ غلطانه . .

- لماذا ؟

- كان لابد من أن تقولى . . قولى لى . .

- قلت لك كثيرًا . .

- متى ؟

- بينى وبين نفـسـى . . انتـهـى كل شىء . . أشكرك على الزيارة . . كـيف عـرفت أننى هنا . . لابد أنه الأب قنواتى . . هل تعـرف أنك أول واحـد يزورنى منذ جـئت إلى هذه المدينة المقـدسـة . . وكل زمـيـلاتى يردن رؤيتك والحـديث اليك . . إنهن جـمـيـعـاً يعـرفن مـاذا جـرى لى . . وكل واحـدة لهـا حكاية . . ومـأسـاة . . نعم مـأسـاة . . ولكن هنا العـلاج من كل داء . . هنا علاج الطمع والجشع والكذب والخوف والقلق . . هذا شعار القلوب الجريحة والعقول المرتابة . .

- قولى لى يافرانشيسكا . . هل من الممكن أن نجلس معا فى أى مكان آخر ؟ .

- ممكن . .

- متى ؟ . .

- أى يوم . . هل تعرف لماذا؟ أنا أقول لك . . إننى أرى منك ما كنت أنا فيه . . ما كنت أعانيه . . ولكنى الآن شفيت وأتمنى لك الشفاء من ألف داء . . إننى أصلى من أجلك وأدعو لك . . ولن أنسى ما حييت أنك تذكرتنى وسألت عنى . . وجئت . .

- وسوف أجىء .

- قل لى . . ماما ازيها . . وبابا . .

- بابا مات . . وماما لو تعرف أنك هنا . .

- هل تعرف أين خالتى صوفى . . وابن عمتى مرجريت . .؟

- لا . . ولكن من السهل أن أعرف . . وأن أقول لهم أين أنت الآن . . هل تحبين ذلك . .

- إذا لم يكن يضايقك . .

- متى أراك ؟

- غدًا .

- أين ؟

- فى أى مكان . .

- والتقينا فى الغد وبعد الغد . . وفى يوم قالت لى : لقد كان اعترافى طويلا بالأمس . . فقد عادت لى كل مشاعرى القديمة . .

وهذه خطيئة يجب أن استغفر عنها . . ثم إننى انشغلت من جديد . . والخطابات التى أودعتها فى خزانة الدير رجعت إليها ورحت أقرأ كل ما كتبت لك . . عدت إلى المنصورة . . وعدت أحلم بأننى أمشى فى شوارعها . . وأننى . . وأنك . . وأنا . .

وقابلتها وأهديتها . . وكتبت لها . . وقلت لها . . وقرأت لى شعراً بالإيطالية والفرنسية . . أودعتها فى صناديق ذهبية مع آيات من الكتاب المقدس . .

وفى الليل قابلت الأديب الإيطالى البرتو مورافيا . . ولم أشأ أن أعرض عليه حكايتى . . فهو رجل واقعى . . وكل شىء عنده يبدأ بالجنس وينتهى به . . وهو يهودى ملحد . . وأنا من أشد الناس إعجابا بموهبته الفنية . . وقد ترجمت له بعد ذلك أكثر من مائة قصة قصيرة . . وهو قد تزوج ثلاث مرات . . وسمعت رأيه فى زوجاته . . إننى - إذا قلت له حكايتى أو حكايتها - سوف يجعلنى نكتة . . وسوف أجد نفسى أضحوكة فى إحدى رواياته . .

مرة واحدة قلت له : إننى قلت لإحدى الإيطاليات أنت أدريانا- وهى بطلة رواية (فتاة من روما) إحدى روائع مورافيا . . وغضبت جدًا . .

فقال مورافيا : معها حق . . هل قرأت الرواية كلها .

قلت : لا . .

- إذن أنت شتمتها ! فأدريانا لم تكن الفتاة المثالية . . وإنما هى واحدة من ملايين من مخلفات الحرب العالمية الثانية . .

ولذلك لم أقل له السبب الحقيقى للحزن الشديد البادى على وجهى وصوتى . . ولما لاحظ ذلك قلت له : الإرهاق . .

لقد كانت فرانشيسكا كنزًا من المعانى ونافورة من المشاعر . . وشيئاً نادرًا من الحب والإيمان . . والصبر والسلوان .

وعلى مكتبى وجدت برقية من رئيسة الدير فى مدينة أسيزى .

تقول : مباركة الأخت فرانشيسكا انتقلت إلى الأمجاد السماوية . . عروساً عاشت عروساً ماتت صلِّى من أجلها . .

فكيف لا أبكى . . كيف لا أرسم الدموع على خدى دماً ؟ !

كنت فى روما جالسًا أمام التليفزيون عندما أعلن الصديق والتليفزيونى اللامع عماد الدين أديب : أن مصطفى أمين قد مات . .

أقفلت التليفزيون . لقد رأيت مصطفى أمين قبل سفرى . كانت حالته متدهورة . والأطباء إذا التفت إليهم هزوا رءوسهم بما معناه : كل شىء انتهى !

فلم تكن وفاته مفاجئة لأحد . .

شىء غريب أن أرتدى ملابسى وأنزل من فندق اكسلسيور فى شارع فنتو وأتجه إلى المقهى المواجه للفندق . انه (كافيه دى بارى) . . لماذا . لا أعرف . ولكن هناك سألت الجرسون العجوز : قل لى من فضلك . أنت تعرف الملك فاروق . . ملك مصر . .

- نعم .

- أين كان يجلس ؟

فأشار إلى أحد الأركان وقال : هناك . .

وجلست على كرسى الملك فاروق ورحت أنظر إلى فندق أكسلسيور وأتذكر ما الذى قاله مصطفى أمين عن الملك . . مدحاً له وهجوما عليه . . ثم أين الاثنان الآن؟ وماذا يقول أحدهما للآخر إذا التقيا . .

مات مصطفى أمين . . ومات على أمين وإحسان عبد القدوس وشهيد السلام يوسف السباعى ومات يوسف إدريس وموسى صبرى وعبد الوهاب وأم كلثوم ويوسف وهبى وتوفيق الحكيم والفيلسوف سارتر والأديبة سيمون دى بوفوار . . والأديبة جويس منصور التى لم أعرف أنها ماتت إلا عندما أرسل لى أستاذى د . عبد الرحمن بدوى بقصاصة من صحيفة (الفجارو) الفرنسية . ماتت وكان عندنا فكرة أن تكتب هى كيف كان لقاؤنا وأكتب أنا كيف كان اللقاء فى بيتها فى حفل حضره أغنى أغنياء مصر من اليهود - فجويس منصور يهودية وزوجها اسمه أنيس منصور !!

شىء غريب . .

ونزلت من الفندق فى الساعة الرابعة صباحاً واتجهت إلى آخر شارع فينتو . . إلى ميدان اسدرا . . ثم إلى محطة سكك حديد روما . . وهى أحب مكان لى . . كل محطات السكك الحديدية تهزنى وتثيرنى . . فحركة الناس لها هدف . . والقطار جالساً فى أبهة وفخامة شامخاً وله هدف . . الناس مختلفون فى كل شىء . ولكن يتفقون فى أن لهم هدفاً . . والقطار يغلى ويدخن . ولكن له خطة وله طريق من حديد . . وهو أمتع وسائل المواصلات فى الدنيا . . وشربت القهوة باللبن . . واستأنفت السير إلى شارع

ناسيونالى . . فميدان البندقية حيث كان موسولينى يخطب من بلكونة لاتزال موجودة . . ثم إلى شارع الكورسو - أى السباق - ثم إلى ميدان الشعب . . وهناك شربت فنجاناً آخر من القهوة . . وبعد ذلك اتجهت إلى حديقة (فيلا بيررجزا) واخترقتها إلى شارع فينتو . . وأجد الجرسونات لا يزالون يكنسون مقهى (الدونى) . . وجلست أمام المقهى وكان الهواء باردًا . ولم استطع . فدخلت المقهى وطلبت قهوة باللبن . . وجلست حزينا وتحت تأثير مرارة البن والبرودة والوحدة جعلت أتذكر كل الذين ماتوا . . وكيف أن كل واحد منهم قد أقفل نافذة فى قلبى . . وتذكرت أمى وخالتى ولم أقاوم الدموع . . وبحثت فى بنطلونى الجينز عن منديل . لم أجد . لا فى جيبى هذا ولا ذاك . . ونظرت أمامى أبحث عن منديل ورق . . عندما ظهر الجرسون وقال لى : أنا أعرف أنك تنزل فى الفندق المجاور لنا . . فإن لم تكن معك فلوس الآن . . فادفع أى وقت !

وبسرعة انفجرت ضاحكاً . . فقد ظن الرجل أننى أبكى لأننى نسيت الفلوس . . أو ليست معى فلوس !

وكان الرجل طيباً صادقاً فى هذا الذى قال . فتركت له البقشيش كأننى أؤكد له أن معى فلوساً كثيرة !

فكيف لا أبكى ؟

ولم أعد الآن قادرًا على البكاء . .

لا أستطيع أن أبكى على كل ما كان صادقاً وجميلاً فى

حياتى . . لقد اختصرت الوجوه . . وادخرت الدموع . . وأذهب إلى قبر أمى من حين أبكى عليها . . وعندها وعليها وعلى كل من كان وما كان . . وعندها . . وعلى ترابها لينبت شجر الصبار . . كيف لا أبكى ؟

لقد جفت الدموع والدماء . . لقد جفت الدنيا . . بعضها يودع بعضا . . صارت الدنيا مثل مدينة فى إجازة . . الأبواب أغلقت والنوافذ . . والناس تركوها والذين لم يتركوها عاكفون على أنفسهم وراء الأبواب . . فلا صوت ولا ضوء . . ولا رائحة . . كأن المصابيح هذه لها أخوة من النجوم والشموس قد ماتت . . فجاء الليل يرتدى السواد حداداً على الجميع . .

ولم يعد سؤالى : كيف لا أبكى ؟

بل : كيف يبكى بعض على بعضى . .

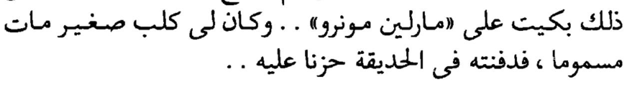
يومى على أمسى . . عقلى على قلبى . .

قلبى على عقلى . . قل لى كيف ؟

أنيس منصور

بل أبكى كثيرا !

١ بكيت على أمى وأستاذى «العقاد» وصديقى «كامل الشناوى» ، وحبيبى «عبد الحليم حافظ» والزعيم البارع «أنور السادات» . وقبل ذلك بكيت على «مارلين مونرو» . . وكان لى كلب صغير مات مسموما ، فدفنته فى الحديقة حزنا عليه . .



ولم أذرف دمعة واحدة ، على عشرات الألوف من ضحايا المعارك القبلية بين «الهوتو والتوتسى» . أسفت لذلك ولكن ليس من بينهم صديق أو قريب ، ولذلك لم تسعفنى دموعى . ولا أرى ذلك ممكنا ولو كان لى جار أمه أو ابنه أو أخوه أو زوجه هى أعظم سيدة فى العالم ، فإننى لا أجد سببا للبكاء عليها . فأنا لا أعرفها ولا هى شىء فى حياتى . . أو جزء منى ضاع . . بينما عندما ماتت أمى أحسست أننى تعريت تماما . . وأن الدنيا قد عادت إلى عصر الجليد . . كأن أموالى التى كانت فى خزائنى قد تبخرت . . أو سرقت . . وأن ذراعى وعينى وأنفى وأكثر من نصفى قد تلاشى

كـيف؟ لا أعــرف . وأمى هذه لا تمثل لك أنت أى شىء ، ولو عاشت أو ماتت ألف مرة فإن دمعة واحدة لاتنزل من عين أحد ولا هو من الضرورى .

(ولا مؤاخذة) لو ماتت كل كلاب الدنيا لأسفت لذلك . . كما أسفت للكلبة «لايكا» ، والتى ارتفعت إلى مالم يبلغه إنسان أو حيوان قبل ذلك فى دورانها حول الأرض . . وهى أول كائن يموت فى نعش إلكترونى يدور حول الناس . . يعنى النعش الذى هو المقبرة ، يدور حول ملايين الذين حزنوا لموتها . . ولكن كلبى الصغير ، الذى كان يلاحقنى ويتمسح فى جزمتى وينتظرنى لكى أطعمه وأسقيه وأرى السعادة فى عينيه . . وهو لايدرى كم أنا سعيد به . . ولو كان هذا الكلب يرد على التليفون لطلبته من أى مكان . . شىء عجيب فعنده قدرة فريدة على الشم . . فلا أكاد أقترب من البيت . . أى أكون على مسافة كيلو متر أو كيلو مترين حتى ينبح وينبح ويعرف من فى البيت أننى قادم وأنى على مسافة قريبة . . ولم يخطئ فى ذلك مطلقا وإذا وجدت الكلب يعوى ويصرخ ويلوذ بى . . ثم يهرب تحت المقاعد أو تحت السرير . كان ذلك دليلا على أن الحلاق ـ حلاق الكلاب ـ قد اقترب من البيت إنه لايحبه بالرغم من أنه يعامله بمنتهى الرفق . . أما ذلك اليوم الحزين الأليم ، فهو عندما أكل قطعة لحم عليها سموم للفئران فى بيت لنا نتردد عليه فى أوقات متباعدة .

ولا أريد أن أصف ما رأيته فى عينيه . . وهو لم ير ما فى عينى . . ولا أريد أن أحدثك عن الموت فى عينيه ، قبل أن يكون فى جسده . . وأنا لا أقوى على وصف ذلك . ومات ودفنته باكيا

وسط الحديقة . . ولم يختف الكلب من حياتى ، فإننى أحيانا ولا شعوريا أبحث عنه تحت المكتب . . أو عندما أفتح الباب ، أحترس حتى لايصطدم الباب برأسه . . وكل شىء يذكرنى به . . مات هو ولكن الإحساس به لم يمت!

وقد بكى الأستاذ «العقاد» على كلبه «بيجو» . . ورثاه بقصيدة رقيقة . وضحك بعض الناس من ذلك . وهم أحق بأن يضحك عليهم الناس . فهذه مشاعر خاصة شخصية عميقة تربط بين إنسان وحيوان أيا كان هذا الحيوان . .

وهناك من يحب القطط والفئران والثعابين ، والنسانيس ، والأبقار ، والخيول ، والحمام ، والببغاء ، والأوز ، والصقور . . إنه مزاج شخصى وعاطفة خاصة . .

وقد اندهش كثير من الأصدقاء والنقاد ، كيف أننى بكيت على «مارلين مونرو» . نعم حدث فأنا رأيتها فى أمريكا ولم يكن اللقاء طويلا ، ولم أر حتى الآن من هى أجمل منها ولا أرق وألطف ولا أكثر براءة . ولم تكن الحياة رحيمة معها . . فقد كانت حياتها قاسية . . فهى عاشت فى أحد الملاجئ . . وكانت أمها مجنونة والتقطها أحد المصورين ، واستغل جمالها وحاجتها إلى المال وصورها شبه عارية . . وعرفها المخرجون والمنتجون . . وظهرت على الشاشة محبوبة الجماهير فى كل الدنيا وماتزال . . وتزوجت كثيراً . وكانت تعاستها أكثر وأعمق .

ثم شاء حظها التعس أن تكون على صلة بالرئيس الأمريكى «كينيدى» وكان رجلا سافلا وأخوه كان أسفل ، وكذلك زوج أخته وقد اشتركوا فى قتلها عندما أغلقوا عليها الأبواب والنوافذ ، وتخلوا

عنها لتنفرد بها المخابرات الأمريكية وقتلتها بالسم . . وبعد «كينيدى» تزوجت الكاتب المسرحى «آرثر ميللر» . . الذى كان أسوأ وأحط من عرفت أجمل جميلات الدنيا . وعندما كتبت عنها وصفتها بأنها ساذجة وهى كذلك وقلت : إنها عبيطة ـ وهى كذلك وأن لديها إحساسا بأن الجميع أصحاب فضل عليها ، ولاتدرى أنهم كسبوا من ورائها الملايين ، فهى صاحبة الفضل عليهم جميعا . وليسوا هم . . ولكنه انفرد بها وحطم مفاتنها ومعنوياتها وجردها من ريشها الجميل ومن أحلامها البريئة . . وتركها مريضة بالخوف واليأس وسوء الظن . . وجاءت المخابرات الأمريكية وأكملت طريق العذاب والموت . . ويوم قالوا إنها تخلصت من نفسها ، قلت : بل هم «نحروها» . . نحروا الجمال الساحر والفتنة الباهرة . . مجرمون وحوش . . كلاب . . وبكيت عليها . .

ومايزال من آمالى بعد أن جمعت كل صورها وأفلامها ، وما صدر عنها من كتب أدبية وفنية ، أن أؤلف كتابا عنها . فعندى الكثير الذى أستطيع أن أقوله عنها . . وقد جمعت ذلك مما قرأت وممن قابلت من كواكب ونجوم عاشوا معها وبها وبكوا عليها ، ومايزالون يهزون رءوسهم ويمطون شفاههم حزنا وأسفا ، على أجمل من خلق الله ـ فكيف لا أبكى؟!

مصر.. ظلمت رجلين!



اثنان ظلمتهما مصر ظلم الحسن والحسين . إنهما الملك «فاروق» آخر ملوك مصر ، والرئيس «محمد نجيب» أول رؤساء جمهورية مصر .

الصحافة ظلمت الملك «فاروق» . .

و«جمال عبد الناصر» ظلم «محمد نجيب»!

أما الملك «فاروق» فقد كان وهو فى السابعة عشر من عمره يدرس فى بريطانيا . فجاء إلى مصر صغيرًا والتف حوله أولاد الحرام من رجال الحاشية المصريين والأجانب . ودللوا الملك الصغير . . ثم جاءت أمه الملكة «نازلى» ، وتكفلت بدفع الناس إلى كراهيته . . فقد كانت امرأة فاسدة مستهترة . وكان عاجزاً عن مقاومتها . وألقى الناس بكل المسئولية عليه ، وجعلوه مسئولا عن فسادها . وتزوج الملك «فاروق» صغيراً . وكانت زوجته الملكة «فريدة» أحب الناس إلى الشعب المصرى . وطلقها وكرهه الناس .

وتزوج «ناريمان» التى هى أقل جمالا . ويوم ولدت ابنه «أحمد فؤاد» اشتعلت الثورة فى مصر ضد «فاروق» وأسرة «محمد على» . وخرج «فاروق» من مصر ، وترك ابنه الرضيع ملكا على مصر وله وصى من الضباط الأحرار . وأعلن النظام الجمهورى . ولم يدر «أحمد فؤاد» أنه كان ملكا ، وأنه صار ملكا سابقا . وعرفت «أحمد فؤاد» ودعانى إلى العشاء مع زوجته «فضيلة» . . ودعوتهما أيضا . ورأيته عندما جاء إلى مصر وجلست إليه طويلا . وهو إنسان طيب يتمنى لو أعطته مصر جواز سفر ديبلوماسيا . . وسمحت له - كمصرى - بأن يكون له بيت . . وقد ولد اثنان من أولاده الثلاثة فى مصر . فهما مصريان . والابن الثالث ولد فى المغرب فصار مغربيا . .

عرفت من الأمير أحمد فؤاد - وهذا هو اسمه الآن - أن والده «فاروق» لم يشرب الخمر قط . وسألت الملكة «فريدة» فأكدت لى ذلك . . بينما نشرت الصحف المصرية أنه كان لايفيق . . بل إنه عندما مات قالت الصحف إنه مات مثل جده الخديو إسماعيل . وقد مات جده عندما وضع زجاجتى شمبانيا فى حلقه ليشربهما معا . فمات .

وسألت الفنانة الاستعراضية «سامية جمال» عن الملك «فاروق» ، فأقسمت أن كل الحكايات والروايات والغراميات والعربدة ، التى ألصقوها بفاروق غير صحيحة !

ولكن «فاروق» ملك حليوة ، فمن التى لاتلتفت إليه أو تحاول أن تجعله يلتفت إليها فى مصر أو خارجها . . وسألت سكرتيره الإيطالى «بوللى» : إن كان صحيحا أن قصر عابدين به ألف فتاة

إيطالية وفرنسية ، كلها فى انتظار إشارة من الملك «فاروق» فأقسم بأن هذا كله كـذب . وأنه أى الملك «فـاروق» رجل وطنى من الدرجة الأولى . . وأنه كره الاحتلال البريطانى . . وأنه يمقت السفير البريطانى . . وأنه لم يطلب إلى الإنجليز أن يحتلوا مصر لكى يظل جالسا على عرشها !!

وأنا قابلت الملكة «نازلى» ، فى ضاحية «بيفرلى هلزا» ، بالقرب من مدينة «هوليوود» سنة ١٩٥٩ . فقد أوفدتنى (أخبار اليوم) لهذه المقابلة . وسألتها ، وقالت : وحزنت على الهجوم العنيف الكاذب من الصحافة المصرية . وقالت : إنهم يقولون ما يعجبهم ، وأنا عاجزة عن الرد عليهم . .

فقالت . . وقالت . . وعندما وقفت أودعها ، قالت : من أعز الناس عندك؟ قلت : أمى . فقالت : وحياة أمك الغالية ألا تنشر كلمة واحدة من الذى دار بيننا على مدى خمس ساعات!

ولم أنشر كلمة واحدة مما قالت!

فقط أن الصحافة المصرية ظلمتها ظلماً شديداً . وظلمت ابنها «فاروق» وتخيلت قصصا وحكايات وهمية عن شخصه وعن غرامياته وانهياره الأخلاقى وخيانته السياسية لبلده!

ومنذ أيام أعلنت إيطالية جميلة اسمها «إيرما كابوتشى» أنها أرملته وأنها سوف تنشر مذكراته بعد وفاته بثلاثين عاما . . ومن العجيب أن صديقات «فاروق» هن اللاتى أنصفنه . فقد كان يبكى على وطنه . . وكان عنده أمل فى العودة . وقد قابلت صديقته الأمريكية «ميمى ميدار» . وأكدت لى أنه أى «فاروق»

كان كثير البكاء على وطنه . . أشد بكاء للظلم الواقع عليه . وعلى أسرته . . فلم يكن بهذا السوء ولا بهذه الحيوانية!

أما أول رئيس لمصر اللواء «محمد نجيب» ، فكُتب التاريخ التى ظهرت أيام «عبد الناصر» لم تذكره . كأنه لم يكن رئيسا لمصر . . بل إن هذه الكتب تنكر وتنفى أن يكون لمصر كلها تاريخ قبل الرئيس «عبد الناصر» . فهو أول التاريخ . . وقبله لا أهرامات ولا نهضة ولا فن ولا فكر ولا مصر التى جعلها (الجمهورية العربية المتحدة) . . فلا تاريخ لمصر . . ولا زعماء . . ولا شعراء . . ولا أدباء . . ولا كفاح . . ولا بطولة . . وحبس «محمد نجيب» هو وأولاده . . وفرض عليهم الجوع ، وإذا مات منهم أحد منع الآخرين من المشى فى جنازته . . جنازة الأم والبنت والولد . . حتى مات «محمد نجيب» ، الذى طلب أن يدفن فى مكان فى حديقة البيت ، الذى كان سجينا فيه . . أما هذا المكان ففى وسطه توجد لافتة مكتوب عليها (هنا يرقد أعز أصدقائى) . . إنها مقبرة كلاب الرئيس «محمد نجيب» هذه الكلاب ماتت من الجوع ، أو من الطعام المسموم ، الذى وضعه الحرس الجمهورى . . نفس السم الذى بعث به الرئيس «عبد الناصر» إلى أعز أصدقائه المشير «عبد الحكيم عامر» !

الزواج من واحدة كالزواج من أربع : كثير جدا !



معظم المصائب تحدث فى البيت ، ولذلك يسهر الناس بعيدًا !

* نصيحة : مهما كانت معاملتها ممتازة لك ، لابد أن تبدو متضايقا بعض الشىء !

* بعض الناس يرى أن السن المناسبة لزواج الرجل هى عندما يكبر ويدرك بوضوح أنه ما كان ينبغى أن يفعل ذلك !

* الذين يقولون لك أنهم لم يتشاجروا فى الأربعين عاما الماضية ، إما أنهم فقدوا الذاكرة ، أو أن حياتهم كانت من الغباوة بحيث لايجدون فيها سببا يستحق الذكر!

* عندما تتشاجر مع زوجتك لابد أن تبدو أنك متأكد جداً ، لا تعتذر عن أى شىء وإلا ندمت بعد ذلك !

* اتفق زوجان على عدم الخناقة إلا فى الموضوعات التى لها قيمة . أهم الخناقات كانت على معنى الذى له قيمة والذى لا قيمة له !

* ربما كانت أخطاء الرجل الأعزب أكثر جداً من أخطاء الرجل المتزوج ـ ولكن الأعزب لم يقع فى الغلطة الكبرى !

* الأعزب مثل حجر متحرك لاينبت عليه العشب !

* أفلام الرعب عند الرجل الأعزب ، تشبه حفلات الزفاف !

* الزواج من واحدة كالزواج من أربع : كثير جدا !

* الزوج الذى يتباهى بأنه لم يخن زوجته مرة واحدة ، له زوجة فعلت ذلك !

* الرجل الذى يتباهى بأنه سعيد فى زواجه بعد عشرين عاماً ، لم يصارحنا بأنه تزوج خمس مرات فى هذه الفترة !

* العقل هو الذى يطلبه الرجل فى المرأة ، لأنه لم يستخدمه عند اختيارها !

* مهما كان الطفل كائنا ضعيفا ، فهذا الضعيف هو الذى استطاع أن يجعل رجلا وامرأة يعودان إلى الحياة معا !

* العقل من الممكن أن يمنعك من الطلاق ، ومن الزواج أيضا !

* شىء غريب : لماذا يبدو الأزواج فى غاية الرقة مع الآخرين؟!

* عندما يقرر الإنسان أن يتزوج يكون هذا آخر قرار له بعد ذلك !

* أسباب تافهة جداً تؤدى إلى الزواج . . والطلاق أيضا !

* كلمات قليلة أمام المأذون تجد نفسك متزوجا ، وكلمات أقل أثناء النوم تجد نفسك مطلقا !

* يقع الطلاق بين اثنين ، كل منهما يحب نفسه أكثر من الآخر !

* كثير من الآباء لا يعد ابنته بالزواج ، ولكن من العين دى والعين دى عند الطلاق !

* كل الذين كانوا يحلمون سوف يندمون كثيرًا جدًا ، عندما يتزوجون واحدًا من هذه الأحلام !

* كعكة الزواج هى الطعام الوحيد الذى يصيبك بالإمساك مدى الحياة !

* الفلوس تباعد بين أعز الأصدقاء - وكذلك الزواج !

* لو كان القمار ممنوعا ما ركبنا السيارات الفخمة ، ولا تزوجنا !

* الرجل يفضلها شقراء ، إذا كانت زوجته سمراء !

* هناك طريقة واحدة حتى لا تراها جميلة : أن تتزوجها !

* عندما تتزوج الفتاة فلكى تكف عن لفت نظر الكثيرين من أجل واحد لايلتفت إليها!

* الفتاة تحب أن تتزوج رجلا يشبه والدها ، وهذا هو سر بكاء الأم فى ليلة زفاف ابنتها !

* الأم تقول لابنها : أتمنى أن يكون حظك مثل حظ أبيك لتجد عروسا مثلى . . وتقول لابنتها : أتمنى ألا يكون حظك مثل حظى فيكون عريسك مثل أبيك!

* الفتاة الآن هى التى تدير رأس الرجل بجمالها ، وتقلب معدته بطبيخها!

* زمان كانت المرأة تتذكر اللقاء الأول ، الآن لاتتذكر زوجها الأول!

* الإنسان يهرب من البيت مرتين فى حياته : مرة وهو طفل ومرة وهو زوج!

* أكبر دليل على أن شهر العسل قد انتهى هو أن تتوقف المرأة عن التفكير فى الفستان الذى سوف ترتديه ، ويتساءل الرجل إلى متى سوف يستمر كل ذلك!

* أفضل كثيراً جداً أن يسخر منك الناس لأنك لم تتزوج ، على أن يسخروا منك لأنك تزوجت!

* شىء واحد فى الدنيا ليست له نتيجة هو أن تتشاجر مع زوجتك!

* الرجل الذى يتباهى بأنه لم يكذب قط ، عنده زوجة تفعل ذلك كثيرا!

* العيلة هى ما يحاول الرجل أن يحصل عليها قبل الزواج ، والمرأة بعد الزواج .

* إذا كنت بليداً لدرجة أنك لاتستطيع أن تفكر لنفسك : فتزوج!

* كل الذين يطلبون النصيحة : أناس لم يتزوجوا!

* على الرغم من أن المرأة لاترتدى فستانًا ولوحده صحبتها ، فلا مانع عندها أن تخطف زوجها!

* فى كل مرة تنظر زوجتك فى المرآة تقول بصوت هامس : والله أنا خسارة فيك !

* قل لى من هو محاميك أقل لك من أنت!

* المرأة لاتكذب عادة ، إنها تكذب طبعا !

* الرجل : الحياء قبل الحياة!

* المرأة : الحياة قبل الحياء!

* الدنيا مليئة بالأكاذيب ـ والكارثة أن نصفها صحيح !

* الحياة قصيرة ، ولكنها ليست قصيرة لدرجة أنك لاتستطيع أن تحطم دماغ أية امرأة!

* الزوجة أمامى والأولاد خلفى : أليست هذه مأساة؟!

* مقلب : زوجتى الأولى جميلة مملة . . وزوجتى الثانية قبيحة مسلية!

* فى الزواج : أنت تتأخر كلما تقدمت!

* سعيد من لم يتزوج ، أسعد من لم يولد!

* اثنان يشعران بوحدة أليمة : من عاش وحده ، ومن يتزوج!

* الحب : حقنة بنج!

* الزواج : حقنة !

* الطلاق : بنج !

* الحب هو المرحلة المتوسطة بعد أن ترى فتاة جميلة وبعد أن تكتشف أنها لا فتاة ولا جميلة!

* الزواج هو انتقال اثنين من بيتين مختلفين إلى بيت واحد . . ثم إلى بيتين مرة أخرى!

* الزواج هو انتصار الخيال المجنون على الذكاء!

* لا . . الزواج ليس هذيانا تاما ، ولكن فيه كل عناصر الهذيان!

* من قال إن الحب أعمى . . إنه أعمى وأخرس وأصم!
* يحب زوجته من لايجد امرأة أخرى يحبها!
* التى نحبها لانفهمها ، والتى نفهمها لانحبها!
* حتى لاتتزوج - يجب أن تكون فى حالة حب دائم!
* الطريق إلى قلب المرأة يبدأ بجيبك عادة!
* الناس يرقصون دائما لكل من يطبل ويزمر له الحظ!
* الإنسان له ساقان إذا مشى ، أربع إذا تزوج!
* المرأة تدهشنى حقا : إذ كيف تثق فى امرأة أخرى!
* المرأة أحسن حظا من الرجل ، فهى لاتتزوج امرأة مثلها!
* كل المهذبين : أزواج فاشلون!
* ما الذى يفعله الأطباء ، إنهم يضعون أسماء جديدة لأمراض قديمة!
* اللهم احمنى من أصدقائى ، أما الأطباء فأنا كفيل بهم!
* الدواء من الأطباء ، والشفاء من الله!
* أجد صعوبة فى أن أتذكر ثلاثة أشياء : وجوه الناس ، وأسماءهم ، وشيئا ثالثاً لا أتذكره الآن !
* عندما تكون على حق فلا أحد يذكر ذلك ، عندما تخطئ فلا أحد ينسى ذلك!
* البخلاء ليسوا فقراء ، إنهم يموتون أغنياء!
* إذا أردت أن تعرف رأى الحظ فى الفلوس ، انظر إلى الذين يملكونها!

* صدقنى لاتوجد قلعة لاتستولى عليها الفلوس!

* تزوجها غنية . . فإذا أردت أن تقتلها فسوف تشترى لك المسدس أيضا!

* ينقطع كل لسان عندما يتكلم المذهب!

* الحرب تأكل الرجال ، الزواج يأكل المال والرجال!

* الحب : حلم اثنين !

* الزواج : نوم اثنين!

* الطلاق ، صحوة اثنين!

* كل الأديان توصى بالجار ، ونحن حريصون جميعاً على أن ننسى ذلك!

* أحب لجارك ما تحبه لنفسك . . بشرط أن تبقى النوافذ والأبواب مغلقة!

* لاتصدق ما تنشره الصحف ، ومالا تنشره أيضا!

* لم يعد عند الناس وقت للتفكير إنهم يصدقون ما تنشره الصحف!

* الصحف توزع بالعدل : الكذب وارتفاع ضغط الدم!

* ليس كل ما تعرفه الصحف يستحق النشر ، ولا كل ما يستحق النشر يستحق القراءة ، ولا كل ما يستحق القراءة يستحق التصديق!

* هذا الرجل ليس له رأى . . ولكن يتخذ الرأى المناسب فى الوقت المناسب!

* ونحن صغار نريد السعادة ولانجدها ، ونحن كبار نجدها ولانقدر على تكاليفها!

هذه النكت أضحكت عبد الناصر والسادات ومبارك !

٤ الرئيس السادات كان يضحك للنكتة . وكان يروى النكت التى تقال عنه . قال لى أنا شخصيا أن آخر نكتة سمعها هى أنه عندما يسافر فإنه يطلب من زوجته السيدة جيهان : يا جيهان هات لى العصايا والزبيبة!

سألنى الرئيس السادات عن آخر نكتة عنه هو . . ترددت ، ولكنه أصر .

قلت : بغبغان كل يوم يدخل الكنيسة وينقر إحدى اللوحات فتضايق منه القسيس . . ولم يعرف كيف يمنعه . . وأخيرا اهتدى إلى أن وضع فى الكنيسة كأسا من الخمر مع طبق جمبرى مسلوق . . فجاء البغبغان ونقر فى اللوحة وهجم على الجمبرى أكله ثم شرب الويسكى . وراح يترنح . .

فأمسكه القسيس وقال : إنت . مسكتك يا ابن الكلب . . أنا عاوز أعرف ملتك إيه . . الأقباط لايفعلون فعلتك هذه . .

والمسلمون لا يسكرون فى رمضان ، واليهود لا يأكلون الجمبرى . . فما هى ملتك؟!

فقال البغبغان : منوفى!!

وهنا ضحك السادات حتى كاد يسقط على الأرض وقال : أعوذ بالله . . الناس رأيهم فى المنوفية كده . . يا باى!!

والرئيس مبارك يضحك للنكت وأنا شخصيا قلت له الكثير من النكت فى أحلك الظروف . مثلا ونحن عائدون من إسرائيل بعد تقديم واجب العزاء فى رابين . قلت له : عندى نكتة يا ريس .

فسألنى : بتاعة مين ؟

قلت : بتاعتى . .

قال : قول .

قلت : كان هناك خلاف بين رابين وبيريز . . بيريز يقول إن الرئيس مبارك سوف يجىء إلى إسرائيل . . رابين قال : أبدا على جثتى!

وقد حدث!

ومرة قلت للرئيس مبارك أثناء رحلة طويلة مملة من تركيا إلى سوريا إلى ليبيا : يا ريس تعال أقعد معانا نضحك شوية بدلا من الهم اللى أنت فيه ليل نهار . . نفس الوجوه . . نفس الكلام . .

وبعد أن أقلعت الطائرة بعشر دقائق جاء الرئيس مبارك وقال : هه . .

قلت : اصبر شوية ياريس . . أما أشوف إيه اللى يتقال وإيه اللى ما يتقالشى . .

قلت له : دى حقيقة . . مش نكتة . . إحدى قريباتى كانت مريضة جدا . . ولم تشترك فى أية حفلة لمدة سنتين . . وأخيرا ذهبت لزفاف عروس . . وجاءت الراقصة وسلمت . وراحت ترقص ساعتين . فسألتنى قريبتى : قل لى . . هيه دى عندها كم سنة؟

قلت لها : هيه من سنك . . بس شوفى الحلال عامل فيك إيه . . وشوفى الحرام عامل فيها إيه؟!

وغيرها من النكت فى مناسبات كثيرة . .

أما الرئيس عبد الناصر فهو أول من أعلن «تجريم» النكت . . أو تأثيم النكت . فقد طلب من الشعب المصرى فى أعقاب النكسة أن يكف عن السخرية من الجيش المصرى الذى هزمه عبد الناصر فى ١٩٦٧ ـ هزمه قبل أن تهزمه إسرائيل . يكفى أنه لم يكن مستعدا لأى شىء!

ولم تتوقف النكت .

وأنا شخصيا عندما طلبت إلى الرئيس السادات أن يطلعنى على الملف الخاص بى فى أجهزة الأمن ، وجدت ألوف النكت منسوبة إلىَّ . . وليست كلها من صنعى . . فأنا أؤلف النكت وكنت أشترك مع وزير الثقافة الصعيدى المرحوم أحمد رضوان فى تأليف النكت .

ولكن النكتة التى لم ينسبها لى الرئيس عبد الناصر هى : أن شخصا كان يجلس على المقهى . ويشترى الجريدة وينظر فى الصفحة الأولى ثم يبصق عليها ويلقى بها على الأرض . . فلاحظ ذلك أحد رواد المقهى فسأله : قل لى من فضلك أنا مش فاهم إنت بتقرأ فى الجورنال إيه؟

قال : الوفيات .

فرد عليه : ولكن الوفيات فى الصفحات الداخلية . .

فقال له : ولكن اللى فى بالى لن يموت إلا فى الصفحة الأولى!

أما النكت التى صنعها الرئيس عبد الناصر وكنت طرفا فيها وأضحكته وسمعته وهو يضحك فهى : أن الأستاذ محمد حسنين هيكل قال لى ، وكنت مفصولا من عملى فى الصحافة عندما كنت رئيسا لتحرير مجلة «الجيل» ومدرسا للفلسفة بكلية الآداب ، فقد قال لى هيكل : الرئيس قرر عودتك إلى عملك . . لكن لا بد أن تذهب للوزير كمال رفعت المسئول عن مؤسسة «أخبار اليوم» وتعتذر له . .

أعتذر عن أننى كتبت مقالا هاجمت فيه الرئيس جمال عبد الناصر .

وقال لى هيكل : إن الرئيس عبد الناصر يريد أن يعرف بالضبط ما الذى سوف يفعله كمال رفعت . فالرئيس قرر عودتك إلى عملك . . لكن يريد أن يعرف كيف يتصرف كمال رفعت؟!

وذهبت إلى مكتب الوزير كمال رفعت . وقال لى : تشرب إيه؟

قلت : ليمون .

والتفت الوزير يقول لى : هه . . إنت إزيّك؟

قلت : يا سيادة الوزير أنا لا دخل لى فيما حدث . . إنتم عاوزين تشنقوا مصطفى أمين وعلى أمين . . وهناك خناقة بينهم وبينك وبينهم وبين أمين شاكر الذى صدرت إليه تعليمات ببهدلة مصطفى أمين وعلى أمين وأخبار اليوم كلها . . أنا لا دخل لى فى

ذلك . . أنا زى واحد بيجرى وراء الأتوبيس بجوار بنك بيسرقوه فمسكونى!

فضحك الوزير ، وقال لى : خلاص ارجع لشغلك .

وعدت إلى مكتبى فى «أخبار اليوم» ومعى على إسماعيل الإمبابى قد وضع جهاز دكتافون فى مكاتب رؤساء التحرير ليسمع ماذا يجرى فى كل مكتب - شىء إرهابى فظيع لا نظير له ولا فى روسيا الشيوعية!

وأول شىء عملته عندما عدت إلى مكتبى هو أننى قطعت أسلاك جهاز الدكتافون وألقيته فى سلة المهملات . عندما دق جرس التليفون ، وكان المتحدث محمد حسنين هيكل وقال لى : تعال . . الرئيس منتظر أن يعرف ماذا حدث . .

- أين أنت ؟

- قال : أنا فى بيت على أمين .

وذهبت ووجدت على أمين ومصطفى أمين وعبد الحليم حافظ وشادية وفاتن حمامة ومحمد عبد الوهاب وكمال الطويل . وقلت لهيكل : ماذا حدث؟ فضحك . وطلب الرئيس جمال عبد الناصر . . وتسللت إلى غرفة داخلية وسمعت صوت الرئيس عبد الناصر وهو يضحك على أننى كنت أجرى وراء الأتوبيس عندما سطا اللصوص على أحد البنوك فأمسكوا بى . . وكان الرئيس عبد الناصر لايعرف كيف يضحك . . وإنما يطلق هسيسا هكذا : اسى . . اسى . . اسى . . هسى . .

المهم أن الرئيس كان محتاجا إلى نكتة صنعها وسمعها وأسعدته . . وأسعدنى أيضا!

صديقنا الكبير كامل الشناوى ملك القفش والتشنيع وأكبر مصنع للنكت وأسرع أيضا . وهو يستطيع فى الجلسة الواحدة أن يقول مائة قفشة كل واحدة نكتة . . وهو نفسه الذى ينقل النكت إلى الجهات الأصلية الأربع فى القاهرة . . فإذا قال عليك نكتة تولى هو نشرها . ففى ساعات تجد نفسك ـ دون أن تدرى ـ أضحوكة الأمة العربية من الخليج إلى المحيط . كيف؟ إنه كامل الشناوى!

كان مفتونا بفتاة جميلة تعمل فى هيلتون . وكانت عيناها جميلتين فكان يقول لها : عينيك بتوجعنى!

ولم تفهم هذا التعبير الجميل فكانت تقول : عينى أنا توجعنى أنا!!

فيحزن كامل الشناوى ويقول لها : أشرح لك إزاى . . أعمل إيه . . فالله الذى أعطاك الجمال ، لم يعطك إلا القليل جدًا من الذكاء!

وكان كلما سألنى : فين عربيتك؟

فأقول : عند الميكانيكى !

وفى إحدى المرات قال : أنا عاوز أسألك العربية دى بتكلفك أد إيه تاكسيات!

ومرة ركب سيارتى وكان الزجاج الأمامى محطما كله . . ففوجئت به يخرج منديلا من جيبه وينفض الزجاج الذى ليس موجودا . .

فقلت له : إيه ده يا كامل بك!

قال : يا أخى الفراغ وسخ!

ركب معى سيارتى وكنت أتحرك ببطء فقال : إن عربات الكارو التى تمشى إلى جوارك لها صوت الطائرات النفاثة!

يعنى إلى هذه الدرجة سيارتى بطيئة!

ولكن كامل الشناوى الذى يخترع النكت يضيق بالنكت . ففى إحدى المرات وجدته وحده ، وهو كان سمينا بدينا جدا . فقلت له : الله . . إنت «منعقد» يا كامل بك!

وغضب كامل الشناوى وأمضيت شهورًا أصالحه ـ مع أننى لم أفعل مرة واحدة ما يقوم به ألف مرة كل يوم!

وفى إحدى المرات دخل مكتب محمد حسنين هيكل وكان وقتها رئيسا لتحرير «آخر ساعة» فوجده يضحك فى التليفون يقرأ مقالا كتبته أنا عن كامل الشناوى . . وعلى الطرف الآخر من التليفون كان الرئيس عبد الناصر!

وكان هذا هو الغضب الكبير بيننا . . مع أن المقال الذى أضحك الرئيس كان فى جريدة اسمها «أخبار الدار» وهى صحيفة يكتبها المحررون فى «أخبار اليوم» عن بعضهم البعض . وكتبت مقالا عن كامل الشناوى عنوانه : كامل ب . دى ميل (على وزن سيسل ب . دى ميل) المخرج الأمريكى العالمى . . وقلت إن كامل الشناوى يزغزغ أصدقاءه بسكين . يضحكهم ويبكيهم فى وقت واحد!

وأول رئيس جمهورية كان محمد نجيب وكان كثير الكلام . . وكانت لهجته سودانية . .

فقال كامل الشناوى : إن الناس ضاقت بهذه الخطب الطويلة . .

فكانوا إذا سمعوه يتكلم فى البرنامج العام تحولوا إلى «صوت العرب» . . فإذا تحولوا إليها سمعوا واحدا يشخط ويقول : ارجعوا للبرنامج العام!

سمع عبد الناصر هذه النكتة فكاد يموت من الضحك!

عندما حصلت على جائزة الدولة التشجيعية فى أدب الرحلات سنة ١٩٦٣ . وذهبت أتسلم جائزتى من الرئيس عبد الناصر . كانت هيئتى هكذا :

فى الصباح ذهبت إلى حلاق «أخبار اليوم» . جلست أقرأ الصحيفة . سألنى الحلاق كيف يكون شعرى . . قصير . . قصير جدا . . أو كما هو . .

فقلت : إن شاء الله تحلق لى ظلبطة!

ورقعت بالصوت عندما طلب منى الحلاق أن أنظر فى المرآة . . فعلا كنت ظلبطة ـ يا نهار أسود!

وذهبت ظلبطة لأتسلم جائزتى من الرئيس عبد الناصر . ولم أكد أصعد إلى المنصة حتى سمعت صديقى د . قدرى طوقان وزير خارجية الأردن يقول : أنيس الله يخرب بيتك انت مسلم؟!

فقد نادوا على اسمى هكذا : الأستاذ أنيس محمد منصور . .

وكان قدرى طوقان صديقى من عشر سنين . ولم يخطر على باله أننى مسلم . . ففوجىء بذلك . .

ومفاجأة أخرى : التفت الرئيس إلى يوسف السباعى وسأله إن كنت أنا شيوعيا . فقال له يوسف السباعى : ده واحد تانى . .

اسمه عبد العظيم أنيس . . لكن أنيس منصور ده وجودى . . ضد الشيوعية!

ونشرت «أخبار اليوم» تقول : إن الجماهير صفقت لاثنين أكبر تصفيق أنيس منصور ومحمد عبد المطلب!

وفوجئت بمقال لمصطفى أمين يقول : إن أنيس منصور ذكى لدرجة الغباء وغبى لدرجة الذكاء!

وأدهشنى ذلك جدا!!

فكتبت لمصطفى أمين خطابا وتركت مكتبى عائدا إلى البيت . فى الخطاب : عزيزى الأستاذ مصطفى أمين بذكائى أشكرك وبغبائى أكرر الشكر!

وفى الظهيرة . . وكنت أسكن فى بيت أمام مسجد السلطان أبو العلا فى الدور السادس ولا يوجد عندنا أسانسير ـ وجدت على أمين . . لقد أرهقه السلم الطويل الرأسى وعلى أمين كان سمينا جدا . . ووجدت فى ذلك اعتذارا كافيا وعدت إلى عملى صديقا جدا لعلى أمين ولست كذلك لمصطفى أمين!

فقد كان هناك رأى بأن تحصل «أخبار اليوم» على جائزة أدب الرحلات لأنها التى بعثت بى أدور حول العالم أسجل رحلتى الشهيرة أول وآخر رحلة يقوم بها أديب حول العالم دورة كاملة فى ٢٢٨ يوما . وقد سجلتها فى كتابى «حول العالم فى ٢٠٠ يوم» .

فالطيارون أكثر منى سفرًا . ولكن الجائزة ليست عن السفر ، ولكن عن أدب السفر . . وليست لمن دفع تكاليف الرحلة ، ولكن لمن وصف الرحلة فى أدب جميل . وكتابى هذا بشهادة اليونسكو أكثر الكتب العربية انتشارا منذ سنة ١٩٦٣ حتى الآن!

ولما نقلوا للرئيس عبد الناصر هذا الموقف قال : خليه يشرب . . دول مصطفى أمين وعلى أمين على حقيقتهم!

كانت «لبنى عبد العزيز» قد قامت ببطولة أول فيلم لها وقدمت لها حقيبة اليد الجلدية التى ظهرت بها . وهى هدية من شركة «باير» الألمانية . وتفاءلت بهذه الشنطة فاحتفظت بها ونسيت أن تشكرنى على ذلك . ولكن الذى شكرنى نيابة عنها صديقى العالم الأثرى كمال الملاخ . . وهو الفرعون الذى يعبد نفرتيتى الجديدة ـ لبنى عبد العزيز .

ورأيت الفيلم وكتبت عنه . وجاءنى كمال الملاخ ليرى ماذا كتبت عن صديقتنا . وقرأ لها المقال فى التليفون وبكت لبنى عبد العزيز . . فهى لاتطيق النكت ولا الهزار العلنى معها . . ولاتتوقع ذلك منى . . قلت عنها : إن لبنى عبد العزيز فى هذا الفيلم (كالأرصدة الإسترلينية المجمدة) وأنا أتوقع الإفراج عنها فى أفلام قادمة .

وفى ذلك الوقت كان الدكتور القيسونى وزير المالية مشغولا بأرصدتنا المجمدة فى بريطانيا . .

وعندما كان الملاخ يقرأ مقالى للبنى عبد العزيز فى التليفون مر على أمين . ولاحظ بسرعة وذكاء خارق أن كمال الملاخ قد نشر أمامه مقالى وراح يقرأ فى التليفون . .

وفى الصباح عدت إلى مقالى فوجدت كل الذى قمت بتغييره وبعد إلحاح إرضاء لكمال الملاخ ولبنى عبد العزيز كما هو دون تغيير!!

وكنا فى الليلة السابقة على صدور المقال قد أمضينا سهرة جميلة احتفالا بالمقال المعدل بما يرضى لبنى عبد العزيز .

حـاولت الاتصـال بعلى أمين لم أجـده لا فى البـيت ولا فى المكتب ، ثم وجدته وأخاه مصطفى أمين . لم يكادا يريانى حتى أغرقا فى الضحك .

إنه مقلب فظيع !

فماذا حدث ؟

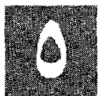
حدث أن ذهب على أمين لسكرتير تحرير الأخبار وقال له : ينشر المقال كـما هو دون تعديل . . أما التعديلات التى طلبها الملاخ واستجاب لها أنيس منصور فلا تنشر!

ولم يكتف على أمين ملك الصحافة والعقل المفكر وراء رسومات رخا وصاروخان بهذا المقلب ، بل أرسل خطابا إلى محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام ، وكان الملاخ قد انتقل من الأخبار إلى الأهرام يقول فيه : لقد لاحظنا أن محرر الأهرام كمال الملاخ يضغط على أنيس منصور من أجل تزوير الحقيقة . . ظننا منه أن هذه هى الطريقة التى يستطيع أن يقنع لبنى عبد العزيز بحبه لها . وإن لم يكن الملاخ يعرف غير هذه الطريقة فأنا أستطيع أن أدله على طرق أخرى!

مصيبة سوداء . وطبعا هذه النكتة انتقلت بكاملها إلى الرئيس جمال عبد الناصر لكى يضحك . وضحك . فما كان من محمد حسنين هيكل إلا أن طلب من الملاخ أن يرد على خطاب على أمين .

ولم يرد الملاخ وإنما بعث باستقالته من الأهرام!

يبذرون الحب.. وينتظرون الثمار من الرب!!



لم يكن عمرو بن العاص سياسيًا ذكيًا داهية فقط ، ولا قائداً عسكريًا واعيًا فحسب ، وإنما كان طبيبا بارعاً أيضا . . فعندما جاء إلى مصر ورأى النيل والأرض الخضراء الفسيحة ، بهره الماء الكثير والحدائق والحقول . . ولكنه ذهب إلى أبعد من ذلك . . إلى أعمق . . إلى الحقيقة التى نعرفها ونظن أن أحدًا غيرنا لايعرفها . . ولذلك فنحن نمعن فى تغطيتها والتستر عليها والصمت بعد ذلك!

فقد بعث بخطاب إلى الخليفة عمر بن الخطاب يقول فيه : إن مصر عرضها شهر وطولها عشر . . وإنها خضراء مزهرة مثمرة . . جنة . . ولكن الفلاح المصرى يلقى الحب وينتظر الثمار من الرب - بس كده - !

يريد أن يقول : إن الفلاح المصرى سلبى تماما . . فهو يسوى الأرض ويحرثها ويلقى البذور . . ويجلس إلى جوار الحائط تاركا لعوامل الطبيعة أن تقوم نيابة عنه بالباقى والباقى هو كيمياء

الحياة . . عوامل النمو الموجودة فى التراث والغازات الموجودة فى الجو وأشعة الشمس . . كلها تتعاون فى نظام وحكمة إلهية فى تفجير الحياة من البذور التى ألقاها الفلاح وتركها لله . . وهو جالس متوكل على الله . . أو متواكل فى حالة سلبية مطلقة . .

وكلام عمرو بن العاص قديم من ١٤ قرنا . . ولكن المعنى لم يتغير . . فلا نزال كما وصفنا عمرو بن العاص فلاحين ، نقوم ببعض العمل ونترك للظروف أن تكمل هذه المهمة . . فدورنا فى الحياة متواضع جدا ، ونحن راضون به . ولذلك فعجلة التقدم مغروزة فى طين السلبية ومطبات الأمية الوبائية . .

وقد غضبنا ولكنها حقيقة ، والحقيقة لا ترضى أحدا . . لأنها فضيحة تاريخية!

وجاءت الحملة الفرنسية . . وطلب نابليون من عدد من الشبان النابهين أن يقدموا له بطاقة شخصية لمصر . . أو صورة ملونة بالأشعة لأعماق مصر . . وقد أنجز شباب الحملة الفرنسية وعباقرتها هذه المهمة الجبارة ، فكان كتابهم الشهير «وصف مصر» . . ففى هذا الكتاب سجلوا تاريخ مصر الأثرى والجغرافى والجيولوجى وعوالم النبات والحيوان والعادات والتقاليد . . وأثر كل ذلك على المواطن المصرى . .

ولهم دراسات فى غاية العمق والصدق . . فهم يحللون الشخصية المصرية ، ويلمسون أعماق الأعماق بمنتهى الدقة والسهولة . . والصدق أيضا . فهم نظروا إلى وجه الفلاح المصرى . . واندهشوا . . فما الذى أدهشهم؟ أدهشهم أنهم لايجدون أى تعبير على وجهه . . ولكن لماذا؟ لأن الفلاح المصرى بسبب القهر الطويل

الذى تعرض له من قوات الاحتلال عصرا بعد عصر ، جيشا بعد جيش ، تعلم ـ بسبب الخوف ـ أن يخفى مشاعره . . أن يتقبل المصائب فى صمت . . فهو خائف إذا تألم أن يلقى عذابا أكبر ، وخائف إذا تظاهر بعدم المبالاة أن يلقى عذابا أكثر . . فاستسلم . . وجرد وجهه من كل علامات الغضب والسخط . . وذاب كل ذلك فى وجه لا معالم له . . كأنه غسل بالطين . فجعل من نفسه تمثالا نصفيا لانعدام المعنى والشعور . .

ويقول علماء الحملة الفرنسية : ولكن المصرى ليس سلبيا هكذا . . إنه خبيث ، وهو يشغل وقته فى التفكير فى نهاية هذا الكابوس الذى يحتل بلاده . . فقد احتلها الإغريق والرومان والفرس والأتراك والمماليك والفرنسيون ومن بعدهم والإنجليز . . واحتل اليهود سيناء . . والمصرى راض بالنهاية ؛ نهاية القوى الغاصبة الغاشمة . . كلها جاءت . . وكما جاءت خرجت . . وهو باق فى مكانه . . صامت . . صامد . . يخفى مشاعره فى قلبه . . ولكنه يفكر فى الخلاص . . وقد وقف الزمن إلى جواره فخرج الغزاة جميعا ، ولكنهم تركوا فى أعماقه الخوف واليأس والاستسلام والتواكل والإيمان المطلق بأن الفرج قادم . . وأن دولة الظلم ساعة ، ودولة العدل إلى قيام الساعة . . والغزاة يتصورون أن هذه هى نهاية المصريين . . ويمضى الزمن ويكون الزمن تكذيبا مستمرا لكل أوهام الغزاة الغاصبين . . وكل الطغاة . . من المصريين أيضا . التاريخ علم المصريين ذلك . . وهم آمنوا به . . وإن كانوا غير قادرين على التعبير بوضوح . . وعدم الوضوح سببه : الخوف واليأس والاستسلام والتواكل . لماذا ؟

لأن القهر والظلم والفقر والجوع والهوان قد عمّق فيهم الرضا والسكوت . . كأنه لا أمل فى شىء . . أو فى أحد!!

يقول المؤرخ الفرنسى هنرى لوفافر : إن المصريين فى كل العصور رفضوا أن يحكمهم ملكات مثل كليوباترا وحتشبسوت ونفرتارى . . وذلك قبل الإسلام الذى لا يفضل أن يكون الحاكم امرأة . . ولذلك ثار رجال الدين على الملكة شجرة الدر التى حكمت أثناء مرض زوجها . . وقتلت زوجها الثانى . . وقتلتها أرملة زوجها الأول . . لقد قامت امرأتان بتصفية كل منهما الأخرى . والمعنى : إن المواطن المصرى ـ وإن كان قد عزف عن الكلام والقتل ـ لم يتنكر لرجولته ، لأنه قد رضى بالذل بعض الوقت . . والظلم أيضا . .

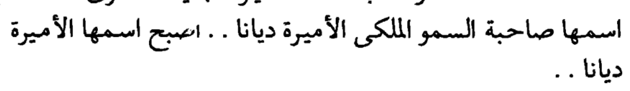
ولكنه يطيق ظلم الرجل . . ولا يطيق عدل المرأة . .

أى أن الظلم رجل ، والتخلص من الظلم يجب أن يكون رجلا أيضا . .

وفى كتاب الشيخ عبد الرحمن الجبرتى كثير من الصفحات تدل على غضب المصريين ، وعلى غضبه هو من المصريين . . ولكن فى مواجهة الاحتلال الفرنسى . . لم يسكت المصريون . . وعبروا عن الغضب بأساليب العصر . . وخرج الفرنسيون وجاء من بعدهم الإنجليز . . وخرج الإنجليز أيضا .

فهناك دائما غضب . . ويكون غضب المصريين من المصريين . . وعليهم . . ثم يكون ضيق بالغضب والغاضبين . . وهذا هو كل تاريخ مصر . . قديما وحديثا!

ديانا : أنت طالق بمائة مليون جنيه!



أخيرًا سيتم طلاق الأميرة من الأمير . . الأميرة حذفت كلمتين من لقبها الرسمى وكسبت مائة مليون جنيه مصرى . . كان اسمها صاحبة السمو الملكى الأميرة ديانا . . اصبح اسمها الأميرة ديانا . .

وقد فضحت نفسها وزوجها وبهدلت الأسرة المالكة فى السنوات الماضية . . وقرر الأمير أن يشترى نفسه وأمه والعرش وفى نفس الوقت لن يكون ملكا لبريطانيا لأنه طلق زوجته وفى نيته أن يتزوج عشيقته المطلقة . . فلا هو ملك ولا هى . والملكة إليزابيث أمه تعرف هذه الحقيقة فتخففت من كل أعباء الملك . . وأعطته المسئولية واحتفظت بالتاج والعرش لنفسها حتى يكبر حفيدها ويصبح قادرًا على أن يكون ولى العهد . .

ولو قالت الأميرة ديانا : ريان يا فجل ، فلن يسمعها أحد بعد اليوم!

وأم ديانا قد طلقت من والدها قبل ذلك . .

وقبلها تم طلاق الأميرة فيرجى زوجة الأمير إدوارد . . وأمها قد تم طلاقها من زوجها الأول والثانى وتقيم مع الثالث فى أستراليا . .

وقبل ذلك تم طلاق الرئيس مانديلا من زوجته . . لأنها لعبت بديلها . . فقطع ذيلها ولكنها ظلت تلعب!

وقبل ذلك تم طلاق الرئيس الأرجنتينى كارلوس منعم . . وهو سورى الأصل مسلم . ولكن ليكون رئيسا للدولة لابد أن يعتنق الكاثوليكية . فاعتنقها . . وكانت البنات أشكالا وألوانا تحت السرير . فلما اعترضت زوجته حملها الضباط ليلا إلى قصر بعيد . . خرجت ولم تعد . وطلقها الرئيس رغم أن الطلاق حرام عند الكاثوليك . . يجوز أسلم سرًا وطلقها ، ثم ارتد إلى الكاثوليكية - إنه حر طبعا!

وقبل ذلك فوجئنا بأعظم عالم فيزياء فى العالم وهو رجل مشلول أخرس يجلس على مقعد له عجلات . . قد طلق زوجته التى كانت تحمله بين يديها (وزنه ١٧ كيلو جراما) وتضعه فى الحمام . . . إلخ . هذا الرجل بعد أن كسب من كتابه عن (تاريخ الزمن) مائة مليون جنيه مصرى . . تزوج الممرضة . وهذه الممرضة هى زوجة الرجل الذى اخترع له المقعد الإلكترونى . . إنه عالم عظيم ولكنه سافل أعظم!

وقبل ذلك طلق الكاتب البريطانى سلمان رشدى الذى هاجم الرسول عليه الصلاة والسلام فى كتابه «آيات شيطانية» . وكانت زوجته الجميلة معجبة به ولكنها رفضت أن تعيش معه كالفئران

من جحر إلى جحر . . ثم إيه اللى عاجبها فيه؟ لقد نجحت بعد سنوات أن تعلمه أن يستحم مرة كل شهر .

ونشرت الصحف الأمريكية أن جاكلين كيندى كانت تخون زوجها مع عدد لابأس به من شبان أمريكا . . فقد تأكد لديها أنه يخونها مع مارلين مونرو وغيرها . ولما طلبت الطلاق أقنعوها بالفلوس ألا تهدم مجد زوجها السياسى . . ولم يمض إلا وقت قصير على اغتياله فتزوجت أوناسيس!

وكان الرئيس أيزنهاور سيطلق زوجته بعد أن أصبح رئيسا لأمريكا ويتزوج الفتاة الإنجليزية التى كانت تقود سيارته الجيب فى الحرب العالمية الثانية . ولكن زعماء الحزب طلبوا إليه ألا يفعل حتى لا ينهار الحزب! وظل أيزنهاور صديقا وعشيقا للفتاة البريطانية التى لا هى حلوة ولا حاجة!

إن معركة ديانا اسبنسر مع زوجها الأمير تشارلز ، هى معركة محامين من الدرجة الأولى . . فلديها طاقم من النساء والرجال يخترعون لها كل يوم مخرجا ويحلون عقدة ويضعون عقدا ومطبات فى طريق زوجها . . فيقوم محامو الأمير بفك العقد وردم المطبات . . ويعود المحامون يخترعون مصائب جديدة . .

واعترفت الأميرة ديانا أنه لايفل الحديد إلا الحديد ـ أما الحديد عندها فهى محامية شابة استطاعت أن تعثر على كل الطرق التى أوجعت قلب زوجها وقلب أمه وقلب عشيقته .

ومن المتوقع أن يحصل محامو الأميرة على خمسة ملايين جنيه مصرى بالتمام والكمال ـ وهم فى غاية الحزن على أحسن زبونة فى تاريخهم!

هناك أميرة أخرى فى أقصى الشرق وهى زوجة ولى العهد اليابانى قد تعلمت فى أمريكا وحاولت الصحف والمجلات والتليفزيون أن يجعلوا منها (ديانا الشرق الأقصى) . ولكنها رفضت أن تفضح زوجها والعرش اليابانى . . وبلاد الشمس المشرقة . .

وهناك حكاية فى كتاب الشاعر الفارسى سعدى تقول : سئل رجل مؤدب : من أين تعلمت الأدب؟ قال : من رجل قليل الأدب . . كلما فعل شيئا امتنعت عنه . .

وكذلك فعلت أميرة اليابان حتى لا تكرر فضائح أميرة بريطانيا . .

والله ح توحشينا يا أميرة . . فقد كانت حياتك متعة عظيمة لكل سيدة دميمة لا تستطيع أن يحبها رجل أمير . . والله ح توحشينا يا أميرة . . فلا يزال طعم الفضيحة ألذ . . ألذ!

إنت اللى «عبد» وأبوك أيضاً



هذا كتاب غريب عجيب . . يشخص لمرض عميق فى مصر . . ولكنه ليس علاجا ، إنه وصف لما نعانيه ، أما العلاج فيجب أن نتولاه نحن ، وإن كان يرى أنه لا علاج لنا . . لماذا ؟

يقول المؤلف المجهول الذى اختار لنفسه اسم د . ع .ع الأستاذ الجامعى : إن كتابى هذا إجابة عن مثل هذه الأسئلة :

لماذا يتصارع المصريون فى الخارج ، صراعا لاتجده بين الجاليات الأجنبية ؟

لماذا لم نستفد من «التغريب» ـ أى الأخذ بأساليب الحضارة الغربية ـ فى الحكم والإدارة ؟

لماذا ظهرت حركة «التشرذم» عند الإخوان المسلمين رغم بدايتها الشعبية القوية ؟

هل كانت شخصية «حسن التهامى» ضرورية للسياسة المصرية فى عهد عبد الناصر والسادات؟

ما علاقة الجامعات بالتراث المملوكى ؟

لماذا يخشى المصرى دخول قسم الشرطة حتى الآن ولو كان بريئا؟

ما هى الأسس التاريخية لبعض الشتائم المنتشرة؟
أما الإجابة عن هذه الأسئلة كلها فهى : أن مصر حكمها المماليك العبيد ، وأن هؤلاء العبيد ذهبوا وتركوا فينا أخلاق العبيد . . فنحن ـ من وجهة نظر المؤلف المجهول ـ مانزال عبيدا لم نتحرر بعد . .
يقول لويس عوض فى كتابه «أوراق العمر» ـ وقد أخذ عنه المؤلف المجهول الكثير من الملاحظات :
إن الأتراك لايزالون يحكمون مصر . . الملك فؤاد تركى ، والباشوات : عدلى يكن وعبد الخالق ثروت وتوفيق نسيم وأحمد زيوار وحسين رشدى ومحمود سعيد وأحمد مظلوم . . أما سعد زغلول باشا وزعماء الوفد فهم فلاحون أولاد فلاحين . وأبناء الأتراك لن يسمحوا لأبناء الفلاحين بحكم بلادهم !
ويقول المؤلف المجهول ـ نقلا عن لويس عوض أيضا : إن هناك بعض الأسماء تدل على أننا مانزال عبيدا . . فالأسماء : الخميس معناه الذى اشتروه بخمسة دراهم والعشرى معناه الذى اشتروه بعشرة ، والميهى الذى اشتروه بمائة . . والألفى الذى اشتروه بألف ، والدويدار أى حامل الدواة . . والخاشقنجى أى الذى يبيع الحلوى . . وكلها وغيرها أسماء تدل على الاستعباد المملوكى والتركى . .
أما خوف المصريين حتى الآن من أقسام الشرطة . . وخوف المصريين من بعضهم البعض . . وسوء الظن بالناس وبكل شىء . . واليأس من أى أمل فى الشفاء وألا يكون لهم رأى ، وإنما الرأى للحاكم المملوك . . أى العبد الذى يحكم العبيد . .
وخلاصة الكتاب الذى اسمه «تراث العبيد» أننا لا نزال ـ وسوف نبقى عبيدا . . ولا حل عنده ، لأننا لم نستطع أن نتخلص من هذه الوصمات أكثر من ألف سنة . . ومادمنا كذلك فلا شفاء لنا . . حتى لو كان هذا الكتاب تشخيصا صحيحا . .

ولكن ما رأى المؤلف فى هذه الأسماء : عبد الرحمن ، عبد العزيز ، عبد اللطيف ، عبد القادر . . . . إلخ .

إننا لسنا عبيدا إلا لله . . فكلنا عبيد لله . . وشرف أن يكون الإنسان عبدا له . فلا أعظم منه ، ونحن لم نختر هذه الأسماء لأننا أردنا أن نكون عبيدا أو أولاد عبيد . . وإنما لأننا مؤمنون .

وبعض الناس قد أطلقوا على أولادهم : عبد الرسول . . وعبد النبى . . وكانت السعودية إذا جاءها واحد يحمل جواز سفر وكان اسمه : عبد الرسول فإنهم يشطبون الاسم ويكتبون عبد رب الرسول . . أو عبد رب النبى . فالإنسان لا يكون عبدا إلا لله . . ولا يكون عبدا للرسول ، وفى كثير من المسلسلات المصرية تقول الممثلة أو الممثل : والنبى . . أى تحلف بالنبى عليه الصلاة والسلام . . وكان السعوديون يحذفون هذه العبارة . . لأن أحدًا لايقسم إلا بالله . وليس بالنبى أو بالولى أو بالأب أو الحاكم . .

وفى «تراث العبيد» سوف تجد ملاحظات وحكايات ونوادر نحن نحكيها لأنفسنا ، ولكن لا شىء يدل على صحة نظرية المؤلف إلا المؤلف نفسه . . فهو قد جمع كل هذه الشتائم والإهانات للشعب المصرى ، ولم يفعل شيئا ، لأنه هو الآخر مصرى صميم . . أى عبد من العبيد . . فكتابه ليس نقدا لمصر ، ولكن تسليم بالأمر الواقع . . منتهى الاستسلام . . وإذا كان اسمه ع .ع فمن يدرى ربما كان ذلك اختصارًا لكلمتين هما : عبده عبيد . . عبيد عبده . .

بعض الصفحات ستجعلك تضحك . . وبعضها يجعلك ترثى لحال أستاذ جامعى قد حشد كل هذه الإهانات والشتائم ، واكتفى بأن لعن سنسفيل أجدادنا وأجداده . . ونحن أيضا لانملك إلا أن نُقرّه على نصيبه هو أيضا من الشتائم!

عفاريت فى كل مكان !

٨

المثل الشعبى يقول : فلان له فى كل خرابة عفريت!

أى أنه يجد شيئا يخيفه فى كل مكان . .

وكان ذلك هو حال الناس فى قديم الزمان . . فالناس لا يعرفون لماذا تهب الريح . . لماذا يمتلئ النهر بالماء ، ولماذا يجف النهر . . ولماذا يمرض بعض الناس . . ولماذا يموتون . . وكل شىء وراءه عفريت . . شيطان . . جن . .

فالناس لا يعرفون الكثير عن عناصر الطبيعة . . وقوى الطبيعة . . وقوانين الطبيعة . . ولا يعرفون شيئًا عن الأمطار التى تسقط فى السودان وتتحول إلى فيضان فى نهر النيل . . وفى كل أنهار الدنيا . وأسهل عند الناس أن يقولوا : إن هناك قوى خفية هى التى تحرك الشمس والقمر والشهب . . والذى يمرض سببه أن عفريتا قد ركبه . . أو أن هناك رجالا عندهم قدرة على تسخير العفاريت لخدمتهم . فجعل هذا مريضا . . وهذا فى حالة خناق مستمر مع زوجته . .

وكلما تقدم الإنسان فى المعرفة . . اختفى هذا العدد الهائل من العفاريت التى تتربص بالإنسان فى كل مكان . . وكان الإنسان يرى العفاريت على شكل قطط وكلاب وطيور . . كل شىء عفريت . . له شكل الشبح أو أنه قد اختفى وراء أشكال أخرى . .

ومعنى ذلك أن الخوف هو المسيطر على دنيا الإنسان ولألوف السنين . .

ولما ظهر علم النفس ، تحولت كل هذه المخاوف إلى غرائز . . أى أن الإنسان يفعل كل شىء فى حياته ، تطبيقا لقوة فى داخله . هذه القوة هى الغريزة . . غريزة الخوف والشجاعة والهرب والدفاع عن الحياة . . وهذه الغرائز موجودة عند كل إنسان . . وأن كل مخاوف الإنسان القديمة موجودة فى أعماقه وتظهر فى الأحلام . . فنجد الطفل يخاف من الثعابين ، مع أنه لم يرها فى حياته . . أو يخاف من الصرصار . . أو يخاف من الفأر . .

وتفسير ذلك أن أجدادنا من ألوف السنين كانت لهم تجارب أليمة مع الثعابين والفئران ، وأن هذه المخاوف ترسّبت وترسّخت فينا . . وأصبحت حقيقة . فنحن نخاف من الظلام . لأن الظلام كان يخفى عن أجدادنا الوحوش والأعداء . . فأصبحنا نخاف من الظلام ، مع أن شيئا لم يصبنا بسبب هذا الظلام . .

وكلما زادت معارفه وعلومه وقدراته على الفهم ، تناقص الظلام والخوف والخرافات فى حياته . . فالعلم يطرد الخرافة ، والأضواء تطرد العفاريت .

وفى العصور القديمة سيطرت على الناس جماعات عندهم

القدرة على إقناع الناس بأنهم أقوى من العفاريت . . أى أن هناك عفاريت قوية ، ولكن هناك الساحر العالم الفاهم القادر على أن يركب العفاريت ويجعلها حميرًا وبغالا يركبها كل الناس . أما الطريق إلى ذلك فهو : الساحر . . أو الساحرة . .

وعرفت العصور الوسطى مطاردة الدولة لهؤلاء السحرة والمشعوذين وإغراقهم فى البحر أو إحراقهم ثم إغراقهم أيضا . .

وتضاءل عدد السحرة ، ولكن حاجة الناس إلى السحر ماتزال موجودة . . أى حاجة الناس إلى قوة أكبر تساعدهم على مواجهة مخاوفهم وتحقيق آمالهم . .

وعلى الرغم من أن الحكومات ورجال الدين قضوا على المشتغلين بالسحر والشعوذة ، فقد بقى السحرة إلى جانب الملوك والأمراء ، وقفز رجال الدين فى مقاعد السحرة . . فالملوك يريدون أن يعرفوا المستقبل ، لأنهم خائفون من شعوبهم ومن الملوك الآخرين . . ولأن رجال الدين يريدون أن يتسلطوا على الناس . .

حتى فى العصر الحديث بقى السحرة إلى جوار الحكام . . فهتلر كان له ساحر يدله على المستقبل ، ماذا يفعل وماذا يقرر . .

وملكة هولندا اعترفت بأنها لاتستطيع أن تخطو خطوة دون أن تسأل العراف أو العارف بأسرار الكون والقوة الخفية . . أى بالعفاريت . . ولم تنكر ذلك حتى عندما استنكر الشعب الهولندى هذا السلوك غير العلمى من الملكة . .

والرئيس ريجان كان يصغى تماما إلى ما تقوله زوجته وما تنصح

به . . وهى لاتقول إلا من وحى العرافين الذين يستخدمون العفاريت ليدلوها هى وزوجها على المستقبل . . مستقبل أمريكا والكرة الأرضية والكواكب الأخرى .

وأخيرا نشرت الصحف الأمريكية أن هيلارى كلينتون سيدة أمريكا الأولى تستعين بالعرافين أيضا . وأنها كانت فى حاجة نفسية وسياسية إلى ذلك . .

وأجهزة المخابرات فى كل الدنيا تعتمد على قارئة الفنجان والكف وضاربة الودع وصانعة (العَمَلات) ـ بفتح العين والميم . . لماذا ؟

لأن أجهزة المخابرات تريد أخبار الناس . . والناس يتعرون تماما عند قارئة الفنجان . . فقارئة الفنجان تقول لزوجة الوزير أو الأمير : زوجك يعرف واحدة غيرك . . زوجك عنده مشكلة . . ولابد أن يذبح خروفا حتى تنجح هذه الصفقة . . زوجك عنده مشكلة مع الرجل الكبير . . إلخ .

وتقول زوجة الوزير أو الأمير أو السياسى الخطير كل أسرارها . . وهذه الأسرار تنقلها قارئة الفنجان إلى أجهزة المخابرات . .

وقد استعانت المخابرات البريطانية بعلماء الروح أو الذين يستخدمون الوسطاء فى معرفة الأسرار . . هذه الأسرار يعرفونها عن طريق أرواح . . أو عفاريت ، وقد نشرت الصحف البريطانية أن الروحانيين هم الذين حددوا للمخابرات البريطانية الأماكن التى يتردد عليها معمر القذافى وأن المخابرات البريطانية نقلت هذه المعلومات إلى المخابرات الأمريكية التى ضربت بالقنابل الأماكن التى

حددتها العفاريت . . فأصيب القذافى فى ذراعه وكذلك أفراد أسرته!

وفى العام الماضى ذهب أحد شيوخ الخليج إلى قارئة الفنجان فى مصر الجديدة وقال لها : أنا أحب واحدة . . وهذه الواحدة تقسم بأنها لاتنام مع زوجها فى فراش واحد . . فهل هى كاذبة أو صادقة؟

وراحت قارئة الفنجان تهز بقايا القهوة فى فنجان الشيخ . . ثم قلبت الفنجان ووضعت أصبعها عليه وهى تقول : يا قهوة يا شاذلية . . دلينى على اللى فى النية!

ثم عادت وقرأت وقالت له : هى لم تكذب عليك!

وأسعده ذلك ومد يده فى جيبه وأعطاها مفتاح سيارة مرسيدس . وعاد سعيدًا إلى بلده!

ولم تكن المخابرات تعرف قصة الحب والغرام التى يعيشها هذا الشيخ . . ولم تكن تعرف المدخل الحقيقى إلى قلبه وجيبه!

ومهما أضيئت الأنوار فى كل مكان . . فسوف يبقى جانب مظلم خفى فى قلب وعقل كل واحد منا . . وهذا المكان الخفى لايلمسه إلا بأصابع عفريت . . ولابد أن نجد أنفسنا ضحايا عدد كبير من النصابين والمشعوذين . . وسوف نسمع ما نريد وهذا يريحنا . تماما كما نقرأ البخت كل يوم . . ونجد ما يريحنا ، لأننا نريد أن نجد الراحة بأى شكل من الأشكال . .

ومادام للإنسان ظل ، فله أيضا أضعاف ذلك من المخاوف والعفاريت!

رغيف الملكة نفرتيتى



مهم جدًا الخبز عندنا ، لدرجة أننا نسمى الخبز : العيش . . أى العيشة . . أى الحياة نفسها . .

ولكن كما أن العيشة أشكال وألوان ، فالخبز أيضا صغير وكبير . . وطويل ومستدير . . ومن القمح ومن الذرة ومن الردة . .

والكعك والبسكوت والغُرَيِّبة والجاتوه والتورتة كلها أشكال من الخبز . .

ولكن هذه الأنواع من الخبز ، ليست هى (العيشة) فلا أحد يعيش عليها . . وإنما هى أنواع من الترف . .

وقد أكلت الخبز المصنوع من مسحوق الجمبرى فى الهند وفى أندونيسيا . . وهو يباع على شكل عجائن تشبه القطايف فى السوبر ماركت فى السعودية وكل دول الخليج ، ولا أعرف إن كان فى مصر شىء من ذلك . .

وأكلت الخبز المصنوع من مسحوق الموز . . لأن الموز أكثر من القمح . .

وأكلته مصنوعا من الأرز . . وكان من الضرورى أن أستخدم السكين لكى أقطع هذا النوع من الخبز . . لأنه يشبه الكاوتش الأبيض تماما!

وفى إحدى زيارات الرئيس السادات إلى ولاية بافاريا الألمانية قدموا له رغيفا فى حجم فردة الكاوتش وإلى جواره كميات من الملح . . أى عيش وملح . . أى الوفاء والأمانة والأمان . . وأن يشعر الإنسان أنه بين أهله .

وفى فرنسا مائة نوع من الخبز . . ويقال هناك مائتان . . ويكفى أن تذهب إلى أفران الخبز فى فرنسا لترى العجب . . أولا : لايمكن أن تشعر لحظة واحدة أن هذا فرن . . وإنما هو جواهرجى . . انظر إلى الرفوف . . إلى الفترينات . . إلى البنات الحلوة تبيع خبزًا فى حلاوتها ورقتها ولذتها . . فأنت مستمتع إذا ذهبت ولم تشتر ، ومستمتع إذا ذهبت وقطمت لك قطمة وأنت واقف . . أما الرائحة فهى متعة مؤكدة!

وفى فرنسا عندهم الرغيف الذى اسمه الباجت ـ أى العصا . . وهو كالعصا طويل طوله متر ـ هذا الرغيف يشترونه للأسرة . . يأكلونه طوال اليوم . . وهو طبعا يكفى الواحد منا لإفطاره أو لغدائه مع اللحم والأرز والخضار والفاكهة . . والقهوة بعد ذلك!

أول ساعة بعد وصولى إلى باريس . . وجدت مطعما فى الفندق الذى نزلت به فى الحى اللاتينى . . رأيت واحدًا يشير إلى أنه يحتاج إلى نصف رغيف . . وليس إلى رغيف . . فأمسك البائع

السكين وقسم الباجت نصفين . . ولف نصف الرغيف فى ورقة . . وكان يرتدى الجوانتى طبعا . . وجاء دورى فوضعت إصبعى على الرغيف قائلا : نصف الرغيف! فما كان من البائع إلا أن ألقى بالرغيف كله فى الزبالة . . لأننى قد لمسته بيدى . . وطبعا ليس عنده بعد ذلك أى استعداد لأن يبيع لى شيئا !

إنهم الفرنسيون أحفاد باستير الذى اكتشف الميكروب . . وهم يخافون من الميكروب عند أى لمس . . شىء عجيب مع أن الناس حولى غارقون فى القبلات . . لمس ولمس عميق . . ولا يخافون . . إنه ـ إذن ـ الحب صانع المعجزات!

ومن ذلك اليوم وحتى أربعين عاما بعد ذلك وأنا أحلم بأن أشترى رغيفا فرنسيا كاملا . . وأشقه بالطول وأملؤه جبنا أبيض وطماطم . . وآكل هذا الرغيف بشرط ألا ينكسر . . آكله كله . . لقمة لقمة . . ويظل سليما .

حاولت وفشلت عشرات المرات .

مرة واحدة كنا فى سويسرا . فعبرت الحدود الفرنسية إلى مدينة فيفى التى يعيش فيها شارلى شابلن . . واشتريت رغيفين طويلين وعبرت الحدود الفرنسية حيث أقيم فى جنيف . . وكنت قد اشتريت الطماطم والجبنة والبيض ووضعتها فى الثلاجة . . وعند باب الأسانسير قابلت د . أسامة الباز وتحدثنا فى السياسة . . ولم ألاحظ أنه مد يده بكل سلامة نية وقطم بيده جزءاً من الرغيف . . وجزءاً من الرغيف الآخر . . وهو لايدرى لأى سبب اشتريت الخبز . . وضاعت فرحتى فى أن آكل الرغيف بالطريقة التى أحلم بها!

وفى مطار باريس جاءت الجرسونة وقلت لها : وحياة عينيك الحلوين عاوز رغيف باجت سليم . . سليم تماما . . وعاوز جبنة وطماطم وبيض فى طبق . . وحياة أبوك . . أنت لاتعرفين أهمية هذا الساندوتش . .

وضحكت فى دلع ودلال . . و . . وبعد لحظات جاء الرغيف كوما من السندوتشات القصيرة . . وضحكت وتمايلت وقالت لى : هذا ما تريد!

قلت لها : بالضبط!

أى بالضبط ما لا أريد!

شيء مضحك هذا الذى أحاول أن أعمله . . وتضحك أكثر من إصرارى على ذلك . . ولكن فى داخلى (عيل) يريد الرغيف الذى يجب أن أشقه بالطول . . إلخ . .

أخيرا وبعد عشرات المحاولات وعشرات السنين . . حققت هذه المعجزة . . وبعد ذلك لم أعد أطيق أن أرى الباجت فى أى مكان!

ولا أطيق أيضا أن أرى الرغيف الذى لاشخصية له . . كالرغيف الذى تجده فى الولائم الرسمية فى القصر الجمهورى . . نعم فى القصر الجمهورى المصرى . وقد شكوت كثيرًا من سوء خبزه ومنظره . . فلا هو مستدير ولا هو مربع . . ولا هو أبيض ولا هو أسود . . ولا هو بلدى ولا هو شامى ولا هو فينو . .

قلت للرجل المسئول عن إعداد الولائم الرئاسية : ما هذا ؟

قال : ماله . . حلو قوى .

ـ مين اللى بيقول كده ؟

ـ كثيرون . .

ـ هل تعرف سيادتك الضيف الموجود الآن عنده كم نوعا من الخبز . . إن الرئيس ميتران فى بلده مائة على الأقل من الأنواع البديعة اللون والطعم والرائحة . .

ـ ولكن ليس عنده هذا النوع؟

ـ بل ليس ضروريا أن يكون عنده!

ولما وجدت كلامى فى الهواء ؛ لا صوت ولا صدى ولا نتيجة . . اقترحت على هذا المسئول أن يضع كل رغيف فى ظرف ـ وفى داخل الظرف ورقة تقول للضيوف : «هذا الرغيف بصورته وشكله ولونه وطعمه هو يشبه طبق الأصل عيش الريجيم الذى كانت تتناوله الملكة نفرتيتى»!

هنا يصبح للرغيف قيمة تاريخية . . ويأخذه الضيف معه ، ويضعه فى عين زوجته التى لايعجبها الخبز إلا إذا كان فى جمال الخبز الفرنسى . . ويقول لها : اللى كانت أجمل منك . . كانت تكنس القصر وتجعل من ترابه هذا الخبز البديع!

ولم يقتنع الرجل المسئول . . وبقى الرغيف على مائدة الرؤساء كما وصفته لك . . وكلما رأيته لم أمد يدى إليه . . وازددت يقينا أن نفرتيتى كانت على حق عندما طلبت من الآلهة ألا يجعلوها تعيش حتى تأكل مثل هذا الرغيف!

فرح أندونيسى : لاتذهب !



الجزيرة اسمها : يالى . . واحدة من ثلاثة آلاف جزيرة تتكون منها أندونيسيا . وهى الجزيرة الوحيدة التى تدين بالديانة البوذية . معظم الجزر إسلامية وهذه الجزيرة كانت لها ميزة . . وهى أن نساءها يمشين عاريات النصف العلوى . والأجسام صغيرة وتوصف بأنها عرس ـ أى مثل أجسام العرسة ـ ناعمة لينة . . كأنها خلت من العظم . وكان هذا المنظر هو الذى يدعو السياح بالملايين إلى زيارتها . . صحيح أن أحدًا لايقول ذلك صراحة ، ولكن هذه هى الحقيقة!

وأذكر أول مرة زرت هذه الجزيرة كان فى سنة ١٩٥٩ عندما كنت أدور حول العالم وتوقفت بها طويلا . وفى الأتوبيس كنت أتظاهر بأننى لا أبحث عن النساء العاريات . . والحقيقة أننى كنت أدقق فى النظر إليهن . والأتوبيس سريع لايتوقف . فالسائق اعتاد على كل ذلك . . ولا شىء يوقفه أو يلفت نظره . .

والحقيقة أننى لم ألاحظ ما جئت من أجله . . ولما توقف

الأتوبيس عند أحد الفنادق فى العاصمة دنباس . . وجدت عددًا من النساء العواجيز . . أعوذ بالله . . ما هذا الذى كان يجب أن تغطيه أو تلقى به إلى القطة!

إذن لقد اختفت النهود الشابة ، وظهرت تلافيف النهود ، ولم يتساءل أحد بصوت عال : ولماذا لم يقولوا لنا ذلك فى المطار حتى نعود من حيث جئنا؟!

ونسينا ذلك عندما انشغلنا بالمناظر الأخرى . . وبالجو البوذى والأساطير والرقص الجميل . . والخرافات الدينية التى تظهر على شكل حفلات الزار الأندونيسى . . والغيبوبة التى يصاب بها الراقصون والراقصات . .

أما لماذا خلت الأفواه من الأسنان فلأن لديهم اعتقادًا بأن الشيطان يسكن بين الأسنان . . فراحوا يوسعون المسافة بين الأسنان لكى يسقط الشيطان على اللسان فيبتلعوه . . ولكن الذى لم يعرفوه أنهم عند إزالة المسافة بين الأسنان أزالوا الطبقة التى تحفظ الأسنان فتآكلت الأسنان وتساقطت!

ولما قررت ألا أذهب . . جاء مندوب السياحة يؤكد لى : إلا الليلة . . فهى الليلة الكبيرة . . إنها زفة عروس حقيقية . . تعال وتفرج . .

وذهبت . . البيت صغير . . وطلبت من مندوب السياحة أن يكون الفرح أمام البيت . . لأن المتفرجين كثيرون والجو حار والرطوبة عالية . . وتبارى السياح فى خلع ملابسهم حتى وقفنا جميعا نصف عراة . . وجاء العريس . . وجاءت العروس . . العريس أجلسوه . . والعروس أجلسوها بعيدا عنه . . ومن حين إلى

حين يجيء من يحمل العريس بمقعده إلى أن يكون قريبا من العروس . . ثم بمن يعطيه شرابا . ومع الشراب بعض أصابع الموز يضعها فى فمه . . أما العروس فتأكل الموز فقط ولا تشرب . . وفجأة ظهرت الدوخة على العريس . . ربما كان بسبب هذا الشراب الذى يقدمونه له . .

وطلبوا من العريس أن يرقص فكان يترنح والعروس صاحية تنْدبّ فى عينها رصاصة . . فهى تتأمل السياح بعيون متسولة . . وكان السياح يضعون الفلوس فى ملابسها . . والعريس دايخ . . يقع على الأرض ويتركونه هناك . . ثم يقدمون له شرابا آخر ويفيق . . ويجلس كالعفريت إلى جوار عروسه ويبدو أنه يسألها : كم قبضت؟ ويظهر أنها تريد أن (تخنصر) بعض هذه الفلوس . . وكادا يتشاجران لولا تدخل مندوب السياحة . .

وقامت العروس الصغيرة المحندقة ورقصت رقصا إيقاعيا يحتاج إلى لياقة بدنية فائقة . ومعنى ذلك أنها تدربت على الرقص طويلا وكثيرا منذ طفولتها . .

وفجأة جاءت أم العروس أو أم العريس ووضعت وعاء لغسل أقدام العروسين . . ووضعت فى الوعاء سائلا أحمر حتى صارت أقدامهما فى لون الدم . .

وأشاروا إلى السياح إن كان أحد يريد ذلك . . فكنت أسرعهم إلى تلبية هذا الطلب . . وجاءوا بشراب . . وشربت . . ثم جاءوا بالموز وأكلت . أما هذا الصفير فى أذنى ، فمعناه أن هذا الشراب القوى قد دوخنى . . فعلا دخت . . ورحت أنظر إلى الناس حولى . . إنهم يتخذون أشكالا سيريالية غريبة . . مرة يقفزون حتى يتلاشوا . . ومرة يكون لونهم أحمر . . وأسود . . وأصفر . .

وهم يضحكون . . وأنا أضحك . . ولا أعرف ما الذى يضحكنا جميعا . . أما حمام السباحة الذى جلست على طرف منه مددت فيه قدمى . . فقد أدهشنى أن قدمى تعرف السباحة وأنا لا أعرفها . . شيء عجيب . . كيف انفصلت قدمى عن ساقى . . ثم إنها وحدها تبلبط فى الماء . . شيء عجيب!

وفجأة ظهرت الشمس وراحت تلسعنى فى وجهى!

لقد نمت على مقعدى حتى الصباح . . أما العروسان فقد ذهبا إلى بيتهما . . ومعهما السياح . وتركونى وحدى . . جالسا فى كوشة العروسين المصنوعة من صوابع الموز . . وقد ربطونى بالحبال حتى لا أقع فى الطشت الدموى . . ونظرت فوجدت الدم فى قدمى . . وقد وصل إلى البنطلون . . وقفزت ممزقا الحبال . . ولم أجد حذائى . فقد أخذه العريس تيمنا بتلك الزيارة السعيدة . وذهبت إلى الفندق حافيا . والناس يهنئوننى . وسألت : لماذا ؟

- ألم تتزوج ؟

- لا . .

- إذن لماذا هذه الألوان الحمراء فى القدمين والساقين والبنطلون والقميص الأبيض . . وعلى الخدين؟

وقال لى موظف الاستعلامات : انس . . انس تماما!

وكان ذلك ردًا على سؤالى عن جزمتى التى اختفت!

سيادتك تحب تأكل إيه ؟

١١

كنا فى مدينة مورمنسك فى الدائرة القطبية الشمالية من روسيا . . درجة الحرارة ٤٢ تحت الصفر . . الأرض كلها جليد أبيض . . والتعليمات التى قيلت لنا قبل هبوط الطائرة : المرجو من السادة الركاب إذا نزلوا من الطائرة ألا يمسكوا أنوفهم أو آذانهم . . حتى إذا كانت قد تجمدت ، فإن أى لمس لها يسقط كقطعة من الثلج . . الأفضل أن يضع كل واحد يده فى جيبه ومهما شعر بأن أنفه بياكله . . أو أذنه فلا يخرج يده من جيبه!

ونزلنا من الطائرة . . أما البرودة فلا يمكن أن توصف . . ثم إنه لا إحساس بالأنف ولا بالأذن . . وأمامنا يقف عدد من الجنود الروس يضحكون . . على سبيل الترحيب بنا . . ووجوههم حمراء زى نار الفرن . . وقد وضع كل واحد فوق دماغه طاقية من الفراء . . والبالطو من الفراء . .

أما المسافة بين المطار والطائرة فلا تزيد عن عشرين مترًا قطعناها على الأقدام . . ودخلنا مطارًا صغيرًا . المطار ساخن جدًا . . والناس

يلعبون الشطرنج وقد خلعوا الطواقى وراحوا يشربون الڤودكا ويأكلون الزبدة ويضحكون ويدخنون . .

وفى ركن من المطار الصغير جاءت جرسونة ضخمة ومعها ورقة ووقفت أمامى . ونظرت لى ونظرت لها . . ولم تقل شيئا . ولما لم أقل شيئا اتجهت إلى واحد غيرى . . ولما لم يقل شيئا اتجهت إلى واحد ثالث . . ولما كنا جميعا لا نعرف اللغة الروسية فلا هى سألت ولا نحن سألناها . واكتفت بهذا القدر واتجهت إلى مكانها من البار وراحت تشرب وتنظر إلينا بعينين زرقاوين لا معنى فيهما . وقد تضايقت . وذهبت إليها وقلت لها بالألمانية : لابد أنك تعرفين كم كلمة ألمانية . .

قالت : نعم .

قلت : ماذا عندك من طعام لنا . .

اعتدلت وقالت : سيادتك تحب تأكل إيه ؟

■ ماذا عندك ؟

● اطلب . .

قلت : أنا نباتى .

قالت : عظيم جدًا . .

قلت : ماذا عندك ؟

قالت : سيادتك تحب تأكل إيه ؟

قلت : خبز .

■ موجود .

● جبن .

■ موجود .

● زبدة .

■ موجودة .

● سمك .

■ لا مش موجود . .

● خضروات .

■ لا مش موجودة .

● فاكهة .

■ مع الأسف لا وجود لها .

● أرز .

■ يا ريت!

● مكرونة .

■ اشمعنى !

● خبز أسود ؟

■ وأصفر وأبيض . . موجود .

● وجبن .

■ جبن أبيض وأسود وأصفر وأحمر وأخضر . .

● كل هذه أنواع من الجبن ؟

■ نعم ولكن بكميات قليلة .

● يعنى إيه ؟

■ خمسة جرامات من كل نوع . . وخمسة لكل واحد . .

● والخبز ؟

■ قطعة واحدة لكل واحد . .

● إذن ليس غذاء ولا عشاء ولا إفطارا!

■ لا . .

● أمال إيه ده ؟

■ تصبيرة . .

● وكيف نواجه البرد الشديد ؟

■ هذه قصة أخرى . . عندنا هنا كل ما تريد من الڤودكا . .

● فماذا يشرب الذين لايذوقون الڤودكا ؟

■ شاى .

● عندك شاى ؟

■ نعم . .

● إذن أريد شايا ساخنا ثقيلا .

■ يعنى إيه ؟

● أوتشى كريايكى (كلمتان روسيتان معناهما ثقيل جدًا) .

■ دا . . دا . . أوتشى كريايكى!

● دا . . دا . . (أيوه . . أيوه) .

وفتحت الدرج وأخرجت شنطة جلدية قديمة وحقيرة . . ومدت يدها إلى أعماقها وأخرجت كيس شاى . . وحاولت أن تفتحه فلم تستطع فوضعته فى الماء المغلى . .

وطلبت أن أشرب فى كوب من الزجاج لأننى أحب أن أرى لون الشاى . . فأتت لى بكوب زجاجى غليظ وعلى الكوب آثار الزبدة . . أو أى شىء آخر . . وحاولت أن تغسل الكوب . . ثم قالت لى : طبعا أنت تعرف أن الماء هنا قليل . . والناس يفضلونه للشرب وليس لغسل الأكواب . .

وبعد ربع ساعة كان الماء قد برد . . أما لون الشاى فهو أصفر!!

وهكذا ترى أن هذه هى الطريقة الوحيدة للاقتصاد فى الماء وفى الشاى . . فالماء قليل والشاى قليل . . وطبيعى ألا يشرب أحد هذا الشاى الخفيف فى هذه الأكواب الثقيلة القذرة . . يعنى إيه؟ . . يعنى أننى لا أستطيع أن أشرب هذا الشاى . .

وسألتها : هل عندك قهوة؟

■ لا . .

● لا شىء غير هذا الشاى الأصفر ؟

■ نعم .

● هل أرجوك لآخر مرة أن تضعى كيسين من الشاى فى كوب ماء يغلى . . نصف كوب . . ربع كوب . .

■ لا . . لايزال عندنا ماء . . ولكن المشكلة أن الشاى (عهدة) وسوف توقع على استلام هذا الكيس . . أما إذا أردت أن تحصل على كيسين فلابد أن يوقع اثنان آخران من المسافرين .

■ ممكن جدًا . .

ولما حاولت أن أتجه إلى زملائى المسافرين معى إلى كوبا قاطعتنى قائلة : ولكنهما قد شربا ڤودكا وليس من الممكن أن يشرب شيئين . . إما ڤودكا وإما شاى . . ولكن فودكا وشاى معا هذا ممنوع!!

وكانت إذا ضحكت جلجلت . . وانفتح فمها وظهرت أسنانها المكسرة . فوقفت أمامها وخلعت عنها المريلة التى ترتديها . . وارتديتها أنا وقلت لها : وسيادتك تحبى تشربى إيه؟

وبسرعة جلست ووضعت ساقا على ساق وتراجعت فى مكانها وقالت : أيوه عاوزة زجاجة شمبانيا . . هاها . . هاها . .

■ هاها . . هاها الله يخيبك وينيل الاتحاد السوڤيتى!

اقتلوا «عروس المولد» ليعيش ملايين الأطفال



كان أبونا نهر النيل العظيم شابا طائشا يتدفق بالماء . . ويأتى به من الحبشة والسودان ويجرى ويلهث ثم يلقى به كله فى البحر - ومن عشرات ألوف السنين . . إنه عجوز سفيه . .

وظل نهر النيل كذلك حتى جاء الرئيس عبد الناصر وخروشوف وأعطياه درسا فى الأدب . . فقد أقام الروس سدا . . وأقاموا على السد العالى تُربينات . . هذه التُربينات كالأصابع تتحرك بعجلات جبارة تخرج منها الكهرباء لإضاءة الريف المصرى والمصانع . .

وبدلا من أن يلقى النيل بما فيه من ماء وطمى فى البحر ويضيف مساحات خصبة إلى الدلتا ، فإن الماء وقف فى السد . . والطمى يترسب فى البحيرة . . ويحجب عن أرض مصر هذا السماد الطبيعى . . ويترك الأسماك تكبر وتكبر حتى صارت متوحشة الأنياب جامدة العضلات . . لانقوى على أكلها . . ولذلك تركنا السمك يأكل نفسه . .

والآن لقد انهد حيل نهر النيل . . فأصبحت له رائحة كريهة لأنه لايتحرك . . وإذا تحرك فإنه ينحت الشاطئين . . وكان قبل ذلك يضيف إليهما طرحا خصبا . . ويضيف إلى الدلتا أيضا . . ولذلك قال المؤرخ الإغريقى هيرودوت : إن مصر هبة النيل لشعب مصر . والآن رجع النيل فى كلامه وراح يسترد ما أعطى . . والبحر يأكل الدلتا . . وهو يأكل الشاطئين . . ونحن نلقى بالزبالة للأسماك والتلوث . جعل مصر مقبرة للمصريين . . والقاتل أبونا النيل . . ولكنه ليس القاتل الحقيقى . . نحن الذين وضعنا السلاح فى يده وحشونا السلاح بالسموم والمبيدات الحشرية وقلنا له : اضرب فى المليان . . وضرب وأصاب الملايين من المصريين بالفشل الكلوى والتخلف العقلى!

كأن النيل ينتقم . .

فقد كان المصريون يلقون إليه كل عام بنتًا حلوة . . هذه البنت لاتكاد تسقط فى النيل ويبتلعها . . أو يحتويها فى أحضانه حتى يفيض . . ويفيض . . وكان المصريون يسمون ذلك «وفاء النيل» ولا أعرف معنى كلمة «وفاء» . . هل نحن وفينا بوعدنا فألقينا إليه بالعروس؟ أم هو الذى وفى بوعده بأن يفيض إذا ما ألقينا إليه بالعروس . .؟

وبحث المؤرخون عن هذه الوحشية المصرية القديمة . . كيف يختارون فتاة جميلة ويرمون بها للنيل . . كأنه شهريار الذى خانته زوجته فقرر أن يتزوج كل ليلة واحدة ويقتلها . . وثبت لدينا أن هذه خرافة ، وأنه لم يحدث قط أن ارتكب المصريون القدماء هذه الجريمة . .

ولكن يبدو أن هذا الكلام ليس مقنعا . فظهرت عروس أخرى وفى ظروف دينية تنتقم لعرائس النيل اللاتى متن من أجل أن يعيش ملايين المصريين . . هذه العروس المنتقمة الجبارة السفاحة اسمها «عروس المولد» . . فهذه العروس مصنوعة من السكر ومن لون أحمر وفى طشوت من النحاس الأزرق وفى غرف قذرة بها دخان فحم . . دعنى أوضح لك هذه الصورة : العروس مصنوعة من سكر قذر فى طشت قذر فى ثانى أكسيد الكربون ، أما اللون الأحمر . . فهو لون كيميائى . . وأعلى من النسبة الدولية للألوان ، ولذلك فهذا اللون يصيب الأطفال بالسرطان ـ وهذه حقيقة مؤكدة!

وهناك نوعان من الألوان : لون أحمر مصنوع كيماويا . . ولون أحمر مستخرج من النباتات ، وهو غالى الثمن وصحى . . ولكن الرخيص القاتل هو اللون المستخرج كيميائيا والذى يستخدمه من يصنعون عروس المولد . . الحمراء جدا . . والتى يصنعون لها فستانا بكرانيش . . وهذه العروس التى تزف فى كل مولد إلى طفل صغير . . لايكاد يحشرها فى أحشائه حتى تكون هى القاتل الذى يموت فى قلب القتيل . .

ولو خطفت رجلك إلى المركز القومى للبحوث لوجدت سيدات يرتدين الملابس البيضاء وعلى عيونهن مناظير غليظة وأمامهن طشوت فضية وجرادل بيضاء . . وقد وضعن رءوسهن على أكفهن . . ولاينقصهن إلا الدموع . فقد كتبن وأرسلن التقارير إلى وزارات الصناعة والتموين والصحة والداخلية يؤكدن أن عروس المولد هى المجرم الحقيقى لكل أمراض الأطفال فى مصر . .

فما هو المطلوب ؟

هذا السؤال أوجهه من عشرين عاما بلا ملل . . المطلوب وقف هذه الصناعة فورًا . . وكفانا ما يفعله بنا نهر النيل . .

ولكى أكون أمينا لم يستجب لدعائى وحملتى الطويلة إلا وزير الصحة الأسبق د . راغب دويدار . . الحقيقة أن الرجل قد اهتم . . وقام بزيارة لأحد مصانع عروس المولد . . وهدمه على دماغ صاحبه . . وبس!

ونشرت الصحف هذه الزيارة للسيد وزير الصحة . . وخرج من الوزارة ، ودخلت العروس غازية منتصرة . والذين زاروا مولد السيد البدوى يلاحظون أن صانعى العروس قد أدخلوا تعديلات واضحة . . فلم يعد لها فستان بكرانيش . . وإنما ترتدى مايوها من قطعتين . . ثم إن شيئا بارزا قد ظهر فى ملامح وجهها . . لقد أخرجت لسانها لكل هذه الوزارات . ولكاتب هذه السطور . .

لقد قرر صانعو العروس أن يكتبوا لها شهادة ميلاد . . وللملايين من أطفال مصر تصريحا بالدفن!

هل هناك حياة !

١٣ لم نكن نعرف أن هناك أى نوع من الحياة ، فى أى مكان من الكون ـ غير كوكب الأرض . ولكن العقل يقول لنا : كما أن الحياة على الأرض قد ظهرت منذ ثلاثة آلاف مليون سنة ، على شكل خلايا تعقدت وتطورت ، فمن الممكن أن تكون هناك مالا نهاية له من أشكال الحياة فى أماكن أخرى من الكون . أين؟ لم نعرف حتى الآن! . .

أخيراً فقط عثر العلماء على قطعة حجر سقط على الأرض من ١٣ ألف سنة . سقط من الكوكب الأحمر . . ثم تطوح فى الفضاء بعيدًا عنه لمئات ملايين السنين . . ثم سقط على الأرض . ومن تحليل العلماء لهذا الحجر وجدوا فيه بقايا خلايا حية . . أى وجدوا (رفات) خلايا كانت حية ثم ماتت بسبب البقاء طويلاً جدًا فى الفضاء ، ثم فى جليد القارة الجنوبية .

إذًا هناك حياة على المريخ . هذه الحياة تحت قشرة المريخ . . لأن الحياة على سطح المريخ مستحيلة ، فدرجة الحرارة عالية جداً .

المهم : أننا وجدنا حياة . .

والمطلوب الآن : أن نعرف إن كانت ماتزال هناك حياة . كيف هى؟ وكيف كانت قبل ذلك . . وهل هذه الحياة لم تتجاوز طور الخلايا . . وهل من الممكن أن تكون هناك خلايا فى أماكن أخرى من الكون؟!

أريد أن أنبه إلى بعض المعلومات البسيطة جداً ، وهى أن كوكب المريخ هو أحد تسعة كواكب تدور حول نجم واحد هو الشمس . . والشمس هى واحد من مئات ألوف ملايين النجوم فى مجرة واحدة اسمها : الطريق اللبنى . وهذه المجرة هى واحدة من مئات ألوف ملايين المجرات . .

فإذا فرضنا أن كل نجم مثل الشمس يدور حوله عدد من الكواكب . . فلتكن تسعة كالتى تدور حول الشمس . وهذه الكواكب تدور حولها أقمار ـ خمسون قمراً ـ كالتى تدور حولها فى المجموعة الشمسية ، إذاً هناك احتمالات ألوف ملايين ملايين المرات ، بأن هناك نوعا من الحياة فى هذا الكون .

وسوف ترسل أمريكا سفينتين إلى المريخ ، وروسيا سوف ترسل سفينة واحدة . مهمة هذه السفن تصوير سطح وجو وجاذبية المريخ . . ثم سفينة أمريكية على سطح المريخ تخرج منها عربة لها ست عجلات فى حجم التليفزيون الصغير . وفى هذه العربة معمل لتحليل التربة ، وأملاحها ، ومعادنها ، وقياس إشعاعها ، وذلك عن طريق ذراع تحفر فى الأرض وتحت قشرة المريخ . . وتعتمد هذه العربة على أشعة الشمس فى توليد طاقتها الكهربية . ثم بعد تحليل التربة ترسل نتائج التحليل إلى سفينة تدور حول المريخ ، هذه السفينة تبعث نتائج التحاليل والصور إلى قواعدها فى الأرض .

وسوف تستغرق سفن الفضاء لكى تصل إلى المريخ أحد عشر شهراً ، والأمل هو إرسال سفينة فضاء كل سنتين . ما هو الهدف؟ الهدف هو تصوير أرض وجو المريخ . وذلك بإرسال سفينة كبرى تهبط منها سفينة صغيرة تنفتح فيخرج منها المعمل الصغير . . ثم تحمل المعمل الصغير وتعود به إلى السفينة حول المريخ ، والتى تتجه مباشرة إلى الأرض تحمل لأول مرة فى التاريخ أحجارا وترابا ، وماء ، وغازات من أرض وجو المريخ .

هناك فقط يستطيع العلماء أن يحكموا : إن كانت هناك حياة . . أو إن كانت الحياة ممكنة للإنسان تحت قشرة المريخ . . ثم كيف كانت الحياة الأولى قبل أن تتطور وتصبح كل هذه النباتات والحيوانات التى نعرفها على أرضنا!

وفى المستقبل سوف نوفر هذه المسافات الهائلة ، وذلك بأن تنطلق سفن الفضاء من المحطة المدارية أو من القمر . . أو من فوق بعض الأحجار ، التى تدور بين الكواكب أو حول المريخ .

وفى الوقت نفسه هناك قمر أمريكى انطلق إلى خارج المجموعة الشمسية . وفى هذا القمر الأمريكى تسجيلات صوتية ولونية وصور لكل أنواع حياة النبات والحيوان والإنسان على الأرض ، ولوحات فنية ومقطوعات موسيقية وتسجيلات صوتية بكل لغات الأرض . . وصورة للإنسان الذكر والأنثى . . ومكان المجموعة الشمسية التى نحن جزء منها فى المجرة التى نقع عند طرفها الجنوبى الغربى . هذه السفينة عبارة عن رسالة موجهة إلى سكان الكواكب الأخرى . التى تبعد عنا مئات ألوف السنين الضوئية . . فإذا عرفونا وأرادوا أن يقولوا لنا : نحن هنا . . إزيكم ، فسوف يصلنا الرد بعد مائتى ألف سنة!

الذى لا يعود!

١٤ لا أعرف عدد المرات التى سافرت فيها إلى ألمانيا . . ولا كم شهرا أقمت فى مدينة فرانكفورت . فقد رأيت هذه المدينة بعد الحرب أنقاضا . . ورأيت الناس يخرجون من تحت الأرض . . شقراوات جميلات . . الشعر ذهبى والعيون من أعماق المحيط والوجوه سبحان الخلاق العظيم . . ولكن الأيدى خشنة والملابس ليست ممزقة ولكن على استعداد أن تكون كذلك فى أية لحظة . . فالحرب قد أكلت من الألمان عشرين مليونا ومن كل الدول الأوروبية مائة مليون . . وتعاونت الدول الأوروبية كلها على معاقبة الشعب الألمانى ، وتعذيبه وإهانته فى كل فيلم وكل كتاب . . كأن الشعب الألمانى كله «هتلر» صاحب قرار الحرب والدمار . .

والذى حدث للشعب الألمانى بسبب هذه الحرب كثير جدًا . ولكن الشعب الألمانى استطاع أن يبنى ما انهدم فى المدن وفى المصانع وفى النفوس أيضا . .

وفى كل مرة أسافر إلى فرانكفورت أذهب إلى مكان معين . .

مكان يخصنى أنا وحدى . . ففى هذا المكان سنة ١٩٥٣م وقفت معها . . وقلت لها ما قاله «قيس» فى «ليلى» ، و«روميو» فى «جوليت» ، و«كثير» فى «عزة» ، و«إدوارد الثامن» فى «ليدى سمبسون» . وما قاله «تشارلز» فى «ديانا» ، وقلت ، وقلت ، وأتيت بالشعر والفلسفة من كل مكان ووضعتها باقة ورد متواضعة عند قدميها . . ولم أعرف أنها فى حاجة إلى رغيف وجزمة أكثر من حاجتها إلى الشعر . . ووجدت لها ألف عذر . . مائة ألف عذر . .

فالذى يحب ، يحب رغم العيوب . . بل يحب العيوب أيضا . لم أتهمها بالجهل لأنها لم تفهم فلسفتى . فليس من الضرورى أن تفهم كل الذى أفهمه . . ولا هو ضرورى كل ما أجده أنا ضروريا . .

قلت لها : يا أعز الناس . . يا أغلى الناس . . يا أجمل خلق الله . .

وانتهزت هى هذه الفرصة ونظرت إلى حذائها . . ولم أعرف ما هى العلاقة بين كل الذى أقول وجزمتها . بل هناك علاقة وهى أنها كانت تطلب من الله بقدرته التى لا حدود لها أن يحول كلماتى إلى جزمة جديدة وشراب طويل ويا حبذا لو جعل أبيات الشعر زراير فى فستانها . . أو قطعا من الصابون تغسل بها ملابسها وملابس أمها وأختها ووالدها . .

والله لم أغضب يا كلوديا ولا تضايقت . ولكنى حزنت كيف أننى أفسدت أجمل ساعات العمر ، عندما انشغلت بما فى داخلى عن الذى خارجك . . كيف لم ترد كلمة رغيف أو جزمة أو جورب فى كل الذى قلت . . إنها غلطتى . . فأنا لا أشعر بكل ذلك . . وأنت كنت فى حاجة إلى كل ذلك!

ويوم ذهبنا معا إلى أحد الفنادق ، التى لم يتحطم إلا نصفها ، وسألتها : ماذا تفضلين؟

فأجابت : بل ليس هذا هو السؤال ؟

ـ آسف للمرة الألف . . فعلا ليس هو السؤال . . ولكنى لا أستطيع أن أفرض عليك الطعام الذى أريد . . آسف ، فأنا لا أستطيع أن أقول لك إننى لا أذوق اللحوم بكل أشكالها .

وقالت بوجهها الجميل جدا ، وعينيها الفاتنتين جدًا جدًا ، وصوتها الساحر ولغتها البسيطة : وهل أنا أجد شيئاً آخر .

وحسمت الأمر ، وقلت لها : منذ هذه اللحظة أنت التى تختارين . . أنت التى تقررين ما نأكل وما نشرب وأين نمشى وأين نجلس وأين نتوقف . . بشرط ألا أرى دمعة واحدة على خدك . . أرجوك . . أنا فى عرضك بلاش دموع!

كل ذلك ذهب . . واختفت الأرض وظهرت من تحتها عمارات ، وفنادق ، وشوارع ، ومصانع ، رحدائق ، وغابات ، وملايين الفتيات الجميلات ، والكلاب التى تأكل ما هو أفخم وأجمل مما كان يأكله الألمان بعد الحرب . .

تماما كما قال أمير الشعراء «شوقى» :

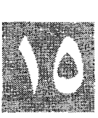
قد يهون العمر إلا ساعة .

وتهون الأرض إلا موضعا!

لقد نسيت أن أتكلم عن المعرض الدولى للكتاب هذا العام . . وأنه اختار موضوعا هو (الغربة) ـ غربة عدد من الأدباء والشعراء من أيرلندا . .

وأنا اخترت لى موضوعا آخر . . بل هو نفس الموضوع : غربتى بعد أن ذهب الأحباب . . بعد أن ذهب الحب وأخذ معه القلب والعقل . . وترك الأسف والحزن على الذى مضى ولن يعود . . والله لن يعود ولن يعود!

هذه القطة ينقصها الأدب !



فى ساعة مبكرة جدا سمعت دقا على الباب . ذهبت . فتحت . وجدت أحد موظفى استعلامات الفندق يقول : يوجد ضابط بوليس يريد مقابلتك . .

- لماذا ؟

- لا أعرف .

- أين هو ؟!

- جالس فى الصالون تحت .

- قل له يتفضل !

وكانت الساعة الخامسة صباحا . وكنت أنزل فى أحد فنادق مدينة «بون» الألمانية . وحاولت أن أجد سببا لهذه الزيارة المبكرة . فلم أجد . فأنا لم أصل إلى ألمانيا إلا منذ يومين . . وقد زرت ألمانيا أكثر من عشرين مرة . . حاولت أن أتذكر شيئا حدث بالأمس . . لم أجد سببًا واحدًا لهذه الزيارة المبكرة العاجلة .

جاء الضابط قال لى : أرجو أن تصحبنى إلى نقطة البوليس .

قلت : الآن ؟!

قال : نعم . .

قلت : أظن من الضرورى أن أخطر السفارة المصرية .

قال : اليوم الأحد . .

قلت : ولو . . لابد!

واتصلت بالسفارة وأخبرت رجال الأمن بما حدث . وذهبت إلى قسم البوليس . وقال لى الضابط هناك بمنتهى الذوق والأدب : إن هناك شكوى ضدك .

فقلت : ممن؟

فقال : جارتك . .

قلت : من هى جارتى ؟

قال : إنها سيدة كبيرة فى السن تشكو من الضوضاء التى أحدثتها بالأمس . . فقد فتحت الحنفية بعد الساعة الحادية عشرة مساء . .

قلت : يعنى إيه؟!

قال : يعنى إنه ممنوع أن تفتح الحنفية أو الدش أو السيفون بعد الساعة الحادية عشرة مساء . .

قلت : وأين هذه التعليمات؟!

قالت : إنها مكتوبة ومعلقة على باب غرفتك من الداخل . .

وتضايقت جدًا . . وكنت أتعمد فى الأيام التالية ، أن أفتح الحنفية والدش والسيفون الساعة الحادية عشرة إلا عشر دقائق . . وكنت أسمع جارتى وهى تدق الجدار وتصرخ . . وكنت أتوقف عند الحادية عشرة تماما . وانتقلت السيدة إلى غرفة مجاورة واستمتعت بحريتى فى إطلاق الضوضاء فى كل ساعات الليل والنهار!

وفى ألمانيا مشكلة كبرى : هى كثرة الشكاوى من المواطنين حوالى مليون شكوى سنويا . هذه الشكاوى تربك المحاكم وتبدد أموال الشعب . وكل الشكاوى من هذا النوع : إن قطة جار قفزت إلى بيت جار . . إن الكلاب تنبح بصوت مزعج . . إن أحد الأطفال قطف زهرة من حديقة الجيران دون إذن . . إن أحد الجيران قد زرع أنواعا من الأزهار لها لون قبيح يثير أعصاب الجيران!!

ومن الشكاوى العجيبة : أن عروسين لايتوقفان عن الحب ليلا ونهارا ويثيران أعصاب شباب الجيران . .

ومن القضايا التى يهتز لها القضاء والصحة والأمن الغذائى وجمعيات أصدقاء الحيوان كل ما يتعلق بمرض كلب أو قط فى بيت أحد الجيران .

وقد شاءت الصدفة أن أكون شاهدا فى إحدى محاكم فرانكفورت . فقد كان لى قريب يعمل قنصلا عاماً فى ألمانيا . وكان قد نقل من السويد . . وبعد ساعات من دخوله البيت جاءت عربة نجدة . ونزل منها ضابط وطبيب وطبيبة . وطالبوا بلقاء القنصل وزوجته وأولاده فورًا .

وكان القنصل خارج البيت فاستدعوه وحضر . إيه الحكاية؟

الحكاية أن القنصل عنده قطة . هذه القطة قفزت إلى حديقة الجيران وتبرزت فى الحديقة . ولاحظوا أن عندها إسهالا!

هذه هى الكارثة الصحية!

فاستجوبوا القنصل وزوجته وأولاده جميعا وسألوهم عن صحة القطة وعن الطعام الذى أكلته فأدى إلى هذا الإسهال .

ولابد من تحليل دم الجميع وتحليل دم القطة ، وكذلك مخلفاتها لمعرفة الميكروب أو الفيروس . . ولابد من احتجاز القطة فى أحد بيوت تعليم القطط . فلابد من معالجتها أولا . . ثم تعليمها كيف تتبرز فى البيت وليس فى الحديقة . وأن يكون العلاج والتعليم على حساب القنصل!

وبعد شهر عادت القطة . وقام الطبيب والطبيبة باستعراض ما تعلمته القطة . . ولما اطمأنوا على أنها استوعبت الدروس ، خرجوا شاكرين ومحذرين وحصلوا على تعهد كتابى بأنه إذا حدث أى خلل فى سلوك القطة ، فيجب أن يبادروا بإخطار الأمن والصحة!

سألت الضابط مداعبا : افرض أننا تخلصنا من هذه القطة وألقينا بها فى الشارع؟

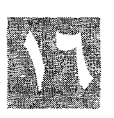
وصدق الرجل أننى جاد فامتقع وجهه . فقلت له : إننى أمزح .

ولكن الضابط كان جاداً جدًا ، حين قال : إذاً هى أزمة بين مصر وألمانيا .

قلت : إلى هذه الدرجة!

قال : نعم!

قبلة : باسم ستة آلاف مليون !


مفاجأة سياسية دينية كبرى : أن يغتال واحد إسرائيلى رئيس وزراء إسرائيل «إسحق رابين» . . وهو رجل يدعو للسلام وينفذه ويعد بما هو أكثر وأكبر . . وكان يهود العالم يرون أن العرب هم القتلة وأن المسلمين هم السفاحون . . حتى أن أحد زعماء روسيا النازيين وصف الإرهاب فى العالم بأنه عربى إسلامى . وأن الإرهابيين فى الاتحاد السوفيتى كلهم من المسلمين . . هذا الزعيم اسمه «جيرونفسكى» . ولما تهجم على يهود إسرائيل ويهود أمريكا قالوا له بمنتهى الوضوح : ولكنك أنت يهودى . . وأنت تعرف أننا نعرف ، مهما تظاهرت بأنك غير ذلك!

ونشروا له صورًا فى المعابد ، وصورًا مع أهله وأقاربه . .

ومعنى ذلك أن اليهود فى إسرائيل وفى أمريكا وفى روسيا : يؤكدون أن الإرهاب عربى إسلامى!

وفجأة اغتال يهودى متطرف رئيس وزراء إسرائيل «إسحق رابين» ، داعية السلام الشامل بين العرب وبين اليهود . .

ولايمكن أن يقول أحد إن هذا اليهودى اليمينى قاتل «رابين» مسلم تحول إلى الديانة اليهودية . . أو أنه من الإخوان المسلمين أو شيعى . . إنه يمينى يهودى إسرائيلى متطرف ، ولو أتيحت له فرصة أخرى لقتل «بيريز» شريك «رابين» فى السلام وجائزة نوبل!

وذهبت مع الرئيس «حسنى مبارك» ، لتقديم العزاء فى شريك السلام وفقيد السلام ، تماما مثل الرئيس «السادات» . . فـ«رابين» انتصر فى سنة ١٩٦٧م ، و«السادات» فى سنة ١٩٧٣م و«السادات» بدأ السلام ، و«رابين» أكمله ، و«السادات» حصل على جائزة نوبل مناصفة مع «بيجين» . . و«رابين» حصل على جائزة السلام مع «بيريز ، وعرفات» . . و«السادات» قتل عند المنصة ، و«رابين» قتل عند المنصة . . و«السادات» بطل الحرب والسلام ، و«رابين» بطل الحرب والسلام . . وقاتل «السادات» ضابط فى القوات المسلحة وكذلك قاتل «رابين» . . وقاتل «السادات» من جماعة الجهاد المتطرفة . . وقاتل «رابين» من جماعة الجهاد اليهودية المتطرفة . . ولن تتوقف عملية السلام لاهنا ولا هناك . لأن السلام ضرورة حياة . والسلام شجرة ترتوى بالدم . .

وفى ذلك اليوم الحزين فى مدينة القدس كان الجو حارًا جدًا . . وفوق جبل «هرتسل» التف الملوك ، والرؤساء ، والأمراء ، والوزراء ، والأغنياء ، ورجال كل الأديان . . وقد وزّعت الشمس حرارتها على الجميع بلا تفرقة . . ووزعوا علينا البرانيط البيضاء والزرقاء ، واندهش الناس عندما ظهر الرئيس «مبارك» وقد وضع على رأسه هذه البرنيطة . . ولم يتنبهوا إلى أن كل الرؤساء فعلوا ذلك . . ثم وزعوا علينا زجاجات الماء . . وكما أن الموت على رقاب العباد ، فالعطش والجوع وحرارة الشمس . .

وعندما ذهبت لتعزية رئيس الدولة «عيزر فايتسمان» وجدت الرئيس «مبارك» والدكتور «بطرس غالى» سكرتير عام الأمم المتحدة ، و«صفوت الشريف ، وعمرو موسى» واقفين معا . فلم يكد الرئيس «مبارك» يرانى ، حتى بادرنى بقوله : يا أنيس أنت من ساعة مانزلت من الطيارة ، ولم تتوقف عن الأحضان والقبلات . .

قلت : هنا الكثير من الأصدقاء ، من القارات الخمس ياريس!

والتفت الرئيس «مبارك» إلى رئيس إسرائيل وقال له : تعرف «أنيس منصور» . .

واستدار «عيزر فايتسمان» لنتعانق فنحن أصدقاء قدامى . .

وأشار د . «بطرس غالى» بأصبعه إلى مكان من خده وقال لى : هنا . . يا أنيس . .

أى أنه حدد لى المكان ، الذى يجب أن أقبله فيه . فقلت للرئيس «مبارك» : إن «بطرس غالى» باسم ستة آلاف مليون نسمة يطلب منى أن أقبله فماذا أفعل ياريس!

وأحسست بيد على كتفى . فالتفتُّ لأرى زميلة صحيفة من الأرجنتين وتهم بتقبيلى فقلت لها : فى عرضك ليس أمام الرئيس «مبارك» . .

فقالت : يعنى إيه ؟

فقلت لها : بعدين أقول لك . .

ـ طيب أبوسك أولاً وبعدين أبقى قل لى . . أنت وحشتنى . .

ـ وأنت كمان . .

فقال لى «بطرس غالى» : يا أخى خليها تبوسنى أنا . . وأنا واخد على الحاجات دى!

فقلت لها : بوسى «بطرس غالى» .

نظرتْ إليه وقالت : ولكن أنا بوسته من أربع سنوات كفاية عليه كده !

كل ذلك من أجل نصف دولار فقط!



«سيد درويش» الموسيقار المصرى الكبير ، مات عن ٣٠ عاما . . ولو عاش ٣٠ قرنا فإنه لن يتقاضى ما يتقاضاه «مايكل جاكسون» ، عن أغنية واحدة!

فعلى أيام «سيد درويش» ، كانت الأغنية بجنيهين وأحيانا بخمسة . . وكان الناس يحسدونه على ذلك ويسألونه : أين تنفق كل هذه الأموال يا شيخ «سيد»!

وكان ينفقها على المخدرات ، التى تشعل النار فى أعصابه ، أو تضع تحتها مخدات من ريش النعام . . ويظل «سيد درويش» ينام بالقوة ويصحو بالعنف . . ومن النوم الافتعالى واليقظة المزيفة ، تعبت موهبته الفنية العظيمة . . وظل كذلك حتى مات!

ويقال عن الفنان الذى عاش ومات مثل «سيد درويش» ، إنه مثل شمعة اشتعلت من طرفيها!

سألت المطربة المصرية الإيطالية «داليدا» ، فى أول حياتها الفنية . . منتهى أملك ماذا؟

قالت : مائة جنيه فى الشهر!

ـ ياه!

ـ كثير ؟

ـ طبعا هذا مبلغ كبير فمن الذى يعطيه لك؟

فقالت بغضب : وأنت مالك يا أخى ، أى واحد مغفل . . أو أى واحد يسمع صوتى ، فيقول : الله يا داليدا . .

وعاشت «داليدا» وأنهت حياتها بطريقتها . فقد كانت حياتها تعيسة . . وعندما أفهمتها بأن طموحها وما تفكر فيه مستحيل تحقيقه وهى صغيرة ـ فى سنة ١٩٦٠ ـ تضايقت منى جداً . . وغضبت ، وحاولت أن أقنعها بأننى أداعبها . ولكنها لم تغفر لى ذلك . . ولم أكن أداعبها ، وإنما رأيت فى سلوكها وتعلقها بكل الشخصيات المستحيلة والعذاب بسبب ذلك ، إنها تحاول أن تجعل من المستحيل ممكنا . . فإذا لم يتحقق ظلت تندب حظها . . وقد أدى هذا الحزن والأسى ، إلى أن كانت أغنياتها الأولى شجية بديعة موجعة للقلب . . حتى أوجعت هى قلبها ، وتعمق فيها الأسى والحزن ، على نصيبها من هذه الدنيا . .

وأحبت وأحبت . . وأعطت وأعطت حتى أضاعت الملايين ، التى كسبتها على أناس لايساوون وزنهم ترابا . . لقد كان من أمالها أن تكسب مائة جنيه ، فكسبت مائة مليون . ثم قابلتها قبل وفاتها ، وسألتها : ما أخبار المائة جنيه؟!

ـ ياه . . أنت لسه فاكر . . ياليتنى لم أكسب مائة مليون . . فأنا تعيسة بهذه الملايين . . ولم أكن سعيدة بعشرات الجنيهات . .

ـ يعنى إيه؟!

ـ كأننى لا كسبت ولا عشت . . كأننى «سيد درويش» قصير العمر رقيق الحال . . موهبة ولدت لتموت . . وتعيش فى الناس بعد أن ذهبت هى إلى غير رجعة!

وفى كتاب صدر أخيرًا عن الموسيقار النمساوى «فرانتس شوبرت» ، الذى توفى فى عمر «سيد درويش» ، أنه لحن ٦٠٠ أغنية ، من بينها ١٤٤ أغنية فى سنة واحدة . . ثم كتب عشرين مقطوعة موسيقية للبيانو ، وتسع سيمفونيات و١٩ رباعية ، وعشرين سوناتا ، وعشر أوبرات . . كل ذلك فى هذا العمر القصير جدا . فما الذى كسبه هذا الشاب العبقرى؟! وكيف عاش وكيف مات وكيف طارده الدائنون ، وماذا قال . وبماذا وعد؟!

كل الذى كسبه هذا الموسيقار العبقرى فى كل حياته ، يعادل بالضبط سطرًا واحدًا فى أغنية لمايكل جاكسون . . ويعادل نصف ما يأخذه «عمرو دياب» فى أغنية ، وواحدا على عشرين ، مما يتقاضاه المطرب اللبنانى «راغب علامة» فى حفلة واحدة . . أو بالضبط يعادل ما تتقاضاه «فيفى عبده» فى إحياء ليلة عرس فى أى فرح!

ومن ضمن الأوراق التى عثروا عليها ، للموسيقار «شوبرت» خطاب بعث به إلى صديق ، يرجوه أن يذهب بنفسه إلى أحد متعهدى الحفلات ، ويكلمه برفق عن أخلاقيات «شوبرت» . . وأنه صادق الوعد وأنه لم يكذب فى حياته . . وأنه مادام قد وعد ، بأن يعيد إليه القرض ، فسوف يفعل ذلك فى أقرب وقت . . وأن كل شىء يدل على أنه سوف يستطيع . . فمطلوب منه أن يلحن عشرين أغنية فى الشهرين القادمين . .

أما المبلغ المطلوب سداده ، والذى احتاج منه إلى هذه الرسالة الرقيقة ، وهذا الرجاء والإلحاح منه ، فهو ما يعادل نصف دولار!!

بقايا كل شئ !



لابد أنه قرار خاطئ جداً أن نبعث بواحدة . . لتكون مستشارنا الصحافى فى باريس . . وواحدة ثانية فى برن . . وواحدة ثالثة فى بلجراد . هل هو نقص فى عدد الرجال؟ هل هى تقليعة؟!

لا أحد يعرف مثل هذه القرارات السخيفة . أذكر أن مستشارنا الإعلامى فى باريس كانت سيدة محجبة . جاءت لانتظارى فى المطار . شكرتها . . حاولت أن تحمل عنى حقيبتى . طبعا رفضت . وكان شكلها غريباً فى عاصمة الحرية والنور . .

ووجدت أمامى عدة صعوبات . . فأنا لا أستطيع أن أجلس معها فى أى وقت من الليل . . ولا أستطيع أن أزورها ولا أن تزورنى . ولا أظنها قادرة على أن تفعل ذلك مع أى أحد من الصحافيين الأجانب . . ثم إنها غير قادرة على مسايرة الجو الفرنسى فى ٩٠٪ من نشاطه . . إذن لقد أرسلنا سيدة معوقة بفتح الواو وكسرها . فلماذا ؟

ولاحظت أن نشاطها كله فى ضوء الشمس . أما فى الليل فهى لاتستطيع لسببين : السبب الأول أنها ترفض السهرات . . السبب الثانى أن لديها أولادًا تربيهم بعد أن انفصلت عن زوجها . والضحية : هى مصر . . فمصر قد أرسلت سيادتها لتكون فى الصف الأول لجمع المعلومات والأخبار والشائعات وتبعث بها لصناع القرار فى القاهرة .

أذكر أننى كنت طرفًا فى مشكلة غريبة جدًا . ولا أعرف كيف استطاع السفير أن يحلها . أو وزارة الخارجية أو هيئة الاستعلامات . فقد شكت لى إحدى المستشارات بأن السائق المصرى يعاكسها؟! السائق المصرى ينظر فى المرآة فوق دماغه إلى السيدة المستشارة وراءه . . ويعلق على أحمر الشفاه والفستان . شكت المستشارة . نفى السائق ذلك . ولانوجد أية أدلة على صدق أو كذب أحدهما ـ وإن كانت المستشارة على حق دائما . لابد أن تكون على حق . . فهى سيدة محترمة ومتدينة . . ولكن السائق أيضا متدين ولم يسمع عنه أحد شيئا من هذا السخف .

وقال السائق : إنهم يعاكسونها . .

بعض الصحافيين الأجانب . . يهزرون ويتمايلون وكلام من مثل ذلك؟!

وأذكر أن كانت لنا مستشارة صحافية فى بلجراد . وكان من صميم عملها السفر إلى معظم عواصم أوروبا الشرقية هى وحدها . هى التى تحجز الفنادق للوفود الصحافية الرسمية التى تجىء مع الرئيس . . وتحل مشاكل كثيرة صعبة . وتظل على التليفون ليلا

ونهارا . وتجرى وتقفل عليها الباب وتبكى . . ولكن أحدًا لايسمع بكاءها ولايراها ولايهمه أن تضرب دماغها فى الحائط . هى اختارت وعليها أن تتحمل ويلات هذا الاختيار . . ثم إنها شماتة الرجال فى المرأة التى تريد أن تكون كالرجل أو تنافس الرجال!

سألت إحدى هؤلاء السيدات : وأين الزوج ؟

ـ فى القاهرة .

ـ منفصلان .

ـ لا . . ولكنه يعمل أيضا . . وفى نفس الوقت لايقدر على خدمة الأولاد . .

ـ يعنى ترك لك الأولاد فى أوروبا ، وأنت عليك أن تذاكرى . وأن تقومى بدور الأب والأم فى البلد الغريب إلى جانب عملك الشاق . .

ـ نعم .

ـ وتسمين هذا ماذا ؟

ـ اسمه : النصيب!

ـ وهو أيضا نصيب مصر أن تكونى أنت المتعلمة الذكية غير القادرة على أن تؤدى عملك الرسمى والعائلى . . يعنى إيه ؟

ـ دوخة !

ـ وإلى متى هذه الدوخة؟

ـ إلى أن أعود إلى مصر . .

ـ وتستقرين فى مصر ؟

ـ لابد أن أخرج مرة أخرى .

ـ والأولاد .

ـ سوف أتركهم لزوجى . . إذا لم يكن قد فكر فى تركى أنا . .

ـ هل هذه الفكرة محتملة .

ـ بل مؤكدة .

ـ . . . .

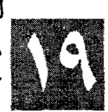
قابلت إحدى هؤلاء المستشارات فى الإسكندرية وسألتها . . اعترفت بأنها غلطة . . غلطة أن تقوم بهذا العمل الشاق ، فلا نجحت فى عملها ولا فى بيتها ولا مع أولادها وزوجها . .

سألتها هل تعيدين الفلوس التى قبضتيها من الحكومة؟

ـ ليس عندى ما أعيده . . فقد سطا اللصوص على بيتنا فى القاهرة فلم يتركوا لنا شيئا . . بل وأخذوا السعادة العائلية . . وكما ترى فنحن بقايا كل شىء . .

ـ . . . . ■

ارتعشت حروف «الحب» فعاش الرجل البرىء!



لم تنته المناقشات فى بريطانيا عن شيكسبير هل هو شخص حقيقى؟ وهل هو الذى ألف كل هذه المسرحيات الجميلة؟

هناك نظرية تقول : إنه شخصية خرافية ، قد توارى خلفها عدد من الشعراء الكبار . . فقد ظهر شيكسبير فجأة كامل الأوصاف . . فقد كان شابا يمسك زمام العربات ، التى جاءت إلى المسرح . . فجأة - ودون مقدمات - قفز على المسرح ، ليكون أحسن شاعر مسرحى فى التاريخ .

والذين أكدوا أنه إنسان حقيقى من شحم ولحم يعودون فيقولون : ولكنه ليس المؤلف الوحيد . . لأن مسرحياته ليست ذات أسلوب واحد . . بل إنها تختلف فى بنائها عن مسرحيات أخرى . . مع أن الكاتب له طريقة واحدة لاتتغير . .

يقال بل لابد أن تختلف أساليب المسرحيات حسب الموضوعات ، وحسب فترات العمر والظروف النفسية والاجتماعية ، التى عاش فيها الفنان . . وهناك فرق كبير بين

أسلوب الشاب والرجل والشيخ . . وطبيعى أن تختلف نظرات ونظريات «شيكسبير» حسب الظروف . لأنه فنان شديد الحساسية ، لما فى داخله ولما هو حوله . وهذا ينطبق على غيره من الشعراء . .

وذهب كثير من الأطباء الأمريكيين ، إلى مقبرة «شيكسبير» وأخرجوا من التراب رفاته ، وراحوا يدرسون ويحللون ويؤكدون أنه نفس الشخص وأنه مات مريضا بكذا وكذا . . وأنه وأنه . .

والإنجليز شهيتهم مفتوحة دائما ، لكل ما يقال عن «شيكسبير» . . فهو الموضوع الجديد دائما . .

وأخيرا ظهر منهج علمى بسيط ، للتأكد من أن «شيكسبير» هو المؤلف الحقيقى لكل مسرحياته . وهذا المنهج الإحصائى اللغوى والتعبيرى لأسلوب «شيكسبير» ، قد أكد نهائيا أن كل مسرحياته من تأليفه ، وليست من تأليف الشاعر «مارلو» والفيلسوف «بيكون» . والمنهج بسيط جدا . وهو : أن كل إنسان له أسلوب خاص به ، وأن هناك عددا من الكلمات المفضلة عند الكاتب . وأنه لايمل تكرارها . . وأن هناك كلمات أخرى تظهر من حين إلى حين . وهى خاصة بالكاتب أيضا . .

فقد أثبت المنهج الجديد ، أن هناك ١٢٠ كلمة يستخدمها ٢٥٪ من الوقت .

وأن هناك ٢٥٠ كلمة يستخدمها ٥٠٪ من الوقت .

وإذا كانت المفردات اللغوية ، التى يعرفها الإنسان حوالى عشرين ألف كلمة . فإنه ينتقى منها ألفى كلمة يستخدمها دائما . .

وقام الباحث الذى ابتدع هذا المنهج ، وطبقه بمنتهى الدقة على مسرحيات «شيكسبير» ، فتأكد أنها جميعا من تأليفه ـ لا جدال فى ذلك . أو لا ينبغى أن يجادل فى ذلك أحد بعد اليوم!

واستعان الأطباء الشرعيون فى بريطانيا بهذا المنهج ، فى بحث ما إذا كانت اعترافات المتهمين فى أقسام الشرطة ، هى من تفكيرهم وأسلوبهم ، أو أنها من إملاء البوليس . وقد أثبت المنهج الجديد ، أن كثيرا من هذه الاعترافات «مفبركة» ، وأن البوليس هو الذى أملاها ، وأرغم المتهمين أن يوقعوا عليها . ولذلك تقرر إعادة محاكمة عدد من المتهمين ، وإطلاق سراحهم بعد ذلك!

وإلى جانب الكلمات التى يختارها ويفضلها أى كاتب ، فهناك طول الجملة وعلامات الترقيم التى فى نهايتها . . وهناك أيضا الروح العامة للكاتب : متفائل . . متشائم . . عصبى . . هادئ . . يائس . . حريص على أن يقول ويطيل ، أو أنه متعجل يريد أن ينتهى من كلامه . .

بالإضافة إلى شكل الحروف والنقط . . هل يضع النقط اثنتين اثنتين ، أو يضعها واحدة . . واحدة وربما كان ذلك أوضح فى الخط العربى ، حيث توجد نقط فوق وتحت الحروف . .

ولا يزال القضاء الفرنسى ، يتحدث عن رجل تقرر إعدامه ، وأنقذته حبيبته ، لأنها تأكدت من أنه برىء . . فقد قالت : إنه فى كل مرة يكتب كلمة «حب» فإن حروفها ترتعش . . أما هذه الخطابات التى بعث بها إلى إحدى السيدات يهددها فيها بالقتل فليست كذلك . .

وأخذ القاضى بوجهة نظرها . . لقد وهبته الحياة!

.. ثم طردوا الطاهى !



في كل بلد يوجد تعصب كروى بين الأندية الرياضية . فى مصر تعصب عنيف بين أنصار النادى الأهلى ونادى الزمالك . . فيقال أهلاوى وزملكاوى . .

كنت قد دُعيت إلى إفطار فى بيت أحد الأقارب ، الضيوف كثيرون .

وانطلق مدفع الإفطار وبسرعة اشعلت السجائر وامتدت الأيدى إلى شوربة ساخنة .

وانتقل الكلام إلى موضوعات مختلفة ، من ضمنها عادات الشعوب العربية فى الإفطار . وطال الكلام المعاد . . ولم يدعنا أحد إلى تناول الإفطار . . فجاءوا لنا بشوربة مرة أخرى .

بعضنا شرب وبعضنا اكتفى بما قد شرب . . وتحول الكلام مرة أخرى إلى السياسة . . وسمعنا كلاما عاليا ولاحظنا اضطرابا وحركة غير عادية فى البيت . . ثم فجأة انطفأت الأنوار فى البيت . . وانتقل الكلام عن انقطاع التيار الكهربى .

وكل واحـــد حكـى حكاية . . الدكـــاترة لـهم حكايات . . والمهندسـون لهم قـصص . . ولـم يدعنا أحـد إلى الطعـام . . ولا ظهرت الشـموع التى نضعـهـا فى غـرف الطعـام على سـبيل الاحتيـاط . . ولاحظنا أن أصواتنا عالية . . ولكنها غير مفهومة . . وجاءوا لنا بالشوربة . . فلم تمتد يدنا إليها . .

وتبخرت فى أفواهنا الكلمات ، وفى رءوسنا الموضوعات التى تجىء عادة مع انقطاع التيار . . مثل الكلام عن انقطاع المياه . . وعن تلوث البيئة . . وبعضنا اتجه إلى التليفزيون . .

ومنعنا الحياء أن نسأل :

ماذا حدث ؟!

ومن الغـريب أن البـيوت المجاورة ، بل والشـقق فى نفس البـيت مضاءة . . وأغرب من ذلك أن المطبخ مضـاء . . أما غرفة الطعام هى التى أطفئت أنوارها . . والأصوات تتـعـالى . . وأناس كـثيـرون من أهل البيت قد هبطوا السـلالم . . وكان الأسـانسير مايزال يعمل . . شىء غير مفهوم!!

وتقدمت اسأل : إيه الحكاية .

قيل : النور انقطع فى غرفة الطعام .

ـ كيف ؟

ـ أهو ده اللى حصل .

ـ موجود بيننا مهندسون وفى استطاعتهم . . . .

ـ حاولوا ولكن لـم يفلحوا . .

ـ والأكل .

ـ هذا هو المشكلة . . ولكـن بعـد دقـائق سـوف يكون كل شىء جاهزاً . . ليس كل شىء ، ولكـن الذى استطعنا أن ندبره .

- يعنى إيه !

- يعنى إيه !

- يعنى حاجة تكسف .

- إيه اللى يكسف .

- الأكل أكلته القطة؟!

- حالا سوف يصل الأكل . . لقد أرسلنا إلى كل أصحابنا وجيراننا أن يساهموا فى حل الأزمة التى وقعنا فيها . .

حدثت أزمة . . ووجدوا أن الحل الوحيد ، أن يطلبوا إلى الجيران والأصدقاء أن يبعثوا بما تيسر لديهم من الطعام من كل لون ونوع . .

وفجأة أضيئت قاعة الطعام ، ووجدت أطباقا من كل حجم ولون على المائدة . . لخبطة كبيرة جداً .

وأصحاب البيت وجوههم حزينة مضطربة مرتبكة .

ولم يشأ أحد من الضيوف أن يسأل . .

وبعد تناول القليل من الطعام القليل ، عرفنا السبب الحقيقى والسخيف أيضا . . ولكنه سبب تقليدى من الممكن أن يحدث فى بيوت كثيرة .

إيه الحكاية ؟ .

الحكاية أن هذه أسرة «أهلاوية» متعصبة ، وكان عندهم طباخ جديد ، فاكتشف الشبان من هذه الأسرة أنه زملكاوى ، فطردوه دون أن يكمل الطعام!

هل هذا معقول ؟

ليس معقولاً ولكن هذا ما جرى .

ومن الممكن أن يقع ما هو أسوأ من ذلك!

اختار الروس الولد الحليوة !



ذهبت أتفرج على المعرض الدولى للطيران فى باريس ، وقد عرض الأمريكان نماذج من سفن الفضاء ، وكانت السفن أول الأمر صغيرة ، ولكنها الآن كبرت واتسعت لعدد من الرواد والحيوانات أيضا ، وهناك فوارق كبيرة بين سفن الفضاء الروسية والأمريكية . وقد رأيت سفن الفضاء الروسية ، فكانت صغيرة ضيقة خشنة . لاتراعى فيها روسيا أية راحة للرائد . . كما أنها لا تراعى راحة الجنود فى دباباتها أو طائراتها . . لأن الجندى فى مهمة وليس هناك وقت للدلع والرفاهية . . على عكس سفن الفضاء الأمريكية والدبابات والطائرات والغواصات . رقيقة مريحة من الداخل ومكيفة الهواء أيضاً . . وكذلك ملابس رواد الفضاء والجنود والضباط . والملابس الروسية خشنة غليظة .

والذى أدهشنى هو طعام رواد الفضاء الأمريكان . فالطعام على شكل أنابيب معجون الأسنان . فالرائد يضع الأنبوبة فى فمه ويضغط عليها . . ويدخل الطعام العجين إلى فمه ، إلى حلقه ،

ولابد أن يستخدم عضلات الفم حتى ينتقل الطعام من الأنبوبة إلى فمه ، إلى حلقه ، ومشكلة الرائد بسبب انعدام الجاذبية فإن الطعام لايتحرك إلى أسفل . . ولو كان يشرب شوربة مثلاً . . فسوف تظل قطرات الشوربة التى سقطت من فمه معلقة فى جنوب السفينة لاتطلع ولاتنزل . . لأنه لا جاذبية . فكان لابد من استخدام مضخات ماء قوية جداً . . لأن الدش لاينزل منه الماء ـ إذا نزل ـ ويبقى إلى جواره . . فلا جاذبية . . ولذلك لابد من استخدام ضغط الهواء بمنتهى القوة . . وفى استطاعة الرائد أن ينام واقفاً أو جالساً . . أو معلقاً فى الهواء .

والناس مجنونة بأخبار الفضاء . . سفن الفضاء ورواد الفضاء والكواكب القريبة والنجوم البعيدة . . وإن كانت هناك كائنات فى كواكب أخرى . . كائنات أعقل أو أقل عقلا من الإنسان .

أخيراً أثبت العلماء أنه لايستبعد أن تكون هناك حياة بشكل ما على كوكب المريخ . . أو كانت هناك حياة ولسبب لانعرفه انقرضت . . أو كانت ولاتزال حياة بدائية على شكل كائنات لها خلية واحدة أوأكثر . . وقد أرسل الروس سفن فضاء آلية إلى المريخ ـ وكذلك فعل الأمريكان . وإن كان الأمريكان سوف يجددون رحلاتهم إلى المريخ فى العام القادم وقد شجعهم على ذلك أنهم وجدوا فى أحد النيازك التى سقطت على الأرض من عشرين ألف سنة . . إن فى هذا النيزك بقايا خلايا عضوية عمرها أربعة آلاف مليون سنة . . أى أنه كانت على المريخ صورة من صور الحياة . وليس من المستبعد أن تبقى هذه الحياة التى لم تتطور .

وكل شىء على كوكب الأرض كان هناك فى الفضاء

الخارجى . . الخلايا العضوية والميكروبات كلها جاءت من فوق . . محمولة على ظهر النيازك أو الغبار الكونى .

وروسيا كانت أسبق إلى الدوران حول الأرض . . وإلى الهبوط بسفنها ومراصدها إلى القمر والكواكب الأخرى . ولكن الأمريكان أكثر تطوراً وأقدر مالياً وعلمياً على بلوغ أبعد الكواكب فى المجموعة الشمسية ورصد عشرات الأقمار حول الكواكب (فى المجموعة الشمسية أكثر من خمسين قمراً) .

وقد أقامت روسيا الفقيرة معرضاً شعبياً بديعاً فى موسكو . . فأى مواطن مقابل مبلغ من المال يستطيع أن يدخل المعرض وأن يجلس فى إحدى سفن الفضاء ويرى ويسمع انطلاق السفينة بصواريخها إلى الفضاء . ويرى الابتعاد عن الأرض والقرب من القمر والكواكب الأخرى . ويرى النيازك والشهب والمذنبات . . كل ذلك فى داخل السفينة . . ثم إنهم يقدمون له طعاما كالذى كان يتناوله رواد الفضاء فى رحلات العذاب من الأرض وإليها .

وفى أمريكا يرى الرواد متحف (سمثونيان) أعظم وأجمل وأروع وفى هذا المتحف كل أنواع سفن وصواريخ الفضاء والمركبات التى هبطت على القمر والمريخ والزهرة والمشترى ونموذجاً لمرصد هابل المدارى . . ولكنه فى صورة أجمل وأروع وأمتع .

أما سفينة الفضاء الروسية فى موسكو فيشرف عليها ويديرها رائد الفضاء الروسى تيتوف الذى حقق مالم يستطع أن يحققه أى رائد فضاء آخر . لقد دار حول الأرض وحده سنة كاملة . . ولكن لا شىء يحزنه إلا أنه لم يكن أول إنسان روسى يدور حول الأرض .

يقول تيتوف : إنهم اختاروا جاجارين . . مجرد شاويش لا لشىء إلا لأنه حليوة!

هذه سنة المريخ!



يوم ٤ يوليو القادم تكون سفينة الفضاء الأمريكية التى اسمها (استكشاف الطريق) قد وصلت إلى مدار حول كوكب المريخ الذى نتمنى أن نعيش عليه . رغم أن هواءه فاسد تماما ورغم أن الماء جليد تحت قشرته . . ولكن من هذه السفينة سوف تهبط أجهزة فى داخل بالونات تسقط على المريخ . . ثم تستقر ويخرج منها معمل يقيس الحرارة والمغناطيسية وتخرج منه أصابع تحفر فى الأرض وتستخرج التربة وتحللها . وتبعث بأبحاثها وصورها إلى السفينة التى تدور حول المريخ والتى تبعث بها إلى الأرض .

أما المعمل الذى يهبط على سطح المريخ فسوف يستمد طاقته من الشمس ومن مفاعل نووى صغير . . ومن تحويل غاز ثانى أوكسيد الكربون إلى غاز الميثين إلى طاقة .

وكان العلماء قد اكتشفوا حجراً ، قد أفلت من جاذبية المريخ وراح يدور حوله ملايين السنين ثم اقترب من كوكب الأرض

فشدته الجاذبية إلى مكان فى القطب الجنوبى من ألوف السنين . . وأخيراً عثر عليه العلماء . وحللوه فوجدوا به خلية كانت حية ثم ماتت . . متى ماتت لايهم؟

ولكن المهم أنها كانت حية من ملايين السنين . . أى كانت هناك حياة فى المريخ . . وهذه الحياة على شكل خلية . وكل الحياة على الأرض من نبات وحيوان كانت خلايا فوق . . فى الفضاء الخارجى . . فى مكان ما . . أو فى كل مكان . . ثم تطورت الخلايا وفقا لقوانين لانعرفها . . ووسط تفاعلات كيماوية ومغناطيسية استغرقت مئات ملايين السنين .

ولذلك فكل أشكال الحياة فى الكواكب الصالحة للحياة وعددها يبلغ ملايين ملايين ملايين . . حتى آخر الصفحة من الكواكب ، كانت على شكل خلايا حية ثم تطورت حتى صارت كائنات معقدة وعاقلة أيضا .

وكل ٢٦ شهراً سوف تنطلق سفينة فضاء إلى المريخ . . حتى نتمكن فى ٢٠٠٩ من إرسال طاقم من رواد الفضاء مزودين بكل مواد الحياة والإقامة كخطوة أولى نحو الحياة على سطح الكوكب الأحمر .

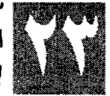
ولكن حدث منذ أيام أن عثر العلماء على جليد عند القطب الجنوبى للقمر . . أى أنهم وجدوا ماء . . فإذا كانت هناك حياة أو من الممكن أن تكون حياة . . الله تعالى يقول : ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ صدق الله العظيم .

إذن سوف ننطلق مرة أخرى من القمر إلى المريخ . . أى بدلاً من أن ننطلق من مدينة الفضاء المدارية التى اشترك فى تركيبها الروس والأمريكان وعلى ارتفاع ٣٠٠ كيلو متر من الأرض سوف تكون المحطة المناسبة هى القمر الذى يبعد عنا ربع مليون كيلومتر .

وكما أعلن الرئيس كيندى للشعب الأمريكى أنه سوف يصل إلى القمر . ووصل الأمريكان إلى القمر ، فكذلك أعلن تلميذه وخليفته الأقوى والأجمل كلينتون أنه سوف يصل الأمريكان إلى المريخ ، وقد وصلت سفنهم إلى المريخ عدة مرات . . أما هذه السفينة فسوف تعود ولايزال كلينتون رئيسا لأمريكا . . أما السفينة الثانية فسوف تعود إلى الأرض فى عهد الرئيس الأمريكى الجديد . فمن يدرى ربما جاء الرئيس آل جور الذى هو الآن نائب الرئيس كلينتون .

وكان الأمريكان قد وصلوا إلى المريخ قبل ذلك ودارت سفنهم حول المريخ . وجاءت بمعلومات مهمة ولكنها ليست كافية . أما الهدف الآن فهو أن تذهب السفن وتأتى بعينات من الهواء والتراب والحجارة والماء والخلايا الحية أو الميتة ، قبل أن يهبط الرواد بعد ١٤ عاماً .

اشتم أباك .. تصبح زعيماً



شيء عجيب : فالمصريون رغم الاحتلال الإنجليزى لبلادنا سبعين عاماً ، فأكثرنا لايتكلم الإنجليزية ، وإذا تكلمها فالنطق سيء ، والأخطاء فادحة . . حتى عند الذين أكملوا دراستهم فى بريطانيا أو فى أمريكا! ومن الوزراء ـ تصور! ونحن لانحسن النطق باللغة العربية ، بل إننى أشعر فى كثير من الأحيان أن الشبان ـ خصوصاً الشبان ـ يتكلمون العربية كأنها لغة أجنبية . فالحروف متآكلة والعبارات غير مترابطة . . والمتحدث كأنه يمشى على شوك .

يعنى إيه ؟

يعنى أن هناك إهمالاً واضحاً فى تعلم اللغة العربية وأن الطريقة التى يتعلمون بها كريهة . . فالكتب شكلها سيىء والنصوص الأدبية لتدريب اللسان على النطق قديمة وعنيفة ومنفرة ، إنها غلطة المؤلفين والمدرسين . ثم التهاون فى أخطاء هذه اللغة . يجب ألا نتهاون وألا نسمح وأن نعاقب . وأن يكون الوزير أو المدير الذى يخطئ فى النحو والصرف ، مادة للفكاهة . لأنه غير مقبول ولا معقول أن يكون الوزير أو المدير ، الذى هو قدوة مهزلة للتلامذة

الصغار . ويجب أيضاً أن تكون اللغة العربية هى المادة الأولى وأن نتشدد تماماً فى تعليمها وفى العقاب على أخطائها . وليس هناك أى عذر مقبول لمن يخطئ فيها . لا عذر مقبول على الإطلاق!

أذكر أنه حدث فى «يوم العمال» أن وقف وزير العمال يلقى بياناً مناسباً فوجدت به تسعين غلطة نحوية! وهاجمت الوزير بمنتهى العنف . وكلمنى الوزير فى التليفون وقال لى : أنت بتهاجمنى لأننى وزير عمال .

قلت : بل لأنك وزير !

وعرفت أن الخطبة كانت مطبوعة وعليها كل علامات الترقيم وأنه أخطاء حتى فى قراءتها .

ومما قلته فى المقال : أيها الطالب الصغير لا تذاكر لا النحو ولا الصرف . . لأنه من الممكن أن تكون وزيراً !

وأذكر أنه صدر فى ذلك الوقت كتاب عن الزعيم ماوتسى تونج . وجاء فى هذا الكتاب أن ماوتسى تونج قد تشاجر مع والده وشتمه وخرج من البيت ثائراً على والده وعلى الحكومة وعلى النظام . . ثم صار زعيماً للصين .

فكتبت مقالاً بعنوان : العن أباك تصبح زعيماً للصين . واغلط فى النحو تصبح وزيراً فى مصر؟!

وغضب الرئيس جمال عبد الناصر من الهجوم العنيف على أحد وزرائه .

وألقى الرئيس عبد الناصر خطاباً وأخطأ عدة مرات . وضحك والتفت إلى الحاضرين وقال : ولن يجرؤ أن يعلق على ذلك!

يقصد أننى لن أجرؤ أن أعلق على ذلك !

ولم أجرؤ طبعاً !

أنا العريس الاحتياطى!

٢٤ وسط الطبل والزمـــــر واتمخطرى يا حلوة يازينة . . وياليلة بيضاء . . وقيدوا الشموع . . أحبه مهما أشوف منه . . وياعوازل فلفلوا . .
اقتربت من والد العروس وهمست فى أذنه : يا أخى عاوز أقول لك كلمتين .

- ضرورى دلوقت .

- إذا لم أقل لك فسوف أنفجر .

- وتعمل لنا حريقة وتفركش الزفة .

- أيوه .

قلت له : تسمعنى للآخر .

- أيوه .

- قال ﷺ : «دخلت النار امرأة فى هرة . . لا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض» . وحديث آخر يقول :

«غفر الله لرجل قدم شراباً لكلب عطشان» . . وعمر بن الخطاب رأى رجلاً يسحب ماعزاً من ساقها لكى يذبحها . فقال له : قدها إلى الموت قوداً جميلاً !

- يعنى إيه ؟

- أيوه أقول لك يعنى إيه . . ولا بلاش .

- يا راجل أنت واخدنا بعيداً عن الناس لكى تقول لى : بلاش!

قلت له : بصراحة أنا معترض على هذا الزواج من أوله لآخره . . يا راجل يا محترم يامتعلم جداً فى مصر وفى أمريكا كيف توافق على زواج ابنتك الصغيرة الحلوة من رجل فى مثل سنك . . ومستعجل جداً على إنهاء الفرح وسفرها إلى الخارج . . أعطها فرصة تبكى . . أعطها فرصة لكى تودع الدنيا قبل رحيلها . . أنت قفلت عليها الباب والشباك ومنعتها من السفر ومن الحياة المناسبة لشابة مثلها . . وبعد ذلك تلقى بها إلى الهاوية!!

ثم نظرت ورائى فوجدت العريس العجوز يراقص العروس التى زى القمر . . وفى غضب قلت لوالد العروس : هذا الذى تراه . . لايجعلك تفكر لحظة واحدة فى أن تلقى بنفسك من النافذة . . حاول وسوف أتولى فتح النافذة لك . . وسوف أنشرها ثم أنقل إلى القراء آخر آرائك ونصائحك إلى أولياء الأمور ألا يرتكبوا مثل هذه الجريمة . . وأنا دهشتى لاتنتهى كيف أن أم العروس هى الأخرى سعيدة بهذا الشكل ولاتتوقف عن تقبيل العريس والعروس . . ما هذا الذى أراه؟

ـ وبعدين ؟

ـ تقولها هكذا ببرود شديد كأنك لم ترتكب جريمة . . وكأن ضميرك قد مات وشبع موت . . وأنت الآن لم تعد تشعر ولاتخجل . . ماذا جرى لك ؟

منذ أجريت عملية فى القلب وأنت لم يعد لك قلب . . كل هذا من أجلٍ ماذا ؟ الفلوس؟ هل أنت مدين له؟ أنت رجل غنى . . قطعاً أغنى منه . . فهمنى أرجوك . . فأنا لا أقوى على أن تسلم ابنتك لهذا المصير وهى لم تقترف جريمة واحدة إلا أن تكون مطيعة لك ولزوجتك؟ قل لى!

ـ يا أخى أنت لم تعطنى فرصة لكى أقول لك . . وأنا لن أطيل فى الكلام . . وإنما سأكتفى بأن أقول لك أنا حر والعروس حرة أيضا .

ـ أنت حر فى حقك . . وهى حرة فى أن تتزوج رجلا فى سن والدها؟

ـ نعم هى حرة وهى التى اختارته .

ـ اختارت هذا الرجل . . تحت أى ضغط؟!

ـ يا أخى لم تختر هذا الرجل . . إنها اختارت ابنه . . والابن فى أمريكا . . وهو الذى أصر على أن يمشى إلى جوارها فى الزفة . . وهو سعيد . وهى سعيدة وكلنا سعداء . . استرحت!

ـ . . . .

ـ رد! استرحت الآن؟!

ـ الآن استرحت .

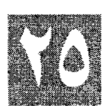
ـ أنت هل نسيت أنها ابنتى الوحيدة . . فهل من المعقول أن ارتكب هذه الجريمة .

ـ طبعا مادامت بنتك تحب العواجيز .

ـ آه . . هاها . . تريد أن تقول إنك انت أولى بها من هذا الرجل . . تعال لكى نقول للعروس كيف حزنت أنت على مصيرها . . تعال . . نضحكها هى والعريس العجوز .

وتقدم أبوها يقول للعروس : أقدم لك عمك . . وقد تقدم لخطبتك وانتزاعك من براثن هذا العجوز . . مبروك : عندك عريس احتياطى!

امسكوا هذا الحرامى!



لكثـرة اللصـوص فى هذا الزمـان ، إذا أنت مشيت فى أى شارع وقلت : امسكوا الحرامى فأنت تجد الشارع كله يجرى دون أن يلتفت أحد وراءه . . كلهم لصوص ياسيدى!

وكذلك سرق بعض الناشرين كتبى فى كل البلاد العربية وفى إسرائيل وفى الضفة وفى إيران والملايو شكوت وصرخت : امسكوا الحرامى!

وفوجئت بأن ناشراً أردنيا نكرة يدافع عن الحرامية . . مع أننى لم أقل أن الذى سرق خمسين أو ستين أو سبعين من كتبى من الأردن أو من أى بلد عربى .

وكل الذى قلته : أنه كان زمان نشكو اللصوص إلى اتحاد الناشرين المصريين ، فيقوم الاتحاد بإيفاد عدد من الناشرين والمحامين إلى بيروت . ويحتكم إلى القضاء ولايصل إلى شىء . ولكن على الأقل فإن المؤلف استنكر واحتج . ويمضى الناشر اللص فى سرقة

الكتب ولا يوجد قانون لا هنا ولا هناك يمنعه من أن يفعل ذلك ، وهكذا يتأكد عجز اتحاد الناشرين المصريين عن عمل شىء مع الناشرين العرب ، ولكن وجد الناشرون المصريون حلاً لهم ، وليس للمؤلفين ، وهو أن تكون لهم مطابع فى لبنان . . يقومون هم بسرقة المؤلف المصرى وإعادة طبع كتبه وبيعها بعيدا عن مصر وعن المؤلف الغلبان!

وهكذا يتحول الناشر المصرى إلى ناشل يسرق المؤلف المصرى . فهو ـ إذن ـ أولى من الناشر اللبنانى!

وتشكل «اتحاد للناشرين العرب» يضم كل الناشرين من كل لون ، ولو قام واحد منهم بتزوير كتب لمؤلف مصرى فليس من الطبيعى أن يجد من يعاتبه أو يلومه فقد اتفقت مصالح الناشرين ضد المؤلفين وأنا أتكلم باسم المؤلفين المصريين فقد أصدرت مائة وستين كتابا وأينما أذهب أجدها مسروقة ومزورة . وهنا لا أعرف من الذى فعلها . . فالكتب مطبوعة طبعات جديدة ولا يوجد اسم للمكان الذى طبعت فيه ولا اسم للناشر الجديد وبدلا من أن يحصل المؤلف المصرى على حقه من الطبعات الجديدة فإنها تذهب كلها مرة أخرى إلى الناشر الأصلى أو الناشر الخفى .

فماذا حدث؟

لا شىء فقد اتحد الناشرون العرب ضد المؤلفين المصريين ، فما العمل؟ القانون المصرى يمنع هذه الكتب المزورة من دخول مصر يا فرحتى! ولكن ستبقى الكتب المزورة تباع خارج مصر فى كل

البلاد العربية ولا أحد يعرف من أين جاءت ، ولايوجد أى دليل على موافقة المؤلف على إعادة طبعها خارج مصر . . ومن الممكن أن يقول لك أى بلد عربى : نحن لن نوقع على الاتفاقية الدولية التى تحمى حقوق المؤلفين . وفى هذه الحالة لايملك المؤلف أن يفتح فمه والمفروض أن الناشرين يستطيعون .

ولكن كيف يفتح الناشر فمه إذا كان هو الذى سرق المؤلفين برضاء الناشرين .

إنها فضيحة أخلاقية ومذبحة فكرية وعار أن تعجز الحكومات عن معاقبة اللصوص أيا كانت أسماؤهم .

وأعجب من كل ذلك أن يتبجح ناشر فيدافع عن اللصوص . . أو عن نفسه وأن يجد من يسمع له أو ينشر له شكواه .

ففى أى زمن يعيش المؤلفون؟ إنهم يعيشون فى زمن القرصنة والناشلين!

من عجائب الصدف !



ولد جمال عبد الناصر وأنور السادات فى سنة ١٩١٨ . . وولد نابليون وولنجتون البريطانى الذى هزمه فى معركة ووترلو سنة ١٧٦٩ .

ومات الأديب كوكتو ١٩٦٣ بعد ساعتين من وفاة المطربة اديث بياف التى أحبها طول عمره .

وصدفة غريبة أيضا أن يولد هؤلاء العظماء فى سنة ١٨٨٩ : العقاد وطه حسين والمازنى وعبد الرحمن الرافعى وهتلر ونهرو وشارلى شابلن وكوكتو والفلاسفة الوجوديون : هيدجر الألمانى ومارسيل الفرنسى وفتجنشتين النمساوى وعميد المؤرخين الإنجليزى توينبى .

ومن عجائب الصدف ما حدث فى اغتيال الرئيسين الأمريكيين إبراهام لنكولن وجون كيندى .

لنكولن اختير رئيسا سنة ١٨٦٠ .

وكيندى اختير رئيسا سنة ١٩٦٠ .

وجاء من بعدهما رئيسان من الجنوب وكل منهما اسمه : جونسون فبعد الرئيس لنكولن جاء أندرو جونسون وبعد الرئيس كيندى جاء لندون جونسون .

وقد ولد أندرو جونسون سنة ١٨٠٨ .

وولد لندون جونسون سنة ١٩٠٨ .

وجون بوث الذى اغتال لنكولن ولد سنة ١٨٣٩ .

وأزوالد الذى اغتال كيندى ولد سنة ١٩٣٩ .

وكل من هذين المجرمين قد قتل مباشرة بعد ارتكاب جريمته .

قاتل لنكولن ارتكب جريمته فى أحد المسارح وهرب إلى أحد بيوت الأزياء .

وقاتل كيندى كان فى أحد بيوت الأزياء وهرب إلى أحد المسارح .

ويوم اغتيال لنكولن قال لحارسه : عندى إحساس بأن هناك من يريد قتلى .

وليس أسهل من ذلك . ولايستطيع أحد أن يمنعه .

ويوم اغتيال كيندى قال لزوجته ولحارسه : ليس أسهل من اغتيال الرئيس الأمريكى . يكفى أن يمسك أى إنسان بندقية بها تلسكوب ويسددها من فوق . ولا أحد يستطيع إنقاذ الرئيس الأمريكى!

والرئيسان لنكولن وكيندى من أنصار (حقوق الإنسان) ورفض التفرقة العنصرية .

وكلاهما قد اغتيل يوم الجمعة . .

وكلاهما كانت ترافقه زوجته . .

وأعـجب من كل ذلك أن الرئيس لنكولن كـانت سكرتيـرته اسمها مسز كيندى .

والرئيس كيندى كانت سكرتيرته اسمها مسز لنكولن .

وسكرتيرة لنكولن نصحته بألا يذهب إلى المسرح .

وسكرتيرة كيندى نصحته ألا يذهب إلى ولاية دالاس .

وقد حاولت إحدى المشتغلات بالتنجيم أن تتصل بالرئيس لنكولن لتقول له : لا تذهب فى ذلك اليوم!

ولكن الحراس منعوها فتركت لهم رسالة . فتحوا الرسالة بعد اغتيال الرئيس فوجدوا هذه العبارة : سوف يصلك هذا التحذير بعدم الذهاب ، ولكن بعد فوات الأوان!!

وحاولت سيدة مشتغلة بتحضير الأرواح أن تتصل بـ «جاكلين» زوجة الرئيس كـيندى لتقـول لهـا مـاقـالتـه الأرواح فى إحـدى الجلسات . لم يمكنوها . ثم حاولت تليفونيا فلم تستطع . فبعثت لها ببرقية فلم ترد عليها .

وأخيراً أرسلت لها برقية عاجلة تقول فيها : تركت عند سكرتيرك شريطا مسجلا بصوتى أحذر فيه الرئيس كيندى من السفر إلى ولاية دالاس حتى لايلقى مصرعه هناك!

فلاهى يابانية ولاهى أمريكية
.. وإنما أسوأ من الاثنتين !

٢٧ لاتوجد قواعد أو شروط أو صفات واحدة للشىء الجميل أو للإنسان الجميل . فالذى تراه أنت لا أراه أنا . والذى تراه وأنت صغير لاتراه وأنت كبير . . وأبناء الريف لهم شروط فى الجمال لايوافق عليها أبناء المدن . .

وأبناء إفريقيا السود لهم مواصفات فى المرأة الجميلة أو الرجل الجميل لايتفق مع أبناء آسيا . .

والسود والصفر يرون ملامح الجمال لاتوافق عليها الشعوب البيضاء . .

ويحدث كثيرًا جدًا أن تجد رجلاً لطيفًا رشيقًا وإلى جواره بقرة بيضاء - وتسأل من هذه فيقال لك : زوجته!

وتندهش كيف يختار الرجل هذه المرأة . عبط؟ لا . . أمال إيه؟ مزاج يا أخى . . طبعا هى أشطر منه لأنها اختارت الألطف والأرق والأجمل!

أما لماذا يحدث ذلك؟ فالكلام كثير . .

ولكن الخلاصة : إن الجمال نسبى . . يختلف من إنسان لإنسان . . ومن مرحلة من العمر إلى مرحلة أخرى . .

وعندما زرت الصين وهونج كونج وسنغافورة . . كنت أندهش أول الأمر لهذه الأجسام الدقيقة الصغيرة . ولكن بمرور الوقت تعودت على أن أرى وأتأمل وأبحلق وأفهم . . صحيح أجسام صغيرة . ولكنها متناسبة متناسقة جميلة . . الملمس حرير وكل الخطوط متناسقة . . والشعر أسود فاحم لامع . والعيون شديدة السواد . . وعميقة البياض ومنحرفة . ولكن إيه يعنى ؟

ولكنها لاتخلو من جمال أيضا . يعنى بعد عدة أيام اعتادت عينى على هذه الملامح الدقيقة الرقيقة والجميلة أيضاً . . وبدأت أدور حول نفسى أتلفت للتى تجىء والتى ذهبت . . والتى تأكل والتى تتكلم والتى تضحك . والتى ليس فى نيتها أن تفعل شيئا من كل ذلك . والنتيجة : جميلات جدًا . . .

ولما ذهبت إلى الهند وجدت المرأة الهندية صفراء سمراء . . شعرها حرير طبعا . وتكشف عن بطنها . والبطن هناك ليست عورة . وإنما العورة هى كتفاها!!

والمرأة الصينية تفتح فستانها من الوسط إلى الأرض . وبطنها عورة وكتفاها أيضا . وتشعر أنها ليست هى التى شقت فستانها . وإنما أى واحد من بلاد أخرى . . فحتى لايرتكب أحد هذه الحماقة ليرى ساقيها ، فإن المرأة الصينية قد وفرت عليه هذا العناء . . وشقت فستانها وخرجت من هدومها!

ولاحظت بعـد أيام فى الهند ، أن المرأة الهندية جـميلة الملامح . . أوروبيـة الملامح ، بل أجـمل من الأوروبيـات . . فالعين واسعة والحاجب فى مكانه والشفتان دقيقتان والأنف شامخ . . وهذا لو كانت خليطا : الأب هندى والأم إنجليـزية . . فـفى الهند جمال حقيقى!

ولما ذهبت إلى اليـابان لم أجـد فـارقًـا واضـحًـا بين اليـابانيـة والصينية . . ففى اليـابان فتيـات لونهن أبيض وطويلات أيضا . . ولابد أن تكون هناك فوارق . . هذه الفوارق تحتاج إلى وقت طويل لكى أقارن بدقة بين اليابانيـة والصينيـة والكورية شـمالا وجنوبا وبنات تايوان . . تحتاج إلى وقت . ولكن نسبة الجمال الصينى فى كل هذه البلاد عالية . .

ولما سافرت إلى أستراليا . . رأيت المرأة قد طالت وارتفعت عن الأرض . . صحة وعافيـة وحيوية . . ولكن ليست حلوة . . وظلت صورة المرأة الصينيـة هى المكتسـحة لعينى . . وبعـد مـرور الوقت اعـتـدت على الجـمـال الأسـترالى الأوروبى الأصل . . وظهـرت جميلات كثيرات . .

وإذا كـانـت المرأة الهندية لاتضـحـك إلا نادرًا ، فـإن المرأة فى إندونيـسيـا والفلبين لاتكشـر إلا نادرًا فـهى تضـحك طول الوقت لسبب ولغير سبب . . ولغير سبب أكثر . حلوة؟

نعم حلوة . . رقيقة . . وهى وسط بين المرأة الصينية والمرأة الهندية . . والمرأة فى هاواى لاتعجبنى بالمرة . .

أما السـبب فهى أنها يابانيـة الأصل تريد أن تكون أمريكيـة . . فلا هى يابانية ولا هى أمريكية . . وإنما هى أسوأ من الاثنتين!

لاوجه للشبه : ولكنهن جميلات !



لاتوجد امرأة أوروبية كما أنه لاتوجد امرأة إفريقية أو آسيوية .

فالمرأة السورية واليمنية والصينية كلهن آسيويات ، ولكن المرأة السورية جميلة . أجمل من اللبنانية . أجمل من الفلسطينية . . وكلهن آسيويات .

والمرأة الإفريقية هى المصرية والمغربية والصومالية ونساء الهوتو والتوتسى . . كلهن إفريقيات .

والصفة الإفريقية هى صفة جغرافية ، وليست صفة جسمية أو لغوية عنصرية .

فكما أنه لا وجه للشبه بين نساء لبنان ونساء اليمن ، فلا وجه للشبه بين نساء الصومال ونساء مصر . . ولا بين نساء أثيوبيا ونساء المغرب ـ مع أن الجميع إفريقيات!

وكذلك المرأة الأوروبية .

فرق بين الإنجليزية ذات البشرة الجميلة والفرنسية ذات القوام الجميل والألمانية ذات العينين . . وهى فروق فى الدرجة .

فالجمال موزع بين كل الشعوب الأوروبية بدرجات . . وكلها خليط . فلا يوجد إنجليز لم تدخلهم دماء أخرى ، ولا فرنسيون ولا إيطاليون ولا ألمان . . وأمريكا كلها من المهاجرين . . من أوروبا وآسيا وإفريقيا والهنود الحمر .

وفى الأربعين جمهورية التى كانت ضمن الاتحاد السوفيتى ، هناك شعوب كثيرة اللون والشكل والحجم واللغة والتقاليد .

ولكن نساء أوكرانيا جميلات جداً . ولاعيب فيهن إلا الفقر . . وإذا رأيت النساء عاريات إلا قليلا فى شوارع العاصمة كييف فليس ذلك بسبب أزمة الملابس أو حرارة الجو . . ولكنهن جميلات يكشفن عن أجسامهن السليمة الرياضية . . ولم أتصور لحظة واحدة وأنا أتسكع فى شوارع كييف وكان الجو شديد الحرارة فى العام الماضى ، أن الذى أراه هو مجرد استعراض . بمناسبة مرورى بهذه البلاد قادما من النمسا وعائدا إليها . . أى بقصد أن أكف عن السفر عن النمسا مرة ومرتين كل سنة وأن أتجه إلى هذه البلاد الفقيرة فى كل شىء إلا فى النساء ، وصواريخها حاملة سفن الفضاء السوفيتية .

وإذا كان عندك شك فى جمال المرأة الروسية ، وليس فى استطاعتك أن تسافر إلى روسيا فيكفى أن تسافر إلى الإمارات . . وأنت ترى ألوف الروسيات الجميلات .

وإذا لم تستطع أن تذهب إلى الإمارات ففى مسارح وملاهى وفنادق القاهرة عينات من جميلات روسيا . . والموجودات هنا لسن أجمل بنات روسيا ، فهناك أجمل جداً .

وليس صحيحا ما نقوله عن أنفسنا : إن المرأة المصرية أخف دما وأجمل . .

صاحب هذه العبارة واحد لاسافر ولا راح ولا جاء ولا شاف . . لأنه لايوجد أى سبب لأن ننفرد نحن بالجمال وخفة الدم ، دون سائر سكان الكرة الأرضية . . تماما كالذى يقول إن اللغة العربية لغة موسيقية وهى وحدها إنه لم يسمع الإيطالية والأسبانية . . حتى الروسية غنائية .

ولكن الذى لايعرف ولم يسمع إلا لغته هو ، طبيعى أن يقول ذلك ـ وهو غلطان طبعا!

غرباء فى كل مكان !

٢٩ المعرض الدولى للكتاب فى مدينة فرانكفورت بألمانيا يختار كل عام موضوعا يلتف حوله المفكرون يقولون ويناقشون . أما موضوع هذا العام فهو : أدباء أيرلندا فى الغربة ـ أى الأدباء من أصل أيرلندى الذين اختاروا بلاداً أخرى غير بلادهم وعاشوا فيها ـ فهم الذين فرضوا الغربة على أنفسهم . ثم فرضوا الشعور بها على كل الناس أو لأنهم غرباء ، فقد أحسوا بالغربة عند الآخرين . أما الأدباء الأيرلنديون المشاهير فهم : سويفت مؤلف رحلات جيلفر والذى كان تمثاله فى مدخل المعرض الدولى . . وكذلك برناردشو وأوسكار وايلد . وجيمس جويس وصمويل بيكت .

وهناك أنواع من الغربة والغرابة والاغتراب والتغريب .

كأن يجد الإنسان نفسه غريبا عن أهله وأرضه . وأنه وحيد . وأنه لذلك معذب . فهذه الغربة مفروضة عليه . . وهو يحاول أن (يوطن) نفسه بين الناس . . وأن يخلق لنفسه أسرة وأهلا ووطنا .

أو أنه هو الذى اختـار أن يكون غـريبـا . وهو بذلك يوسع رقـعـة بلاده . . فـبـدلا من أن تكون أيرلندا هى وطنه فإنه يضـيف إليـهـا فرنسا أو بريطانيا . . فهو الغريب فى البلد الجديد الذى أضافه إلى وطنه . وكل هؤلاء الأدباء لم يطردهم أحد من بلادهم . . ولكنهم اختاروا بلاداً أخرى وجدوها مثل بلادهم .

ولكن عندما ذهب الأديب المسرحى صمويل بيكت إلى فرنسا كان أحد دعاة (مسرح اللامعقول) أو مسرح العبث .

ومعنى العبث أن يجد الإنسان نفسه عاجزاً عن الاتصال بالآخرين . . عاجزاً عن التواصل . . وأن لغته لاتسعفه فى أن يعبر الهوة بينك وبينه . . لأن اللغة هى وسيلة المواصلات بين الناس . . ولذلك كانت له مسرحيات يدور فيها الحوار بين أناس لايتجه أحدهم إلى الآخرين كأنه يحدث نفسه .

وجاء رجل غريب آخر من رومانيا هو (يونسكو) وصار سلطان العبث فى باريس . . ففى مسرحياته أناس لايرون بعضهم البعض . . بل فى مسرحياته فراغ على المسرح . . أى على المسرح مقاعد كثيرة لضيوف كان من الواجب أن يظهروا ، فلم يظهر أحد . . وظهر على المسرح ممثلون يتحدثون إلى الضيوف الذين لا وجود لهم ، وإن كان المتفرجون يتوقعون حضورهم من حين إلى حين .

وقد لقيت مثل هذه المسرحيات انصرافا من المتفرجين . . فكانت خشبة المسرح خالية المقاعد ، والمسرح نفسه خالى المقعد . وبذلك يكون المسرح صورة من الواقع . . الواقع فراغ ، والمسرح فراغ أيضا!

وهذا بالضبط ما أصاب أوربا كلها بعد الحرب العالمية الثانية . . فقد كانت تسودها فلسفات قوية : الشيوعية والنازية والفاشية . وكانت لها أبهة سياسية وعظمة عسكرية . . وأشاعت التعصب الدينى والسياسى والعرقى وهددت بالموت للأجانب والحياة للشعوب المنتصرة . . ثم انهار كل ذلك فوق أدمغة الناس . فأصيب الناس بذهول : إذ كيف تتحول هذه القصور العقائدية الفخمة إلى خرائب ومذابح وضياع . . وأحس الناس أنهم انخدعوا . . إنهم كفروا بالأصنام التى ظللتهم وأراقت دماءهم . . وجعلتهم يشعرون بالعار . . ويشعرون بأنهم غرباء عن أوطانهم . . بأنهم ليسوا هم . . فقد كانوا بالأمس أبطالا فى ملاحم أسطورية . . ثم صاروا أشباحا على أرضهم وبأيديهم . . كيف حدث ذلك؟ وهل هذا معقول ؟

هذا هو الشعور بالغربة والفرار من أوربا عقب الحرب العالمية الثانية والفضل فيها يرجع إلى أدباء أيرلندا . ثم صار الاغتراب شعورًا عامًا فى كل بيت وكل مدينة ومن كل الدول .

وقديما جدًا قالها موسى عليه السلام عندما خرج من مصر وتاه وقومه أربعين عاما فى سيناء . . غريبا . . ثم وقف على حدود أرض كنعان . . رآها ومات دون أن يدخلها . . ولكنه قال عبارته الشهيرة : أنا الغريب فى الأرض الغريبة!

وكل العقول والقلوب كذلك!

أول خطوة نحو الطلاق : الزواج!!



إذا كنت كسلاناً لدرجة أنك لاتستطيع أن تدبر لنفسك أى شىء : تزوج!

● إذا كان الحب هو النوم فالزواج هو الأرق!

● من مزايا أن تكون رجلا : أنك لست مضطرا أن تصافح رجلا لم يحلق ذقنه منذ أسبوع!

● الزواج مثل التهاب المفاصل يجب أن تعيش به!

● لايضايق الرجال من الزواج إطعام فم آخر ، وإنما الاستماع إليه!

● الرجال يفضلونها طاهية ، والنساء يفضلونه مليونيراً!

● الزواج هو الوسيلة الوحيدة لكى تستمع إلى نصائح لا نهاية لها مجانا!

● أتعس سنوات الزواج هى التى تبدأ بعد الزفاف مباشرة!

● قبل الزواج يتفق العروسان على أن يكونا شيئًا واحدًا ـ ويمضيان العمر كله يتخانقان على أى واحد منهما!

● سهل أن تتزوج ، صعب أن تظل كذلك!

● يجب أن يفهم الزوجان أن الزواج لن يكون سعيدا كما تتوهم هى ، ولا أن يكون شيئا جديدا كما يرى هو!

● يتم الزواج بين اثنين أحدهما ينسى ذكرى الميلاد والآخر يلعن ذلك!

● يستحيل أن يفشل أى زواج ، مادام الزوجان يجدان سببا يضحكان عليه طول العمر : صور الزفاف!

● الزواج كالبصل يتذكره الناس والدموع فى عيونهم!

● عندما يجد الرجل امرأة تفهمه ، فهذا سبب كاف للزواج . . وللطلاق أيضا!

● الزواج مؤسسة طويلة عريضة ، لاعيب فيها . . العيب فى العاملين فيها!

● فى الزواج : افتح فمك مرة واحدة وجيوبك دائما!

● لا أحد يعرف من هو الأسعد : المأذون الذى عقد الزواج ، أو المأذون الذى حل هذه العقدة!

● المرأة تضع خواتمها ليقال إنها متزوجة ، والرجل يرتدى أقدم ملابسه لنفس السبب!

● يفشل الزواج لأن الرجل لايستطيع أن يخدع زوجته ، كما كان يخدع أمه!

● الزوج الذى له ذاكرة قوية ، هو الذى يكتشف أن يوم ميلاد زوجته ، كان أول أمس!

● عندما سأل القاضى المتهم : وما الدافع للسرقة؟! . صرخ المتهم : أرجوك لا داعى للكلام عن زوجتى!

● هناك سببان لانفجار القنابل : أن تضغط على زرار أو تعود إلى البيت وعلى ملابسك أحمر شفاه!

● من أهم نتائج الزواج الطويل : الصمت الرهيب!

● إعلان فى التليفزيون الأمريكى : متابعة مباريات كرة القدم فيها خطورة على حياتك الزوجية!

● أكبر دليل على التسامح ، هو أن يحتفل زوجان بعيدهما الفضى!

● كان زواجها الأول : عن حب ، والثانى : عن صداقة ، والثالث : حتى لاتكون وحدها ، والرابع : بحكم العادة!

● إنها تضع خاتم زواجها فى الأصبع الخطأ ، لأنها تزوجت الرجل الخطأ!

● من مظاهر الحياة الزوجية أن الزوجة ترى جميع الرجال أفضل من زوجها . . ويرى الرجل أنها أسوأ من جميع الزوجات!

● كثير من الناس لايتزوج لأنه عاجز عن تكاليف الطلاق!

● كلمة حلوة كل يوم تمنع عنك الطلاق طول العمر ـ هذه إذا كانت الكلمة الحلوة لزوجتك!

● الطلاق هو النتيجة التى تكشف لنا : هل هى أم العريس أو أم العروس التى كانت على حق!

● الطلاق هو آخر شىء يتفق عليه زوجان لم يتفقا قبل ذلك!

● أول خطوة نحو الطلاق : الزواج!

● فى كل مرة يقع طلاق تقف أم ، وتقول : ما حدش بيسمع الكلام!

● بسبب ارتفاع نسبة الطلاق هذه الأيام ، فإن الآباء يهربون من البيوت أكثر من الأطفال!

● كانا فى غاية اللطف والرقة عند الطلاق ، لدرجة أنهما تزوجا من جديد!

● طفلان يتحدثان . . قال الأول : أنا عندى أخوان وثلاث أخوات ، وأنت؟ قال الثانى : ليس عندى أخوة ولا أخوات . . ولكن كان عندى ثلاثة آباء أزواج لأمى . . وثلاث أمهات زوجات لآخر أب!

● فى ليلة الزفاف لم يجد الأب شيئا . . يقدمه لابنته ، ولكن وعدها بأن يدفع لها مرتبا شهريا عند طلاقها!

● أسباب الطلاق عند الرجال : مناصفة بين الزوجة وأمها!

● الكلب هو الحيوان الوحيد الذى يحبك أكثر مما يحب نفسه!

● أليس شيئا عجيبا أن تنجح الكلاب فى الاستيلاء على قلوب الناس ، مع أنها لم تقرأ كتابًا واحدًا!

● كلما تأملت زوجتى وأمها ازددت حبا للكلاب!

● شيئان يؤكدان ذكاء الكلاب : أنها تنبح على زوجتى ونشرة الأخبار!

● الزواج : عائلى . . والطلاق : شخصى!

● كل الأزواج أمام كل الأزواج الآخرين : ممثلون!

● لا شىء يدل على أن الإنسان لايتعلم من تجارب الآخرين : إلا أننا نتزوج اليوم وغدا!

● الزواج : مرض . . والطلاق : مضاد حيوى!

● لا فرق بين المأذون والحانوتى : أحدهما يقف فى أول الطريق الذى ينتهى بالآخر!

● إنه مثقف جداً ، ولكن فيه عيب خطير أنه إذا وجد كلمة «مأذون» ، فإنه ينطقها هكذا : عزرائيل!

● أكبر دليل على أن الإنسان لايتعلم من تجارب الآخرين : أن للزواج شعبية كبرى!

● لم أندم على أننى تركتها ، ندمت كثيرًا جدًا أننى أحببتها!

● لا أحد يحب المرأة ، وإنما نحن ضعاف أمام حاجتنا إليها!

● إذا لم تجد المرأة الرجل المناسب فى العشرينيات فلن تجده بعد ذلك!

● الزواج المثالى : أن يعيش الزوجان فى بيتين متجاورين وأن يتزاوروا من حين إلى حين!

● الرجل لايفهم المرأة مرتين : مرة قبل الزواج ومرة بعده!

● امرأة تطلب المساواة بالرجل ، امرأة ليس عندها طموح!

عندما يقبّل الأب والأم ابنتهما ليلة زفافها : فالأب يقول لها : لاتصدقى أمك . . والأم تقول : لاتصدقى أباك!

● دموع العروس ليلة الزفاف كذب . . فهى فى غاية السعادة . . أما دموع الرجل فسوف تظهر فيما بعد!

● فى كل حفلة زفاف يجلس رجل واحد على الأقل فى ذهول ويقول : الإنسان حيوان غبى لايتعلم من مآسى الآخرين!

● كل عريس يقول صادقا : إنها التى أوقعتنى فى شراكها . . وتقول هى كاذبة : بل هو الذى أوقعنى!

● كل إنسان فكر فى الهرب مرتين على الأقل : مرة وهو طفل ومرة وهو متزوج!

● الرجال يفضلونها شقراء إذا كانت الزوجة سمراء!

● كلمات قليلة تقولها أمام المأذون الشرعى ، فتصبح زوجاً . . وتقولها أثناء النوم فتصبح مطلقاً! .

● إذا قرر أن يتزوج ، هذا آخر قرار فى حياته!

● أرخص شىء فى الدنيا : النصيحة!

● الستون هى السن التى تكتمل فيها تجارب الإنسان . . وهى سن الإحالة إلى المعاش أيضا!

● ليس عظيماً لأنه ولد فى الفقر ، ولكن لأنه خرج منه!

● أيتها المرأة إذا كان لك مستقبل فابعدى عن الرجل الذى له ماض!

● المرأة لديها موضوع واحد تتحدث فيه : كيف ينقص وزنها وكم سوف ينقص!

● لم يبق أمام العلماء إلا مشكلتان : حالة الطقس والمرأة!

● متوسط عمر النساء فى العالم هو ٣٣٥ سنة!

● الزواج هو الأسلوب الباهظ لكى يكتشف الإنسان أخطاءه!

● هناك ثلاث مراحل فى عمر الإنسان يكون فيها ناكراً للجميل : الطفولة والشباب والشيخوخة!

● العقل يقول لك : إذا انتصرت على زوجتك فى مناقشة فاعتذر لها!

● الرجل ينشد العقل فى زوجته ، لأنه لم يستخدم عقله فى اختيارها!

● الرجل الوحيد الذى يخجل من صورته فى المرآة هو الرجل السياسى!

● الساسة هم أحسن الأزواج : لأنهم يكذبون على زوجات كاذبات!

● الناس يدخلون ميادين السياسة ويبشرون بمستقبل باهر ، فيخرجون منها ولهم ماض شنيع!

● إذا كان من آمالك أن تكون نظيفاً ، فلا تشتغل بالسياسة!

● المستمع الجيد هو الذى يصغى إلى ما تقول ولايهتم بأى شىء تقوله!

● الخناقات نار تحرق ، وليست نوراً يضىء!

● يتظاهر بالعظمة كل من ليس عظيماً!

● الأبناء يكرهون والدهم البخيل . . وليس الأحفاد!

● المرأة تتردد فى أن ترتدى فستاناً لبسته واحدة غيرها ، ولكنها لاتتردد فى أن تخطف رجلاً من زوجته وأولاده!

● لاشىء يجف أسرع من الدموع!

● من الممكن أن يقع طلاق لأسباب تافهة ، وأن يتم زواج لأسباب أتفه!

● أن تتزوج امرأتين هذا كثير ، أن تتزوج واحدة هذا كثير جداً!

● إذا تضخمت الكبرياء ، تقلصت الفلوس!

● سوف تندم كثيراً على ثقتك بالناس ، سوف تندم أقل على سوء الظن بهم!

● لا تصدق أننى أسوأ إنسان فى العالم ، فأنت أسوأ منى كثيراً!

● الرجل الذى يريد امرأة : ذكية وجميلة وغنية ، يريد ثلاث نساء!

● وراء كل رجل عظيم امرأة ، تريد أن تخطف منه الأضواء!

● التفوق هو الوسيلة الوحيدة التى تجعلك تصل إلى القمر دون حاجة إلى الزواج من فتاة دميمة أبوها رئيسك فى العمل!

● العبقرية ١٪ أرق و٩٩٪ عرق!

● الغلط هو أكبر دليل على أن واحداً من الناس قد حاول ولم ينجح!!

● كثير من الرجال تمنى لو كان امرأة تركب عربة يجرها حصان أو حمار اسمه الرجل!

● من مزايا تعدد الزوجات ، ألا تظن امرأة واحدة أنها الوحيدة فى هذه الدنيا وأنه لولاها ما كان هذا الرجل ولا تقدم ولا كسب . ولا انفتحت نفسه لزواج ثان وثالث!

● الأسباب الاقتصادية فقط هى التى منعت الرجل أن تكون له زوجة أخرى!

● المرأة لاتمل حضور حفلات الزفاف . . لأنها ترى فى ذلك سقوطا لرجل آخر!

● لاتتعجل الخناقة مع زوجتك ، سوف تجىء من نفسها فى أى وقت ولأى سبب!

● من قال إن المرأة هى أجمل وألطف كائن شرس ، إنها شرس فقط!

● حتى لو كان حبل المشنقة قد التف حول عنقك ، سوف تجد زوجتك ألف سبب آخر تستحق عليها الشنق!

● الذين يريدون أن يموتوا بعد وفاة زوجاتهم عندهم هدف واحد : ألا تكون الزوجة هى آخر وجه يراه فى هذه الدنيا!

● أسوأ الناس صديقات زوجتك ، وزوجات أصدقائك!

● إذا مدحت امرأة على شاشة التليفزيون ، فلن يبلغها ذلك ، وإذا شتمتها فى سرك سمعتك ألف امرأة!

● أنت تستطيع أن تخرب بيتك بنفسك ، ولكن هناك عشرات قد فكروا فى ذلك وعلى استعداد للقيام بهذا الدور أسرع وأقوى!

● زوجتك عندها استعداد لأن تصدق كل ما قيل ضدك إنها أسرع الخصوم إلى الوقوف ضدك!

● قال تعالى : ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾ .

● أهم شىء يجب أن ينفقه الآباء على أولادهم : الوقت وليس الفلوس!

● كل طفل يولد فإنه يرث الحرية والعدل والظروف وتكاليف الحرب الماضية!

● الضعفاء ينتظرون الفرصة : الأقوياء يصنعونها!

● لا تسأل كثيراً لماذا تزوج أبوك أمك ، فسوف يحدث لك نفس الشىء!

● لم يعد الآباء يعلمون أولادهم أنهم يمولونهم فقط!

● خطب الزعماء طويلة على حساب عمقها !

● أعظم قوة فى العصر الحديث هى أن يقول الأب لابنه لا!

● من سوء حظ الشباب هذه الأيام أنهم محظوظون فى كل شىء!

● حماس بلا علم : نار بلا نور!

● قد يكون التثاؤب قلة ذوق ، ولكنها الوسيلة الوحيدة لكى يعرف الناس رأيك الحقيقى!

● من الغباوة أن تقلق على شىء لاتقدر على علاجه زوجتك مثلاً!

● مشكلتنا فى هذه الدنيا أن هناك مهرجين كثيرين خارج السيرك القومى!

● طبيعى جدا : فكلما نقش إنسان اسمه على الواقع جاء واحد آخر وراح يمحوه بمنتهى الحماس!

● الشباب لايقتنع بقطعة من الكعكة : إنه يريدها كلها!

● نصف مصائبنا لن تقع ، ونصفها الثانى لابد أن يقع ـ فلماذا تشغل بالك!

غلطة عمرى ليست واحدة وإنما هى ألف ألف!



قال لى الرئيس السادات : إن غلطة عمرى هى عندما سألنى عبد الناصر عن نوع الحكم المناسب للشعب المصرى فقلت : الدكتاتورية! وغضب عبد الناصر . وراح يسخر منى فى كل وقت!

وقال لى السادات : إننى قلت ذلك لأننى أعرف عبد الناصر . . لأنه ليس ديموقراطيا ولا محبا لحرية الشعب . . وإنما يريد أن يحكم بالحديد والنار! فقد غضب لأننى حدثته عن أعماقه التى كان حريصا على إخفائها عن أعضاء مجلس قيادة الثورة . .

ولما كتب الرئيس السادات مذكراته فى مجلة «أكتوبر» قال فيها : لقد وقعت فى غلطتين!

هذه الغلطة . وغلطة أخرى لم يشأ أن يذكرها . .

وتصادف أن سافرت مع الرئيس السادات بعدها إلى السعودية . . فاقترب الأمير سلمان أمير الرياض من الرئيس السادات وقال له : يا فخامة الرئيس إن أنيس منصور رفض أن يكشف لى عن الغلطة الثانية التى لم تشأ أن تذكرها فى مذكراتك!

ولم يقل الرئيس . وكنت أعرف هذه الغلطة . ولكن الرئيس

طلب منى ألا أذكرها لأنها حساسة . .

وهذه هى غلطة عمر الرئيس السادات . .

وفى حياة كل منا غلطة كبيرة . ونسميها غلطة العمر . والحقيقة أنه لاتوجد غلطة عمر . . وإنما توجد أغلاط كثيرة على مدى العمر . . فكل يوم نقع فى غلطة ونخرج منها لنقع فى غيرها وهكذا . . إلى مالا نهاية!

ولو بحثت فى حياتك لوجدت لك أكثر من غلطة . ليس أقلها الزواج مبكرًا أو متأخرًا أو الزواج . . أو الامتناع عنه . . وأن يكون لك أولاد . . أو ألا يكون لك أولاد . .

وتبدو هذه الأخطاء كبيرة كلما مر عليها الوقت . فهو لايمحوها . . وإنما يقويها ويجعلها تطغى على غلطات أخرى . . ومن بين الغلطات سوف تجد واحدة تشبه عصا موسى عليه السلام تبتلع كل الأفاعى التى ألقاها السحرة أمام فرعون . .

وهناك أخطاء ليس لها علاج . غلطة عمر . . أو هى العمر كله . مثلا : كأن يندم الإنسان على أنه صار كاتبا ولم يكن تاجرًا للمخدرات يكسب مئات الملايين!

ولو عدت إلى مناقشة هذا الرأى لوجدت أنك لاتصلح إلا أن تكون كاتبا . . صناعتك الكلام تقرؤه أو تكتبه . وأن تجارتك هذه لاتعود عليك بالربح العظيم . لأن هذه السلعة ـ التى هى الكتابة ـ سعرها قليل . هى كده! وأنت لاتعرف إلا هذه البضاعة!

ولو حاولت أن تشتغل فى تجارة المخدرات ، لما استطعت . لأنها صناعة أخرى تحتاج إلى قدرات ومواهب من نوع ليس عندك!

أذكر أن الكاتب الإنجليزى سومرست موم قد جاء إلى القاهرة قبل وفاته بشهور . وكان مريضاً مرتعش اليدين . . ولكن لايزال

حاد الذكاء حاضر الذهن . فقلت له : أنت أغنى الأدباء . .

فقال مفتعلا ابتسامة أو محاولا أن يبتسم ولكن عضلات وجهه لاتساعده فقال : فعلا كسبت الملايين . . ولو كانت لى أية حرفة أخرى ما كسبت واحدًا على مائة من ذلك!

أى أن الأدب قد أكسبه الملايين . . وأنه ليس نادما على ذلك . ولايرى أن الأدب غلطة عمره . . ولكن غلطة عمره ألا يكون أدبيا!

وفى كتاب صدر أخيرًا عن «المخرفين من العلماء» ـ أى العلماء العظماء الذين كانت لهم أفكار شاذة . أفكار ليست عظيمة . . أو تنتقص من عظمتهم . .

من بينهم العالم الفيزيائى الكبير أينشتين يقول : إن أكبر حماقة ارتكبتها أننى حاولت أن أجد تفسيرًا واحدًا للكون وأن أجعل هذا التفسير فى سطر واحد . . حماقة كبرى . . وغلطة عمرى كله . . ولن أسامح نفسى عليها!

مع أنه مجرد طموح علمى!

والعالم الأمريكى لينوس بولنج الذى حصل على جائزة نوبل مرتين . مرة فى الكيمياء ومرة فى السلام . قال : وأنا غلطت غلطة عمرى . . وهى أننى أيقنت تماما من واقع تجربتى أنه لا شىء يطيل العمر إلا فيتامين ج . . الموجود فى الليمون والبرتقال . . وأن الذى يسرف فى تعاطيه يطول عمره كما طال عمرى . . هذه غلطة لأننى لم أقدم عليها أى دليل علمى . ولن أسامح نفسى على مثل هذه العبارة!

أما غلطة عمرى أنا فهى : ليست هناك غلطة واحدة وإنما هى ألف ألف!

نحن جميعا نحبها!

٣٢ وهذا المسلسل قد نشرته فى مجلة «اليقظة» الكويتية منذ ثلاث سنوات .. ثم جمعته فى كتاب بعنوان « .. إلا فاطمة» .. ثم عدلت وبدلت فى الأحداث الأصلية ، بما يتفق مع أدوار الممثلين .. ومن الممكن أن يتغير مرة ثالثة .. فإذا وجدنا البطل ولم نجد البطلة المناسبة أو إذا وجدنا البطلة ولم نجد البطل المناسب .. فهى مادة مرنة فى يد الكاتب ، وكاتب السيناريو ، والمخرج يفعل بها وفيها ما يشاء ..

ثم صار مسلسلا تليفزيونيا ، أذيع خمس مرات على جميع قنوات مصر ، فى مدى شهرين ، بطولة «شيرين سيف النصر ، وأحمد عبد العزيز ، وكريمة مختار ، وماجدة زكى» ، وعدد من الشبان ..

ثم إن هذه قصة عادية جدًا .. نمطية .. لابد أن تكون قد وقعت لمئات .. ، . بل لألوف الشبان الذين قرروا أن يهاجروا . وهاجروا ..

ولم يكونوا مستعدين . . فلا لغة ولا حرفة . . وتخبطوا فيشعرون بأنهم غرقى فيتشعبطون فى أى شىء ، ويكون هذا الشىء هو أية فتاة يتزوجونها ، ويكتسبون الجنسية النمساوية ـ مثلا ، ثم ينكشف أنهم كانوا قد تزوجوا فى مصر . . وهنا ينطبق عليهم القانون النمساوى ، الذى يحرم تعدد الزوجات . والنتيجة هى السجن ، وقد ينجح الشاب ويتعلم لغة ومهنة . . ثم يتزوج ثم تضطره الظروف ، إلى أن يترك الزوجة التى أحبته ، والتى أسلمت من أجله . . حدث كثيرًا!

وقد يبقى فى النمسا ، وقد يعود إلى مصر مع زوجته النمساوية . . أو إلى زوجته المصرية ، ويترك العاشقة التى أحبته . . حدث كثيرًا جدًا . .

ثم أننى كتبت كثيرًا جدًا عن هؤلاء الشبان . وكنت طرفاً فى كل المناقشات حول حياتهم الشاقة . . وكانت المناقشات فى مجلس الشورى . . وسعيت لدى الوزراء ورئيس الدولة ، لكى نجد حلا لهؤلاء المشردين بين السيارات يبيعون الصحف . . وفى الشتاء يتساقطون بلا ضمان ولا أمان . .

ولاشك أنها إهانة بالغة ، لأى كاتب أن يكون صدى هذه القصة ، عند قارئ واحد أو قارئة واحدة فقط . .!

وإنما الطبيعى أن تكون صدى لمئات المصريين والمصريات . . وأن يشعر الألوف بأننى اقتربت منهم . . أفواههم عند أذنى . . وأذنى على قلوبهم . هذا هو الطبيعى . . فهى ليست حكاية واحد أو واحدة . . وإنما هى حكاية الألوف . .

ومن ألطف مشاهد الفيلم الكوميدى «دون كاميللو» ، بطولة الممثل الفرنسى «فراننادل» ، أن البطل عندما كان يحمل المسيح الحى على كتفيه ، للصلاة على أحد الموتى فوجئ بأن كلبا يسير وراءه . . فتضايق البطل وصرخ فى الكلب قائلا : أمش بعيدا!

فالتفت إليه السيد المسيح قائلا : أنت لاتريد أن يمشى وراءك أحد؟!

فقال فراننادل : حتى لو كان كلبا؟!

- نعم . لابد أن يكون لك ظل . . أن يكون لك صدى . . أن يمشى وراءك أى أحد . . حتى لو كان كلبا . . إنه مخلص أخرس!

فليس كاتبا من ليس له ظل . .

وإذا كان له ظل واحد فهو كاتب فاشل . . وإنما الكاتب الناجح الذى له ظلال بالملايين . . لأنه يأخذ من الناس معلومات مشوشة ، ثم يردها إليهم فناً إنسانياً رفيعاً . .

والكاتب هو طبيب العلاقات الإنسانية . .

وفى العيادات النفسية كثيرًا ماتعلقت المريضة بالطبيب ، فقد أساءت فهمه . . لأنها ترى أن اهتمامه بها شخصى ، وليس اهتماما مهنيّاً . . وفى هذه الحالة يصبح من أول واجبات الطبيب أن يتخلص من هذا الحب الخطأ . . والارتباط المريض . .

ويحدث للطبيب ما يحدث للكاتب الذى هو طبيب أيضا . .

وكما اعتاد الأطباء على ذلك . .

فقد اعتاد الأدباء أيضا . . ولا نهاية لاتهام الكاتب بأنه سرق قراءه الذين يحبهم والذين يحبونه . . والكاتب سعيد بأن يكون له صدى عند القارئ ، والقارئ بأن يكون له صدى عند الكاتب ، ولكن سوف يبقى هناك خلاف دائما : من هو الصوت ومن هو الصدى؟

الكاتب يقول بمنتهى التواضع والصدق أن القارئ هو الصوت . .

ولكن بعض القراء يرى أنه هو الصوت ، وأن الكاتب يشبه عقارب الساعة التى يراها الناس تتحرك ، أما الذى يحرك هذه العقارب فهى تروس خفية لايراها الناس . . إنها القراء . . أو إنها قارئ واحد . . أى أن الكاتب ليس «فاعلاً» ، وإنما هو «نائب فاعل» . .

والكاتب راض بقسمته سعيد بذلك . .

ولكن بعض القراء فى غاية التعاسة . .

إنها سنة الحياة الأدبية . .

وأنه البحر وملايين الأحجار على شاطئيه . . وملايين الأيدى تمتد وتلتقط وترمى . .

وكان الملك سليمان يندهش : للأنهار التى تصب فى البحار . . لا الأنهار جفت ولا البحار امتلأت . .

وكذلك حالنا . . لا الأحجار تلاشت ولا الأيدى كلّت وملّت . . فلا البحار امتلأت بالحجارة ، ولا الشواطئ خلت منها!

من الذى لا يحب فاطمة ؟



من ردود الفعل المألوفة بين الكاتب والقارئ ، أن يشعر القارئ أن الكاتب قريب منه . . وأنه يعبر بالضبط عن الذى يخطر بباله . . أو أن الذى يفكر فيه القارئ بالأمس ، يجده عند الكاتب غدًا . .

فيرتبط القارئ بالكاتب لأنه قريب منه . .

وقد يذهب القارئ ، إلى درجة أقوى ، فى العلاقة بينه وبين الكاتب ، فيقول : إنه يقصده بالذات . .

وأن هناك أناسا ينقلون أفكاره ومشاعره إلى هذا الكاتب . .

وعلى ذلك فالكاتب يقصده فى كل وقت . . وأنه استولى على أفكاره . .

وقد يتخذ القارئ موقفا عدائيا من الكاتب ، الذى يعرف عنه كل شىء ويفضحه أمام القراء . . فيقول : إن الكاتب قد سرق أفكاره ونسبها لنفسه . .

ومن المألوف أيضا أن يفاجأ الكاتب ، بأن قارئا يتهم زوجته بأنها على صلة بالكاتب ، وأنها هى التى نقلت حكايتهما إليه . . وأنها

هى التى أغرته بأن يفضح هذه الصلة!

أو أن القارئة تتهم زوجها ، بأنه على صلة بهذا الكاتب . وأنهما اتفقا عليها . .

ومن الممكن أن يكون القارئ كاتبًا صغيرًا أو مغمورًا . وأنه يحقد على الكتاب الكبار المعروفين . . وأن هؤلاء الكتاب الكبار لايستحقون هذه الشهرة التى نالوها . . لأنها شهرة مسروقة من أدباء صغار مجهولين . . فهم قد سرقوا أفكاره . . ونهبوا حياته . . وسطوا على مستقبله . .

ولايوجد كاتب كبير أو فنان شهير ، لم يتعرض لمثل هذه المواقف . .

ففى مصر اتهمنا الموسيقار «محمد عبد الوهاب» ، بسرقة الموسيقيين العظام من أمثال «بتهوفن ، وموتسارت» . .

وهذه ليست تهمة كبيرة . وإنما هى تدخل فى باب الثقافة الإنسانية . . لأن معناها أنه قد تأثر بالموسيقيين الكبار ، فأخذ من هذا عبارة ومن ذاك عبارتين . .

ثم اتهمنا «محمد عبد الوهاب» ، بأنه سرق ألحان شبان صغار ، أمثال «رءوف ذهنى ، وجلال حرب ، ومحمد أمين» . . فمن هؤلاء الصغار؟ لا شىء!

و«توفيق الحكيم» اتهمناه بسرقة كل قصصه من أدباء آخرين ، أو من الشاشة . . وكذلك «إحسان عبد القدوس ، ويوسف السباعى ، ويوسف إدريس» . .

ومن الطريف أن الرئيس «عبد الناصر» ، عندما سافر إلى

روسيا ، وعاد وجد الصحف المصرية ، لاتزال تهاجم «توفيق الحكيم» وتتهمه بالسرقة ، فأصدر قرارا بمنع الهجوم على «الحكيم» . وحجته فى ذلك : أنه وجد الروس ينسبون كل اختراعات الدنيا إلى علمائهم . . فهم الذين اخترعوا الراديو ، والتليفون ، والصواريخ ، واكتشفوا قوانين الجاذبية . . مع أن الذى اخترع الراديو هو «ماركونى» الإيطالى ، والتليفون اخترعه «بل» الأمريكى ، والصواريخ اخترعها «فون براون» الألمانى . . وقوانين الجاذبية كما يعرف أى طفل قد اكتشفها «نيوتن» الإنجليزى . . فقال الرئيس «عبد الناصر» فلماذا نجرد «توفيق الحكيم» من كل مزاياه ، ولماذا نحرم مصر من عظمة «توفيق الحكيم» وغيره من العظماء؟

حتى الأديب الروسى «شولوخوف» ، الحائز على جائزة نوبل فى الأدب ، عن روايته «نهر الدون يجرى هادئا» ، قالوا : لقد سرقها من شاب مغمور فى سيبريا؟!

وفى الأدب العربى باب طويل عريض ، اسمه : السرقات الأدبية . .

وهى كلمة فظيعة . . عاش عليها عدد من المؤرخين والنقاد . . ولكن هذا الباب الذى انفتح ليخرج منه المتنبى ، والذى جردوه من روائع أبياته الجميلة ، قد أغلق على أصابع وألسنة الحاقدين والحاسدين . . وبقى «المتنبى» عبقريا وأعظم الشعراء فى كل العصور . .

ولكنها عادة سيئة عندنا ، أننا إذا مشينا على الشاطئ ننحنى على الأرض ، نلتقط حجرا نرمى به البحر . . ويكون للحجر صوت تافه . . ثم يتلاشى الحجر وصوته وصداه!

دقهلاوى .. لا أهلاوى

٣٤ غلطة وقعت فيها دون وعى منى لذلك .. غلطة بحسن نية .. أو أنها ليست غلطة فأنا أيضا من حقى أن يكون لى رأى وموقف ومزاج خاص . غلطتى أننى قلت : أنا أميل إلى النادى الأهلى . يعنى أهلاوى .. والحقيقة أننى دقهلاوى!

يعنى إذا لعب الأهلى مع المنصورة فأنا مع فريق المنصورة الذى لا أعرف فيه لاعبا واحدا . ولا رأيت النادى .. وفى نفس الوقت لا أعرف من النادى الأهلى إلا واحداً هو محمود الخطيب لأنه دقهلاوى .

ولا أذكر أننى ذهبت إلى النادى الأهلى إلا لكى ألقى محاضرة أو أشرب فنجانا من العدس فى الشتاء . هذا كل ما يربطنى بالنادى الأهلى . وليست هذه رابطة من أى نوع .. إنها صدفة أن ذهبت وصدفة أن شربت عدسا .. وصدفة أن عرفت محمود الخطيب الذى كان يجلس فى مكتبى عندما كنت رئيسا لتحرير جريدة (مايو) فى مبنى جريدة الأهرام .

ولم أتلق خطابا واحدا من أى لاعب أهلاوى أو مشجع أهلاوى يبدى سعادته من أننى أهلاوى . ولكن تلقيت عشرات . . مئات الخطابات من مشجعى الزمالك من مصر وأمريكا وكندا وأحد باعة الصحف فى فيينا استوقفنى فى الطريق وقال لى : يا سعادة البيه . . نقرأ لك طول عمرنا وبنحبك وبعدين فى الآخر أهلاوى والله زعلت جداً!

وبرقيات تقول : إزاى واحد محترم زيك يبقى أهلاوى؟!

وفاكسات تقول : كل العلم والقراءة والمؤلفات العظيمة دى اللى أنت كتبتها وأحببناك من أجلها وفى الآخر أهلاوى . . يخس!

وواحد يقول لى : من المؤكد أنها غلطة إملائية . . وأنك لست (أهلاوى) وإنما (دقهلاوى) . . يعنى الدال بدلا من الألف .

وواحد يقول إنه قرأ فى مسرحية مجنون ليلى . . أن ليلى نطقت اسم قيس خطأ أو قيس نطق اسم ليلى خطأ فقال أو قالت :

يا قيس قد ناجى باسمك .

القلب اللسان فعثر!

أى أن اللسان ناجى القلب باسمك فأخطأ . . فأنت أيضا أخطأت . . أردت أن تقول أنك دقهلاوى فقلت أهلاوى . . هذه هى الحقيقة!

هذه الحكاية عمرها الآن مائة يوم . . ولا أزال أتلقى برقيات وضرورة أن أعتذر لملايين القراء الذين صدمتهم فى عزيز لديهم .

والفنان المعروف سيد إسماعيل وهو زملكاوى سلوكا ومذهبا يقول :

والله لولا أنك صاحبى لرفعت عليك قضية الحسبة!!

أليس هذا شيئا عجيبا أن يندهش القارئ أن لك رأيا . . وأن لك مزاجا خاصا فى الرياضة والموسيقى والغناء . . مع أن من حق أى إنسان أن يكون له رأى . . فأنا لايضايقنى أن يكون القارئ من أى مذهب دينى أو سياسى أو رياضى . . هذا شأنه وهذه حريته . . وأننى لا أستطيع أن أحجر على رأى أو عاطفة ، وأظن أن من حقى أنا أيضا!

ولا أنسى أننا كنا فى رمضان نتناول طعام الإفطار عند أحد الأصدقاء وانطلق مدفع الإفطار . . وقدموا لنا الشوربة . . وبعدها الشوربة . . وأخيراً الشوربة ، ولاحظت ارتباكا غير عادى فى البيت . . وفهمنا أن السبب هو أن الشباب فى هذه الأسرة قد اكتشفوا أن الطباخ زملكاوى فطردوه دون أن يكمل الطعام! طبعا هم جميعا أهلاوية!

وقد لاحظت أن الحارس الواقف أمام البيت يرتدى ملابس متنوعة وشياكة . وسألت فقالوا : لأنه ترسناوى ونصف سكان العمارة من مشجعى الترسانة!!

ولايقبل القراء أن تكون (زمهلاوى) ولا حتى دقهلاوى . . وإنما بوضوح : يا أهلاوى يا زملكاوى!

والأفضل ألا تعلن عن انتمائك لأية قبيلة رياضية!

إيفيتا : هى الموضة!



لا بد أنك سمعت أو رأيت صورة الفنانة الاستعراضية المطربة الأمريكية الإيطالية الأصل «مادونا» ـ إنها صاحبة القوام الجميل ، والتى قررت أن تقوم ببطولة فيلم عن حياة (إيفيتا) زوجة رئيس الأرجنتين «بيرون» . وقد كانت ممثلة من الدرجة الثانية ، والتى تزوجت «بيرون» سنة ١٩٤٦م . وقادت المظاهرات دفاعا عنه ، وهو فى السجن حتى أخرجوه واختاروه رئيسا للجمهورية . وكانت «إيفيتا» هذه إلى جوار العمال الفقراء ، الذين جاءت من بينهم ، حتى قدسها الشعب الأرجنتينى ، وأقام لها المجسمات . ولم تعش طويلا ، فقد عاجلها المرض ، وهى فى الثالثة والثلاثين من عمرها سنة ١٩٥٢م .

وبعدها تزوج «بيرون» فنانة كباريه اسمها «إيزابيلا» ، جعلوها رئيسة للدولة بعد وفاته . . وقبل وفاته ثاروا عليه وطردوه ، وظل منفيا فى أسبانيا ١٨ عاما ، ثم عاد رئيسا للبلاد . وأحدث انقلابا على «إيزابيلا» . ولكن «إيفيتا» ظلت معبودة الملايين فى الأرجنتين حتى ماتت حزنا على قلبها الطيب وعلى شبابها وشجاعتها .

ومنذ ١٥ عاما قررت إحدى شركات السينما ، أن تنتج فيلما عن حياة معبودة الجماهير فى الأرجنتين . وأعدت كل شيء لهذا الفيلم . وحشدت كل دور الأزياء وكل مؤسسات أدوات التجميل والعطور . . لكى تكون «إيفيتا» ، شكلا وزيا وشعراً موضة النساء فى الكرة الأرضية . أما تسريحتها فمعروفة : شعرها مشدود إلى الوراء ومزموم بشنيون . . أما شفتاها وأظافرها فلونها أحمر دموى . وأما ملابسها فطويلة واسعة . . وأما فستانها الأسود الذى كانت تحب الظهور به ليكسبها جمالا ودلالا ، فكان سيد أزياء الشتاء فى أوربا وأمريكا . . كما أن صورها ومجسماتها ، ومناديلها ، وأحذيتها ، وعطورها . . كل ذلك بألوف ملايين الدولارات تباع . كما تولت مؤسسة (والت ديزنى) عمل كل اللعب والشخصيات التى تدعو لإيفيتا . .

ومن العجيب أن البطلة «مادونا» ، قد رأت كل ذلك ووافقت عليه ، وأخذت نصيبها من كل هذه الصناعات .

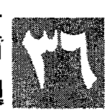
والفيلم مأخوذ من المسرحية الشهيرة ، التى شغلت أوربا وأمريكا ، بموسيقاها وأغنيتها الحزينة الساحرة : «لاتبكى من أجلى يا أرجنتين»!

وفى الوقت نفسه ظهرت نغمة فظيعة ، تؤكد أن «إيفيتا» هذه كانت «نازية» ، وكانت تدفع الأموال للقوات النازية!! يعنى أنها خائنة وأنها مجرمة!

ولكن مثل هذه النغمة ، لن تقوى على الصمود ، أمام التيار الجارف لكل شيء : فى الموضة ، والأزياء ، والعطور ، والموسيقى ، والأغانى . .

وإذا كانت «إيفيتا بيرون» لم تنجح كممثلة أو كمطربة ، ونجحت كزوجة لرئيس الأرجنتين ، فإنها لم تمت ، وإنما استأنفت حياتها الفنية فى شخص «مادونا» : أشهر وأجرأ فنانة فى العصر الحديث . وقد تكلف الفيلم أكثر من مائتى مليون دولار . . والهدف أن يكسب ألف مليون!

قل لى : من هو السائق ؟
أقل لك : من أنت !



حياتنا : عربات يجرها حصان أو حمار أو يجرها إنسان كعربات الريكسشا فى إندونيسيا والهند . .

أو هى كالسيارات : لها موتور يجرها من الأمام . . أو موتور يدفعها من الخلف .

أو أن حياتنا مثل عربات نملكها أو عربات مسروقة . .

وقد تكون العربة فى قطار . . فلسنا وحدنا فيها . . وإنما عشرات من الناس يضايقوننا . . يزاحموننا . . وقد تكون عربة من الدرجة الأولى المكيفة . . أو من الدرجة الثالثة ، التى يدخلها الهباب والذباب بالتناوب . .

وحياتنا هى القطار . . هذا يطلع وهذا ينزل . . ولكن القطار يمضى إلى هدفه ، دون أن يدرى : من ركب ومن نزل . .

ويكون الذى يقود عربتنا : عربجى . . ويكون جلادا لايكف عن ضرب الحمار أو الحصان أو البقرة أو الإنسان الذى يجر عربتنا . .

وأخطر العربات علينا هى أن يكون سائق العربة قد خطفها . . فإذا خطفها فهو يفعل بها وبنا ما يشاء . . ونحن نعرف ما الذى يفعله خاطفو الطائرات . . فهذا الخاطف يمسك مسدسا من أى نوع ، حتى لو كان مسدس أطفال ، ويستطيع أن يفعل بالطائرة والطيارين ما يشاء . . فهم لايملكون الدفاع عن أنفسهم . . وفى الوقت نفسه هم حريصون على سلامة الركاب والطائرة .

ونحن نرى أن الطائرات هى وحدها التى يمكن اختطافها . والحقيقة أن الكثيرين يعيشون حياة مختطفة . حياة لا سلطان لهم عليها وإنما السلطان والصولجان لآخرين . . فالزوجة من الممكن أن تكون هى التى خطفت حياتنا ، وتتصرف فيها كما تشاء . . ومن الممكن أن يكون رئيسنا فى العمل . . ومن الممكن أن يكون الزعيم . . الطاغية من أمثال «ستالين ، وهتلر ، وموسولينى» ، قد خطفوا حياة الشعوب ، وراحوا يوجهونها بالحديد والنار والذهب إلى حيث يريدون . .

صحيح أن الناس يأكلون ويشربون وينامون والعربات كثيرة . . ولكن نحن لانعرف وجهة نظر سائق القطار ، الذى خطفه واستولى عليه . . وعلينا وعلى خطوط السكك الحديدية والمحطات . . إنه خاطف القطار ، وخاطف حياة الناس وأرزاقهم وأرواحهم . . وقد يكون القطار مريحا ، كما تكون الطائرة فخمة ، ولكن كل ذلك من أصابع الخاطف لها . .

فلا تقل لى ما ماركة العربة ، التى تركبها ولا الطائرة ولا القطار . . ولكن قل لى اسم هذا السائق . .

وقد يكون السائق اسمه : القمار . .

ويكون : الحشيش والأفيون . .

ويكون اسمه : أمير الجماعة . .

قل لى مَنْ هو الذى يجرجرك وراءه أو يدفعك أمامه . . أو الذى يربطك فى سلسلة ذهبية أو نحاسية . . أو من هذا الذى يلعب بالكرات الحمراء والبيضاء فى دمك؟! . . قل لى من هو : وأنا أقول لك : من أنت!

يقال : إن «يوليوس قيصر» عندما توجوه ، كان قد وضع أحد أطفاله على ركبتيه . وتبول الطفل . وهرع الوزراء والقادة يحاولون إبعاد الطفل ، الذى لم يعرف ماذا فعل؟! ولكن «يوليوس قيصر» ضحك وضحك عاليا ، وقال لهم : اتركوه يفعل ما يشاء . فأنا أحكمُ العالم ، ووأمه تحكمنى ، وهو يحكم أمه!

فحياة العالم القديمة يقودها «يوليوس قيصر» . .

وحياة «يوليوس قيصر» تقودها زوجته . .

وحياة زوجته يقودها هذا الطفل . . فهو السائق الصغير لهذا الكون!

«رجعونى عينيك».. ترقصها الخيول!



ذهبت أتفرج على الخيول العربية وهى ترقص . . لابد أن تكون عربية . ولابد أن تكون مختومة . هذا الختم خائر فى اللحم . وذلك باستخدام قلم درجة حرارته ٨٠ تحت الصفر . . فيترك أثرا . هذا الختم معناه أن الحصان عربى أصيل له شهادة ميلاد ومعروف أبوه وأمه . . بشهادة مركز الزهراء للخيول العربية . . الناس حولى بالبنطلون وبالجلباب . . والبنطلونات الجينز من كل لون وسن وطبقة وشعب . وأمامنا مسافة من الأرض المغطاة بالعشب . وجلست على جانب من هذه الأرض فرقة الموسيقى الشعبية : الطبلة والمزمار والربابة . أما الموسيقى فهى (رجعونى عينيك) لأم كلثوم . و(البيض الأمارة) لعبد الغنى السيد ، و(على قد الشوق) لعبد الحليم . . ويجىء الحصان يركبه فارس رشيق . هذا الفارس هو الذى دربه على الرقص . وتبدأ المباراة بالموسيقى والحصان يمشى على خط أبيض . وقف ثابتا تماما . وتبدأ الموسيقى فيرقص (رقصة المربعات) أى تتحرك أرجله الأربع من الإيقاع بمنتهى الحيوية

والرشاقة والانضباط . ويقف ثابتا مع الصفارة يطلقها واحد من الحكام الثلاثة . وبعد ذلك تبدأ مسابقة الحركة على شكل تدل على تحكم الفارس فى حركة الحصان . . ثم يقف مع الصفارة . ويحيى برجليه الأماميتين الواحدة بعد الأخرى لجنة التحكيم . . ثم يقترب الفارس من لجنة التحكيم لترى السرج المصنوع من الفضة الخالصة . . ولتتأكد لجنة الحكام من أن الفارس لم يضع مسمارًا لوخز الحصان وإيلامه لكى يأتى بالرقصات المتفق عليها . . حصان وراء حصان .

وكان يجلس إلى جوارى الحاج السباعى محروس الحديدى أشهر تاجر للخيول العربية . . وهو يرتدى جلبابا وعمامة وفى يده عصا . . وأسعده أن أكون تلميذه هذه الساعات الأربع التى رأيت فيها ١٧ حصانًا . . وأن أقوم فى ختام المهرجان بتسليم الجوائز لأحسن حصان وأحسن فارس . . وأسعدنى ذلك .

قال لى الحاج السباعى أن هناك قواعد دقيقة لضبط الدم العربى الأصيل من اللحظة التى يثبت فيها حصان على مهرة . لابد من تسجيل ذلك لكى يعرفوا من هو أبو المولود . وأن يكون ذلك أمام أطباء وشهود عالميين وعند الولادة لابد أن يكون هناك طبيب وشهود عاليون . ولابد من تسجيل صفات المولود فى شهادة الميلاد . وبعد سنة يجب أن تراجع هذه الصفات للتأكد من أن الأب والمولود عربيان تماما . . والحصان الذكر الصغير يباع بعشرة آلاف جنيه . . والأنثى الصغيرة تباع بعشرين ألفا .

وقد قال لى السيد خالد بن لادن من أصحاب مزارع الخيول أنه

يخشى على الحصان العربى من الغزو الأمريكى ومن تهاون المصريين فى حرصهم على الدماء العربية للخيول ، ولذلك يجب أن نتشدد تماما . . فالحصان المصرى العربى هو من أحسن الخيول فى الدنيا . وإن كل الخيول فى العالم تشترى من مصر . . وإن هذه الثروة العظيمة لم تتكون فى عام ، وإنما مئات أو ألوف السنين منذ أيام الهكسوس حتى الآن!

فماذا حدث فى هذه الساعات التى مضت بسرعة . لا أعرف بالضبط . ولكن من المؤكد أن كان هناك عطف عام على العاشق الجديد للخيول .

ـ أنا . فكل واحد أمامى وإلى جوارى وورائى يتطوع بإضافة معلومة جديدة لم أكن أعرفها ـ منتهى السعادة أن ترى وتسمع وتتعلم وتزداد حبا لأجمل مخلوقات الله : الخيول!

فيفى عبده : حكايات وخرافات !

٣٨ كنا نقول إذا أردنا أن نحكى نكتة : مرة واحد صعيدى . .

وقد شاركت المرحوم عبد الحميد رضوان وزير الثقافة السابق فى كثير من النكت التى كانت تنسب إليه . . كان يبنى النكتة ويجد أنها فى حاجة إلى شىء من الشطة . وكان يسألنى . وكنت فى أحيان كثيرة أنجح فى ذلك . . ويرويها على أنها نكتتى وأرويها أنا على أنها نكتة عبد الحميد رضوان .

وقلنا الكثير وضحكنا وأضحكنا .

بعض هذه النكت رويتها للرئيس السادات وبعضها للرئيس مبارك . . ولسبب غريب أصبحنا نقول : تعرف آخر نكتة إيه . . مرة فيفى عبده . .

وعلى لسان فيفى عبده توجد نكت كثيرة فى مصر الآن . طبعا لم تقلها فيفى عبده . وإن كانت فيفى عبده فنانة ممتازة وبنت بلد وبنت نكتة أيضا .

ولكن لابد أن هناك ضيقًا عامًا وحقدًا أو حسدًا عليها . لماذا؟ لأنها راقصة ناجحة . ولأنها عندما اتجهت إلى التمثيل ، وهذا ذكاء منها ، نجحت أيضا . وعندما ظهرت على المسرح لترقص كثيرًا وطويلاً وتمثل قليلاً نجحت جداً . . وكسبت الملايين وتردد على مسرحها مئات الألوف . لاتهمهم المسرحية فى الدرجة الأولى ولكن أن يروا فيفى عبده بفساتينها الجميلة ورقصتها الرشيقة تترك المسرح وتنزل إلى المتفرجين ترقص وتعاكسهم ثم تصعد إلى المسرح . والناس سعداء بذلك . . . فهم لم يذهبوا ليقارنوا بين النص المسرحى والحبكة المسرحية وبين مسرحيات أخرى . . ولم يذهبوا ليسألوا عن الشكل المسرحى والمضمون الفنى . . فهذه موضوعات لاتشغلهم . . إنهم ذهبوا فقط ليروا فيفى عبده . . التى يصعب عليهم أن يروها فى الأفراح والليالى الملاح فى سميراميس وهيلتون . . إن تذكرة الدخول بمائة جنيه وهى أرخص كثيرًا من أن تجىء لهم فيفى عبده فى أفراحهم وتتقاضى عشرة أو عشرين ألفا فى الليلة!

وتناولتها أقلام الصحفيين الذين يتحمسون لخصومها الممثلين أيضا . وقالوا عنها كل يوم كلاماً جديدًا ويسخرون منها ومن أنها لم تتعلم ومن أنها لم تعرف كم تكسب . . ومن أن لها حراسة خاصة .

وفى مصر راقصة أخرى تعتبر ظاهرة عالمية . وهى لوسى . . ملامحها حلوة . وانتقلت من الرقص إلى التمثيل ونجحت فى ذلك . ورأيت فيلما من إنتاج مؤسسة «جيوجرافيك حزين»

الأمريكية عن لوسى فى شارع محمد على . . والفيلم جميل . . ثم صارت لوسى هذه إعلانا عن كريمات البشرة . . وقبل فيفى عبده ولوسى كانت تحية كاريوكا - وهى إلى جانب أنها راقصة ممتازة ، فهى ممثلة جميلة قديرة وهى فنانة فى غاية الإنسانية . . وكانت نجوى فؤاد وسامية جمال وزينات علوى صاحبة رقصة الهوانم ، فهى قادرة على أن ترقص فى أصغر مساحة وبمنتهى الرقة واللطف . . وهى من أكثر الفنانات رقة وإنسانية أيضا . . إننى أعرف الكثير من حكايات عطفها على الفقراء والمرضى .

ولكن لم يحدث أن قيل عن فنانة أنها كسبت عشرات الملايين واشترت شقة بعشرين مليونا واشترت هى وابنتها مصنعاً . . وحكايات وخرافات كلها عن فيفى عبده التى ولدت فى قرية «ميت أبو الكوم» التى ولد فيها الرئيس السادات .

وليس هناك من سبب إلا ماضيها وسعيها وغيرة زملائها وزميلاتها . . منها!

إنها لا تقصد أن تلتهم خديك !



الأمريكان أطلقوا إلى الفضاء سيدة اسمها شانون (٥٣ سنة) لتقوم بعدد من التجارب العلمية المعقدة فى المحطة المدارية الروسية ، هذه السيدة من علماء الكيمياء الحيوية ، وعندها كشف بأربعين عملية كيماوية يجب أن تجريها وتبعث بنتائجها إلى الأرض أولاً بأول .

لماذا؟ فقد تموت هناك فيخسر العلم نتائج هذه التجارب الفريدة ، وهى ترسل هذه النتائج على شكل إشارات أو على شكل صور أو على شكل نبضات صوتية وضوئية ، وشانون تأكل طعاماً مقرفاً ، لابد أن يكون كذلك حتى لا تأكل كثيراً وحتى لايزيد وزنها وحتى لاتنتفخ أكثر وأكثر ، لأنه من المعروف أنه فى منطقة انعدام الوزن فإن العينين والوجنتين والبطن كلها تتكور وتصبح كلها منفوخة .

ولو لاحظنا رواد الفضاء ، فإنهم لايتوقفون عن الكلام . . يعلقون

عن كل الذى يرون ويسمعون . . طول الوقت . . أى يبعثون المعلومات . فالكلام يجعلهم يشعرون بأنهم ليسوا وحدهم . . وأهم من ذلك أن تصل المعلومات إلى الأرض . فمن يدرى ربما حدث خلل فى أجهزة الإرسال ، أو ربما مات رائد الفضاء فتخسر الدولة مئات الملايين التى أنفقتها لكى يصل رائد الفضاء إلى هذا المكان حول الأرض أو على القمر!!

ومن المعروف أن الدكتورة شانون لوسيد سيدة قوية الأعصاب . ضخمة . وليس لها قلب ، هى التى تقول عن نفسها . وقد لاحظت محطات المتابعة الأرضية فى إحدى المرات أن صوتها قد تغير قليلاً .

مالك؟ سألوها .

قالت : أولادى وحشونى وزوجى .

وضحك علماء الأرض وقالوا : أهو ده اللى مش ممكن أبداً . . كيف نبعث بهم إليك . . أو حتى نأتى بك إليهم؟

وبقيت شانون فى المحطة المدارية مع اثنين من الرواد الروس .

وتحدد موعد إرسال مكوك فضاء يأتى بها إلى الأرض . وتعطل المكوك وتأجل ٤٨ يوماً . وضربت الرقم القياسى لأية امرأة فى الفضاء . فعندما يصلها المكوك الجديد يوم ٢٦ سبتمبر تكون قد عاشت فى الفضاء ١٨٨ يوماً .

وقد سجلت كل ملاحظاتها . وسوف تعود ومعها بعض الحشرات التى استطاعت أن تعيش رغم انعدام الجاذبية هناك . . كما أنها أجرت تجارب على نفسها وعلى الرائدين الروسيين .

وقامت بتحليل الدم والبول والبراز . . وصورت المعدة والقلب والمخ .

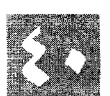
هذه التجارب قامت بها د . شانون لكى نعرف ماذا سوف يصيب الإنسان فى رحلته القادمة بعد ١٥ عاماً إلى المريخ ، سنوات من الذهاب والإياب وشهوراً من الدوران حول المريخ .

وقد صدرت لها التعليمات من الأرض بأنها إذا دخلت المكوك الفضائى أن ترقد على بطنها لاتقف ولاتتحرك . وتظل كذلك حتى تصل إلى الأرض . وإذا جاءت إلى الأرض فممنوع أن تمشى على قدميها وممنوع أن تفرد ذراعيها . . وممنوع أن تواجه هواء الأرض وشمس الأرض وضغط الأرض إلا بعد ساعات .

ومن المتوقع أن تبكى وأن تهلوس وأن تنادى أطفالها وزوجها . ولكن التعليمات أن يتركوها (تتغلق) وتقول ما تشاء وتشتم وكالة الفضاء الأمريكية والذين حبسوها فى السماء سبعة شهور ، كل ذلك وأكثر يتوقعه العلماء بضع ساعات قبل أن تسترد إنسانيتها ومشاعرها العادية كأول امرأة عاشت كل هذه الفترة الطويلة فى الفضاء .

وقد حذرت وكالة الفضاء أولادها وزوجها ، ألا ينزعجوا إذا رأوها منفوخة على الآخر . وحذرتهم إذا هى صفعت واحداً على خده بقوة . فليس سبب ذلك أنها أصيبت بالجنون ولكن السبب أنها سوف تبقى بعض الوقت غير قادرة على التحكم فى أعصابها وضبط حركاتها . . إلخ ومن الممكن إذا قبّلت واحداً من أبنائها أن تأكل خديه ، فلا داعى للقبلات فى أول يوم!!

قولى لى من فضلك !



أول مرة سافرت إلى «فيينا» ، لم تكن عندى صورة واضحة عنها . . بعض العبارات والصور والقصص . . وعظماء الموسيقى وبعض الأدباء الشبان . . وكل الذى طلبته من المارة : من فضلك أين يوجد مجسم «بيتهوفن» . .

وبعض المارة كان يبدى دهشته من سؤالى . . كأنه يريد أن يقول : ما هذا العبط الذى لايرى جمال المدينة ولايبحث إلا عن مجسم من الحجر . . هذا المجسم يمثل لحظة استطاع صانع المجسم أن يسجلها . . أو يخلدها . . أما بقية اللحظات من عمر «بيتهوفن» فليست موجودة هناك . .

وكانت دهشتى أكبر أن يلقى «بيتهوفن» مثل هذه اللامبالاة ، وأحيانا القرف ، وأحيانا الاحتقار . . احتقار «بيتهوفن» أو احتقار هذا السائل الغريب . وعرفت بعد ذلك أننى رغم درايتى باللغة الألمانية ـ فإننى أنطق اسم «بيتهوفن» نطقا خاطئا . وذهبت إلى المجسم ووقفت أمامه ودرت حوله . . واندهشت لضيق أفقى . . إذ

كيف لم أر أى شىء فى كل الشوارع التى سرت فيها . . فقط أبحث عن مجسم . ووجدت المجسم . . وبعد أن وجدته بدأت الشوارع تظهر لها ملامح . . والمشاة من الرجال والنساء أصبح لهم وجود . . ومن كل الوجود لم ألتفت إلا إلى الجميلات . . وكانت الجميلات موجودات طول الوقت . . ولكن المجسم هو الذى شغلنى . . فلم ألتفت إلا إلى المجسمات . . ووجدت فى هذا السلوك كل عيوب التخصص . . فالمتخصص لايرى من دنياه إلا الذى تخصص فيه . . ولو كنت حلاقا لنظرت إلى رءوس الناس فقط . . ولو كنت صانع أحذية ما رأيت غير (الجزم) . . ولو كنت ترزيا لتوقفت عند البنطلونات أو الفساتين . . أما بقية ملامح الإنسان والشوارع فإننى لا أراها .

وكأننى ضربت نفسى قلمين ، وثلاثة ، وأربعة ، فكلما رأيت مجسما أبعدت عينى ورأسى عنه ، واتجهت إلى المقاعد فى المقاهى التى تجلس إليها الفتيات . . فقط الفتيات . .

وكان ذلك من أربعين عاما . .

وفى المرات الخمسين التى رأيت فيها «فيينا» ، لم أعد أرى المجسمات ولا أحب . . ولاحظت الجمال فى كل صورة وشكل ولون وطعم وصوت . . سبحان الله ما أعظم قدرته على الإبداع . .

ومنذ أيام وأنا أجلس فى مقهى «سخر» صاحب الفندق الشهير وصاحب التورتة الشهيرة ، والذى تزوجت ابنته رئيس وزراء مصر «محمد نسيم باشا» وجدت فتاة جميلة قلت لها : قولى لى من فضلك . . ولا بلاش!

قالت : ليه تفضل قول . .

قلت : أقول لك إيه ولاّ إيه عن إيه ولاّ إيه . .

قالت : قول . .

قلت : مش عـــارف أبدأ منين . . من هنا ، ولاّ من هنا . . وخصوصا من هنا . .

قالت : ممكن أعرف يعنى إيه كلمة «هنا» . .

قلت : ما هو أنا لو كنت أعرف معناها كنت قلت لك . . والله ما أنا عارف لها معنى ولا أولاً ولا آخراً ولا عمقًا . . قولى لى من فضلك . . ولاّ بلاش!

قالت : ليه بلاش؟ اسألنى أى حاجة عن الموسيقى . .

قلت : موسيقى؟

قالت : عن السياسة؟

قلت : سياسة؟!

قالت : أمّال عاوز تسألنى عن إيه؟

قلت : هل تعرفين أن بلدكم هذه هى البلدة الوحيدة فى أوربا ، التى نسمع فيها صوت البلابل بعد منتصف الليل . . إنها تشبه صياح الديوك فى بلادنا قبل طلوع الشمس .

قالت : هل هذا هو السؤال ؟

قلت : لا .

قالت : إذاً ما السؤال؟

قلت : لازم يعنى؟

قالت : ضرورى .

قلت : قولى لى من فضلك أنت جميلة كده ليه؟

قالت : هاها . . هاها . .

قلت : ضحكتك جميلة كده ليه؟!

- . . . .

عندما يجيء يوم ٣١ ديسمبر سنة ٢٠٠٠!؟



لو دعوت لك بطول العمر ، واستجاب الله لدعائى ، فلن تعيش حتى تموت الشمس بعد خمسة آلاف مليون سنة . . وقبل أن تموت الشمس ، سوف تبلغ ثلث كواكب المجموعة الشمسية : الأرض والمريخ والزهرة . . ومعنى ذلك أن الشمس عمرها عشرة آلاف مليون سنة فقط .

والشمس درجة حرارة سطحها الخارجى ستة آلاف درجة مئوية . أما جوفها فتبلغ درجة حرارته ٤٣ مليون درجة مئوية . إنها جحيم . . يتحول فيه غاز الهيدروجين إلى هليوم بصفة مستمرة .

ونحن ـ سكان الأرض ـ نبعد عنها ١٥٠ مليون كيلومتر . . ونبعد عن القمر ٤٠٠ ألف كيلومتر . .

وكل ما فى الكون يدور حول نفسه وحول بعضه البعض . . كل شىء دايخ حولنا . . تماما كما أننا نحن دائخون فكل واحد يدور حول نفسه وحول غيره من الأفراد والمؤسسات والدول والقضايا . .

كله يلف ويدور . والذى لا يفعل يتجمد ويموت . . ويتساقط وينهار . .

إنها حكمة الله . . حياة الصخور فى السماء والنبات والحيوان والإنسان . . ولن ينهى هذه الدوخة إلا الموت . . حتى الموت يجعلنا نتحول إلى تراب . . والتراب يضاف إلى الأرض ، الذى هى كوكب يدور . . ويتحول فى التراب إلى تربة لنبات أو مرتع لحيوان أو طريق لإنسان ، ويعاود الدوران إلى مالا نهاية . .

ومن حين إلى حين تقترب من الأرض كتل من الحجارة أو الجليد أو طوفان من التراب وعواصف من الغازات . . وتكون على بعد مئات الألوف من الكيلومترات . . أو الملايين . . ونحن نتوقع بعد ألف أو بعد ألفى سنة أن تصطدم كتلة فى حجم جبل المقطم بالأرض ويكون لها دوى عشرة آلاف قنبلة ذرية . وسوف يكون من نتيجة ذلك أن تجف مياه البحر وتشتعل الحرائق فى كل مكان وأن يموت كل الناس وبعض الحيوانات ، وتبقى الحشرات والأعشاب . . تماما كما انقرضت الديناصورات من ستين مليون سنة ، بعد أن عاشت على الأرض ثمانين مليون سنة . . والحياة البشرية عاشت على الأرض مئات ألوف السنين . . والإنسان لم يستقم ظهره ويكن عاقلا إلا من حوالى ٣٧ ألف سنة . . كل ذلك سوف يذهب ويجىء من بعده خلق جديد . . ونحن لا ندرى إن كنا نحن الخلق الجديد لحضارة أو حضارات انقرضت من قبلنا . . ولا ندرى كم من الحضارات سوف تجىء من بعدنا . . ولا ندرى حتى الآن إن كنا الكائنات العاقلة الوحيدة فى كواكب هذا الكون ، أمّا عدد الكواكب التى تدور حول النجوم كالشمس ، فهى

ملايين ملايين ملايين (أرجو أن تكررها مليون مرة) الكواكب . . ونحن أيضا لا ندرى إن كان هذا الكون الذى نراه ونعرفه هو الكون الوحيد أو أن هناك ألوف الملايين من الأكوان الأخرى . .

شىء واحد فقط سوف يضايقنا بضعة أيام أو أسابيع ، سوف يحدث فى سنة (٢٠٠٠) . . فسوف ترتفع درجة حرارة الشمس . . وتخرج منها ألسنة تمتد إلى مئات ألوف الكيلومترات . . ومن شأن هذه الحرارة والكهرباء والمغناطيسية الشمسية أن تعطل كل وسائل المواصلات وأجهزة الرادار وأجهزة سفن الفضاء وأقمار التجسس المدارية . . وسوف تؤدى إلى هلوسة العقول الإلكترونية وتبديد كل مالدينا من معلومات جمعناها فى عشرات السنين . . ألوف ملايين المعلومات . .

ولذلك يستعد العلماء فى كل الأرض وفى حالة من الفزع إلى هذه النهاية المروعة للقرن العشرين يوم ٣١ ديسمبر سنة (٢٠٠٠) .

أما الذى سوف يحدث للقمر فلا يهمنا كثيرًا . ولكن الذى سوف يحدث للإنسان من اضطرابات عصبية ومن التهابات جلدية وإنعاش لكثير من الميكروبات والفيروسات . . ولخبطة المجالات المغناطيسية . . فالله وحده يعلم . . هل هى نهاية عالمنا ودنيانا . . ليس كذلك وإنما هى إنذار بذلك ـ والله أعلم .

.. ونحن طيبون !



ذهبت إلى طابا المصرية الواقعة على الحدود بين مصر وإسرائيل . وهناك قابلت صديقا سعوديا ، كنت قد طلبت أن يُحضر معه بعض الجوز ، والبندق ، والقراسيا ـ لوازم شهر رمضان ـ وأحضر كمية كبيرة . وشكرته . وقلت له : إذاً سوف أعطى جانبا منها لأصدقائه فى القاهرة .

فاعترض لأنه سوف يأتى بكميات أخرى من السعودية . وأكد لى أنها عادة سنوية . وبعض الأصدقاء السعوديين يفعلون ذلك : السفير السعودى «أسعد أبو النصر» ورجل الأعمال «على الشوبكشى» وغيرهما .

وجاء أحد الجرسونات وحمل لوازم رمضان . وسألنى عن سيارتى فأشرت إليها .

وأنا فى طريقى إلى شرم الشيخ تذكرت أننى وقعت فى غلطة كبيرة .

فلم تكن لى سيارة فى طابا . . إذاً فالجرسون اختار ماركة السيارة التى ذكرتها له وفتح الشنطة ووضع فيها لوازم رمضان . . وعدت إلى فندق طابا ، وحاول الجرسون أن يعرف السيارة ، التى وضع فيها لوازم رمضان فلم يستطع . . ولم يستطع أن يفتح كل السيارات . . إذاً راح الجوز واللوز إلى غير رجعة!

فليس أمامى إلا أن أذهب إلى إيلات الإسرائيلية . ودخلتها واشتريت الجوز ، واللوز ، والبندق . . وخرجت . وسألت عن السيارة التى سوف تنقلنى إلى شرم الشيخ . وفتحت الشنطة بنفسى ووضعت المشتريات فيها بعناية فائقة .

لقد انحلت المشكلة . وعدت إلى شرم الشيخ لأمضى ليلة واحدة ، وأعود بعدها بالطائرة إلى القاهرة . .

وودعنى المحافظ فى المطار ، وقلت : أرجو ألا يكون السائق قد نسى .

فقال المحافظ : طبعا لا . . سوف يكون أمام الباب قبل وصولك بالطائرة .

ـ معقول ؟

ـ سوف ترى!

وفعلا عندما وصلت إلى القاهرة واتجهت إلى البيت . فوجئت بوجود السيارة والسائق أمام الباب . وشكرت السائق .

وعندما سألت عن الجوز ، واللوز ، والبندق ، فوجئت أنها لم تصل . ولم أفهم ما الذى جاء بالسائق . . أو ما الذى جاء به السائق .

فقال لى : ولا حاجة!

فاتصلت بالمحافظ وسألته عن الجوز واللوز . فوجدته لايعرف . ولما سأل السائق قال إنه اعتقد أننى أعطيته كل هذه المشتريات ، بمناسبة شهر رمضان . . وأننى قلت له بالحرف الواحد : خذ هذه الأشياء وضعها فى شنطة السيارة . . إنها لرمضان كل سنة وأنت طيب!

وكان من الضرورى أن أقول : خذها وضعها لى . . وكل سنة وأنت طيب!

وجاءنى تليفون من صديقى السعودى من طابا : جرى إيه؟

ـ إيه ؟

ـ أنت زعلان وإلا إيه !

ـ ليه ؟

ـ علشان أنت أعدت لى الجوز واللوز . .

ـ أنا . .؟ لقد وضعها الجرسون فى سيارة خطأ . . وذهبت إلى إيلات واشتريت بديلا عنها . .

ـ ظننت أنك غضبت لأنها ليست كثيرة كما يجب فأعدتها . . ولذلك أنا أعطيتها للجرسونات . .

ـ هاها . . هاها .

ـ على أى شىء تضحك؟!

ـ أضحك على أن الذى اشتريته من إيلات قد أخذه السائق ظنا أنها هدية منى!

ـ هاها . .

ـ كل سنة والجرسون والسائق وأنت وأنا طيبون!

المليونير الكويتى ـ يرحمه الله ويرحمنا!

٤٣

فى يوم وراء يوم لاحقنى أحد رجال الأعمال الكويتيين ـ ولا أعرفه .

ويطلب منى بصورة عاجلة أن نلتقى فور وصوله من لندن .

وجعلنى أفكر . فلم أجد سببًا واحدًا لأن يكون بيننا لقاء . لا يوجد غير سبب واحد عندى وهو أنه يريد منى كتابًا يطبعه أو ينشره . أو مقالا .

فأنا لا عمل لى إلا القراءة والكتابة . وبس! فما الذى يهمه من الذى اقرأ ، ولا أظن أنه قد أتى لى بعدد من الكتب هدية ، ولماذا ؟ ولأى هدف؟ . .

إذن لا يوجد سبب يجعل مليونيرًا كويتياً يتعجل هذا اللقاء . واللقاء فى بيتنا .

يا سلام . . هل هو شىء مهم وخطير إلى هذه الدرجة . ورغم أنه طلب غير مألوف من شخص لا أعرفه . فلم أجرؤ أن أقول له : فى البيت لا . . وليكن فى أى مكان آخر!

وجاء الرجل . وكانت المفاجأة . أنه يريد أن يلتقى بالرئيس «حسنى مبارك» .

أو بالوزير «فاروق حسنى» لماذا؟ لأن عنده مجموعة من الزوارق مزودة بأحدث أدوات الغوص والتصوير تحت الماء .

وهو قادر على أن ينتشل بقايا أسطول «نابليون» ، الذى أغرقه الجنرال البريطانى «نلسون» فى معركة (أبو قير) البحرية سنة ١٧٩٩م . . ولم نعرف حتى الآن ما الذى غرق وما الذى بقى؟ . .

والله فكرة . ولكن المليونير الكويتى عندما قابل وزير الثقافة «فاروق حسنى» ، قال له :

إنه يعرف بالضبط كمية الذهب الغرقان .

وإنه سوف ينتشله مقابل أن يحصل على نصف الذهب!

ورفض «فاروق حسنى» فورًا .

ولكن رجل الأعمال الكويتى لم ييئس . وكلما مر بالقاهرة جاء إلى البيت لنتناقش من جديد . ولم أجد عندى جديداً أقوله ولا عند «فاروق حسنى» .

وفجأة ظهر الأثريون الفرنسيون والغواصون . والتقطت الأقمار الصناعية صوراً لما تحت مياه أبو قير ، وعرف الخبراء الفرنسيون كل ما تحت الأمواج . .

واستخرجوا ألوفاً من القطع الأثرية الذهبية والفضية والخشبية والرخامية . .

وفجأة ظهر تمثال لملكة مصر كليوباترا ابنة بطليموس الثانى عشر ، الذى اختلفت معه وطردها وهربت إلى سوريا وعادت بجيش ، قتل أباها .

وحكمت مع أخيها الذى وضعت له السم . . وجاء القائد الرومانى قيصر الذى أحبته . وقتلوه .

فأحبت القائد الذى جاء من بعده ولما أشيع أن الرومان قتلوها انتحر .

ولما عرفت أنه انتحر تجملت ووضعت الأحمر والأبيض وارتدت أجمل فساتينها وأغرقت نفسها فى أجمل عطورها وأتت بثعبان نهشها فماتت فى أجمل صورة كأنها بعد أن فرغت من إغراء ملوك الرومان قررت أن تغرى ملك الموت!

كليوباترا جلست على العرش وهى فى السابعة عشرة من عمرها لم تشأ أن يجلس إلى جوارها على العرش أى ملك آخر ، وإن كانت فضلت أن ينام فى سريرها كثيرون تآمرت عليهم جميعا . .

وقد ذهبت إلى روما عشيقة للقيصر فكرهها الرومان . وعادت إلى مصر وخافت أن يجرجرها القائد «أوكتافيو» فى شوارع روما ، فاختارت الموت بيدها ، لابيد المنتصرين!

وأشهر ملكات مصر فى كل العصور «حتشبسوت» الجميلة ، و«كليوباترا» التى لم تكن جميلة و«شجرة الدر» الشقراء .

وثلاثتهن مشهورات بالذكاء والقوة ـ قوة قهرت كل الرجال .

ووجد علماء الآثار أعجوبة الدنيا السابعة تحت الماء : فنار الإسكندرية الذى كانت به مرآة . هذه المرآة تعكس أشعة الشمس على السفن المعادية فتحرقها؟!

وقد سقطت كل هذه الآثار بما فيها قبر الإسكندر وقبر «كليوباترا» ، وقبر «أنطونيو» تحت الماء بفعل الزلازل والفيضانات . .

ولم يظهر حتى الآن رجل الأعمال الكويتى ـ يرحمه الله ـ إن كان قد مات ، ويرحمنا الله إن كان لايزال حيا!

صداع واحد وألف دواء !

" في غياب الأطباء نحن جميعا أطباء . فأنت تداوى نفسك بنفسك ، لأن الطبيب ليس في متناولك كل ساعات الليل والنهار . . إذا كان عندك صداع ، فعلى طول تأخذ قرص أسبرين . ولم تخطئ . أو تأخذ قرصين وهذه هى بداية الخطأ أو ثلاثة أقراص . فأنت ماض فى الخطأ . فليس سبب الصداع دائما هو أعصابك . فقد يكون السبب هو الإمساك . أو هو الإرهاق . أو هو ارتفاع ضغط الدم . . أو هو الأرق . . ولكن أين هو الطبيب الذى نستطيع أن نأتى به لكى يفسر ويشرح ويقنع . .

وعندما لا يكون هناك طبيب ، فإننا نلجأ إلى أناس مثلنا لهم تجارب . ونسأل : عندى صداع ماذا أفعل؟! فواحد يقول لك : انزل فورًا إلى الشارع . . غيِّر مناظر . .

وواحد يقول لك : خذ حمامًا ساخنًا . .

فتقول له : حمام ساخن فى عزّ الصيف .

ويكون الرد : أيوه يا أخى . أنا أفعل ذلك دائما . وأنام بعدها نومًا عميقًا!

وواحد يقول لك : توضأ وصل لك ركعتين . . واقرأ لك آيتين . . وتوكل على الله . . فقد كان الإمام الغزالى يفعل ذلك . . وكان الإمام أحمد بن حنبل يستعين بالله ثم يغمض عينيه ويتلو ماتيسر له من القرآن الكريم . . ويكون الشفاء بإذن الله . .

وواحد يقول لك : آه أنت فى حاجة إلى علاج صينى . . هل معك عود كبريت؟!

فتقول له : لا .

ـ هل معك دبوس . . بلاش دبوس . . هل معك قلم رصاص؟! أمسك القلم الرصاص . واضغط به على جانبى الرأس برفق . . مرة . . عشر مرات . . عشرين مرة . . وأنت مغمض العينين ممدد الساقين ولاتفكر فى أى شىء . . وكلها دقيقة واحدة ويذهب الصداع!

وكان بقراط الحكيم الإغريقى القديم يسأل مرضاه هكذا :

ماذا أكلت . . وكم ساعة نمت . . هل تشاجرت مع زوجتك . . هل ضايقك شىء من أولادك . . هل أنت مدين لأحد . . ألا تخرج من البيت . . ألم تجلس تحت شجرة؟

ومن الإجابات التى يتلقاها أبو الطب «بقراط» يكون التشخيص . وبعد التشخيص يجىء العلاج . وبقراط يرى أن العوامل النفسية . . أو الضغوط النفسية هى المصدر الأول لكل أنواع الأوجاع الجسمية!

وكانت «بلقيس» ملكة سبأ أول من اعتقدت فى أن حمام اللبن الساخن مع البخور هو العلاج لكل أوجاع البطن والرأس . . وهو أحسن علاج للبشرة . وكانت الألبان التى تستخدمها بلقيس هى ألبان الحيوانات . . وكانت «كليوباترا» تغلى الأعشاب والزهور معا ، تضعها فى حمام واحد وتنام . . ويأتيها النوم عميقا ، ويقال إن الإمبراطورة «مسالينا» كانت تحيط نفسها بعدد كبير من الأطباء . وتسألهم الواحد وراء الآخر ـ أو من وراء الآخر . ثم تقتل كل من يصف لها دواء ليس سريع المفعول .

وكانت الملكة البابلية «سمير اميس» قد وجدت العلاج الذى لم يستطع أحد أن ينافسها فيه . . فإذا شكت من صداع أو من أرق ركبت حصانًا وانطلقت به . . ويكون ذلك نهارًا أو ليلاً . . وبعد ساعة من ركوب الخيل تعود إلى قصرها لتنام نومًا عميقا!

وكان الشاعر «عنترة العبسى» يرى أن السيف هو الذى يشفى رأسه من ألم الصداع . . أى بقطع الرقبة ، يختفى الصداع!

مع الأسف كان يشفى صداع الآخرين ولم يفلح فى أن يشفى صداعه هو ، ولا سمح لأحد أن يفعل به ذلك!

وكان الفيلسوف الفرنسى الوجودى «سارتر» ، عندما يشعر بصداع يقول : نعم . .

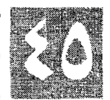
أما تفسير ذلك فهو أن أفكاره تدق باب العقل ، فينهض ليفتح لها الباب . . وهو ينهض إلى ركن أحد المقاهى فى باريس ويخرج الورق والقلم ويكتب وسط الضوضاء والدخان ورائحة النبيذ

ساعات طويلة . . بعدها يجد أن النوم هو الحل الوحيد ، من صداع آخر بسبب الإرهاق!

أما الشاعر الألمانى «شيلر» فكان إذا جاءه النوم وهو لايريد أن ينام كان يضع أصبعه فى نار المصباح . . فيحترق أصبعه ويصرخ ويمضى فى الكتابة . أما إذا لم يفلح فى إبعاد النوم عن رأسه ، فإنه ينهض ويضرب دماغه فى الحائط . . فهو يهز رأسه حتى يسقط منها الصداع . .

أظن أنك الآن تعرف كل أدوية وأسباب الصداع ، وكل وسائل العلاج منه!

.. ولكن ليس فى رمضان !



ذهبت إلى جـــزيرة «بالـى» ، وهـى الجـــزيرة البـوذية الوحـيـدة فى كل الجـزر الإسـلامـيـة بإندونيـسـيـا . عـدد الجـزر ثلاثة آلاف جزيرة . أما سبب الزيارة فى المرة الثانية ، فلأن هناك فنانا هولنديا ترك الدنيـا كلهـا ، وقـرر أن يعـيش هادئًا هانئًـا . وقـد تزوج فـتـاة أندونيـسـيـة جـمـيلة . وتعلم اللغـة . وارتدى مـلابس أهل البـلاد . وعنده أولاد بيض وشعرهم ذهبى وعيونهم منحرفة . . ويرسم ويبيع لوحاته فى أوربا ، وإلى السياح الأجانب إذا جاءوا إلى الجزيرة .

وفى العـاصـمـة «ديناسـر» هو أهم مـعـالـم الجزيرة . نزلت ضـيـفًا عليه . وأسعدنى ذلك .

أنا قلت : وأسـعـدنى! لقـد وقعت فى غلطة . فأسـعـدنى ليـست هى الكلمة المناسبة! لماذا؟! سوف ترى .

فلم أكد أصل إلى الجزيرة ، واهتدى إلى بيت صديقى الفنان «روبرت فان دوكر» ، حتى وجدت عدداً من الحضارمة سكان هذه الجزيرة .

أهلاً وسهلاً ومرحبًا ـ هم الذين قالوا لى . .

أهلاً وسهلاً ـ أنا الذى قلت مندهشا كيف عرفوا وجودى وبهذه السرعة . ولم أستطع أن أدعوهم إلى دخول بيت ليس بيتى . فوقفت أتحدث إليهم خارج البيت . وفهمت أن السفير المصرى قد بعث لهم ببرقية يخطرهم بحضورى . فشكرًا له ولهم .

ولم ينته الأمر عند هذه الحفاوة . فقد نسيت أننى فى منتصف رمضان . وأننى مدعو فوراً للإفطار عندهم . ولم أكن صائمًا ، فأنا على سفر طويل جداً . .

وأهم من ذلك أن أذهب إلى المسجد ، لكى أصلى بهم المغرب . . ومن بعده العشاء والتراويح وكل يوم . . ولكن لماذا؟ لم أفهم وحاولت فلم أستطع أن أفهم . وأمام إصرارهم الذى لايقبل مناقشة .

اهتديت إلى أن لديهم شعورًا بأنه لايصح الإمامة للصلاة وقد جاءهم من أقصى الشرق واحد مسلم مصرى . وكنت شابًا صغيراً . وهم كبار ولهم شوارب ولحى طويلة جداً . والذى أؤديه ليس عملاً خطيراً ، ولا أنا صاحب معجزات . ولا فرق بين أن أتقدمهم إمامًا ، وبين أن يتقدمنا جميعًا أى أحد . ولم أفهم السبب .

وبمنتهى الصراحة ، لم أعرف للنوم طعمًا ، ولا للأكل مذاقًا . . ولم أجلس إلى صديقى . فكثيرًا ما عدت عند منتصف الليل لأجده هو وزوجته وأولاده نائمين . . ثم أننى أصحو مبكراً كما هى

عادتى ، وحتى لا أزعج صديقى وأسرته فإننى أتسلل من تلقاء نفسى إلى المسجد لصلاة الفجر .

واتخذت قرارًا هو : أن أذهب إلى أحد الفنادق . وذهبت . وغضب صديقى . ولم يفهم السبب . ولم أعرف كيف أقنعه . وحاولت أن أجد أسبابا غير مقنعة . . وحاول هو أن يسألنى إن كانت غرفتى صغيرة . يمكن تغييرها .

إن كان أولاده يزعجوننى . . إن كان الطعام . . إن كانت رائحة الزيوت والعطور والبهارات . . إن كان الببغاء كثير الكلام . . إن كانت السحالى التى يتفاءلون بها قد ضايقتنى . . إن كنت لا أجد راحتى الشخصية جداً فى هذا البيت .

لم أعرف كيف أرد؟! . ولم يفهم . والحقيقة أننى أيضا لم أفهم :

لماذا إصرار الجالية الحضرمية على أن أكون إماماً فى كل الصلوات . ولا أنا أكبرهم سنًا ولا أكثرهم علمًا . ولكنه ـ كما فهمت ـ هو واجب الضيافة ودليل الحفاوة والتكريم .

وقررت أن أهرب من الجزيرة ، عائدا إلى «جاكرتا» . وقابلت السفير المصرى . وحكيت له . وظل السفير يضحك ورجال السفارة .

وقال : أنا آسف جداً إنها غلطتى . . والله ما قصدت شيئا من ذلك . وإنما أردت أن يهتموا بك ، وأن «يفرجوك» على الجزيرة وأن يكونوا فى خدمتك ، وهم أناس طيبون جداً كما لاحظت .

فسألته : ولكن لم تقل ما غلطتك البريئة يا سيادة السفير . .

ولم يتوقف السفير عن الضحك . ولا شاء أحد من رجال

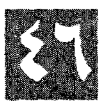
السفارة ، الذين يعرفون أن يقولوا شيئًا . طبعًا لابد أن يقول السفير . .

وقال السفير : أنا أرسلت خطابا إلى الحاج «عبد الرحمن السقاف» كبير الجالية ، وقدمتك له على أنك من علماء الأزهر الشريف . هذا كل ما حدث!

سامحك الله يا سيادة السفير أنتم وأبناء حضرموت . . وهذا تحذير لأى أحد من رجال الأزهر ، يفكر فى زيارة هذه الجزيرة فى شهر رمضان المبارك!

وقد أعذر من أنذر!

لابد من ضرب الصغار!



في سنة ١٩٥٠م ذهبت إلى ألمانيا . . وكانت لاتزال منهارة . . البيوت والشوارع والعمارات . ولايزال الألمان بمنتهى العبقرية يبنون ما انهدم من البيوت والشوارع والمصانع . وكانت عندهم مشكلة فريدة في التاريخ : لقد مات منهم عشرون مليونا . فقالوا : لقد أسفرت الحرب عن اختفاء كثير من الأيدى وبقاء كثير من العقول . وبهذه العقول أقاموا دولتهم العظمى في قلب الأعداء شرقا وغربا .

وذهبت إلى مصانع كروب . . وقالوا : إن لديهم عددًا من العمال المصريين . . قالوها بشيء من عدم الارتياح . فسألت ولم أجد جوابًا واضحًا . ولكن جارى وهو أحد العمال وقف بصوت غليظ ولهجة خشنة ، وقال : بمنتهى الصراحة إن الشبان المصريين هنا لايصلحون للعمل ، إنهم أكثر اهتمامًا بالبنات من الشبان الألمان .

وحاولوا أن يسكتوه . ولكنه رفض ومضى يقول لى : إذا كان

عندكم أى أمل فى أن يعود هؤلاء المصريون لبناء مصر ، فخير لكم أن تستعيروا عددا من العمال الألمان!

وعرفت أن الألمان قد أعادوا نظام الضرب فى المدارس . فقد لاحظ الألمان أن الشباب يقلد الأمريكان فى لبس البنطلون الجينز وفى مضغ اللبان . . وفى مد الساقين فى وجه الأب والأم . . ثم إن شيئاً مهما قد اختفى منهم وهو : الانضباط . . وقداسة القانون . فكان لابد من استخدام العصا!

وفى بريطانيا هذه الأيام ضجة فى كل الصحف والمجلات وفى العيادات النفسية : ماذا نفعل بالأطفال؟ هل نضربهم؟ هل نترك ذلك للأبوين؟

ماذا حدث؟ لقد ظهر العنف فى المدارس حتى أن طفلا قتل طفلا آخر . ولما وقف القاتل أمام القاضى ، سأله القاضى : ماذا فعل؟ قال : ضربته . . فسأله القاضى : وهل علمت أنه مات . . هل تعرف معنى أنه مات؟

فظهر على وجه الطفل أنه لايعرف . . وسأله القاضى : كيف تعرف أن صديقا لك . . أو أخاك الأصغر لم يعد حيا؟

فلم يفهم الطفل السؤال . ولذلك عاد القاضى يسأله : هل الطفل الميت يستطيع أن يتكلم؟

فقال القاتل : لا . .

ـ هل يستطيع أن يقف ؟

ـ لا . .

ـ هل حاول أن يمنعك من أن تحمله وأن تضعه أنت وصاحبك تحت عجلات القطار ؟

ـ لا . .

ـ ولماذا ذهبت تخبر والدته بأن ابنها مات؟

قال الطفل القاتل : حتى لاتبحث عنه!

وضحكت المحكمة وبكت أم الطفل القتيل . .

ثم تكرر العنف فى مدارس كثيرة . ويتجه الرأى العام فى بريطانيا إلى إدخال نظام الضرب . . والمناقشات الآن : كيف يكون الضرب وفى أى مكان من الجسم ، وما الأداة التى يستخدمها المدرس فى الضرب . . وهل يوافق الآباء والأمهات على ذلك؟!

إن القضية أن الأطفال قد عرفوا العنف والإهمال واللامبالاة . . وأنه لابد من إدراك الأطفال الصغار ، حتى لايكونوا مجرمين كبارا . . وحتى لايهربوا إلى المخدرات . . وحتى لايشعلوا حربا عالمية ثالثة ورابعة!

بركاتك ياشيخ عطعوط

٤٧ كنت رئيسا لتحرير مجلة (الجيل) سنة ١٩٦٠ .. حاولت أن أجدد شكل المجلة وأن أبحث عن موضوعات مثيرة جديدة .. وكنت في ذلك الوقت أكتب عن الحب ووجع القلب .. ومجلة الجيل كان اسمها (الجيل الجديد) - أى أنها مجلة الشباب . وكل صور وقضايا وفضائح الشباب كانت موجودة فى كل صفحات المجلة .

ومن ضمن المحاولات هو تحويل محررة إلى متسولة فى شوارع القاهرة . لنرى ماذا تكسب وماذا يقول لها الناس .. ووقع الاختيار على محررة بيضاء ذهبية الشعر خضراء العينين .. أى واحدة تغرى الناس بأن يعاكسوها وأن يطلبوها للزواج لكى يتوب عليها ربنا من العذاب والبهدلة .. وكانت المحررة إلى جانب التسول تبيع أوراق اليانصيب ..

وقد كسبت الكثير جدًا من تشجيع الناس أو من إغرائها بأن وأن ..

وطلبت من أحد المحررين أن يعمل خداما فى أحد البيوت .. ووقع الاختيار على بيت متوسط الحالة . وشرب المرّ أشكالاً وألوانًا .

فكان يغسل وهو لايعرف ويكوى ويكنس . والتقطنا له صورًا وهو يقوم بكل هذه الأعمال . ونشر حكايات وخناقات وفضائح عن البيت الذى كان يعمل فيه . . وعن البيوت المجاورة أيضا . .

وأدخلناه السجن بالاتفاق مع وزارة الداخلية . . وحكى ماذا دار ويدور بين السجناء . وكل واحد له حكاية وكل واحد له مأساة . . وكيف طلبوا إليه أن يكون نشالاً . .

وخرج من السجن . . ليقع فى أيدى عصابة للنشل . . وذهب معهم وعلموه ودربوه . وجاء يجرب ذلك فى زملائه المحررين . واتفقنا مع أجهزة الأمن أن يفعل ما يشاء . . وفعل ما يشاء . . وعرض على القراء بعد ذلك كيف علموه النشل والسطو . . وشرح لنا أسرار عالم اللصوص والمعلمين الكبار الذين يخطفون الأطفال من جنوب مصر ليعملوا فى شمالها . . وكيف يشوهونهم ليثيروا الشفقة . . وشرح عملية قطع الرجل أو الرجلين . . أو الذراع أو الذراعين . . ولما لاحظوا أن نصيبه من النشل فى الأتوبيسات قليل حاولوا إقناعه بأن يقطعوا له ذراعه ليكون شحاذا ونشالا . وفى اليوم الذى تحدد لذلك أخبرنا البوليس وهاجم وكر النشالين!

وانتقلنا به إلى عالم آخر وهو عالم (عمال التراحيل) . . أى هؤلاء العمال الذين يشحنونهم فى الأتوبيسات ليعملوا فى حقول الأرز والقطن . . المئات يقعون ضحايا عدد من النصابين الذين يأخذون فلوسهم ويضربونهم . . ولايعطونهم حقوقهم لكى يظلوا يطلبونها . . لقد كشف لنا عالما مليئا بالعذاب والهوان بالإرهاب والابتزاز . . وكيف يقع الاعتداء على الفتيات حتى يسكتن تماما ويعملن رغم كل الظروف . . فإذا حملت الفتاة أجهضوها أو أغرقوها . .

وكانت حكايات مروعة فوجئ بها الناس فى ذلك الوقت!

وكان أحد المحررين الذين يقومون بهذه الأدوار ضعيف النظر . . وكان منظاره غليظا . وفى إحدى المرات وهو ينشل فى محطة القاهرة . . طارده أحد المواطنين . . فسقط منظاره . هنا فقط أحس المحرر أنه عاجز عن الرؤية تماما . ولم يعرف ما الذى يمكن أن يفعله . . لقد وقف وراح يتلمس الناس ، حتى أدركه المواطن المسروق وانهال عليه ضرباً حتى نزف دمه واستولى على كل ما معه من فلوس وهو يقول له : يا ابن الكلب . . تسرقنى . . وأنا حرامى قبل ما تتولد . . الحمد لله اللى ما حدش شافنى من صبيانى كانت بقت فضيحة . . خد . . خد . .

وأخذ أقلاما وشلاليت . .

وتصادف أن جاء زميل لنا من الإسكندرية . ووقف ينتظر أى تاكسى فرأى المحرر المسكين . . واقترب منه يداعبه : انت لسه بتنصب على الناس؟

فألقى بنفسه عليه وقال : أنت نزلت من السماء . . فى عرضك . . ضربونى وكسروا منظارى . . وأنا لا أرى مطلقا . خذنى معاك .

أما آخر المغامرات والموضوعات الخفية التى تحدثت عنها مصر فهو عندما ارتدى ملابس المشايخ وأدعياء الدروشة فى الريف . . جلباب أحمر وعشرات السبح والعقود والخواتم وعمامة بيضاء كبيرة . . وأطلقنا عليه اسم (الشيخ عطعوط) . . وقبل أن يظهر الشيخ عطعوط فى الريف . . ذهب عدد من المحررين والمحررات ينشرون فى الريف ويتحدثون عن بركاته وكراماته . . قبل أن

يظهـر . . والناس البسطاء يسألون وينتظرون ، ويذهب المحررون والمحررات يبشرونهم باليوم الموعود . . يوم يهل عليهم فضيلة مولانا الشيخ عطعوط رضى الله عنه وأرضاه . .

وقبل أن يصل الشيخ عطعوط أقمنا له خيمة كبيرة بالقرب من إحدى محطات السكك الحديدية . . ثم جاء الشيخ عطعوط راكبا حصانا وحوله عدد من سعاة ومحررى الجيل يمشون وراء الحصان يدعون له ويتلمسون منه البركات . . وبعضهم يبكى . . وكذلك كانت أمهات يحملن أطفالا . . وعربات كارو تحمل سيدات يبكين أطفالا مرضى . . وعربات عليها فاكهة وسكر وأرز وبوابير جاز . . ولما نزل الشيخ عطعوط وجد مئات من الناس فى انتظار قدومه . . وكلهم ينادى ويصرخ ويطلبون بركاتك يا شيخ عطعوط . . بركاتك يا حبيب الله . . بركاتك يا ابن الأكابر . . بركاتك . .

ونزل الشيخ عطعوط من غير منظار حتى لايرى شيئا من الذى أمامه وحوله . .

وكنا قد أعددنا له مكانا فخما تحت الخيمة وأقمنا الحواجز بينه وبين الناس . . وامتلأ المكان بالبخور . . ووقفت إحدى المحررات لكى تدخل المرضى واحدة واحدة . . وقبل ذلك كانت كل واحدة تشتكى لجاراتها بلواها . . ومشكلتها واسمها واسم حماتها وابنها المريض . وقبل أن تدخل صاحبة الوجيعة تذهب المحررة وتخبر الشيخ عطعوط بكل شىء . فإذا دخلت وجدت الشيخ عطعوط قد أحنى رأسه ولا يكاد يشعر بوجودها حتى يقول : إيه اللى جابك يا نفيسة . .

ـ تمام يامولانا . .

ـ اجرى على زليخة حماتك اجرى عليها . .

ـ تمام يا سيدنا . .

ـ ما تخافيش . . ارجعى . . واشترى لك شوية سكر نبات وخدى حبة كل يوم . .

ـ ربنا يعطيك وينجيك ويسكنك جناته يا بركة . .

وتزغرد وتقول : كل كلامه تمام وحكم . . عرف كل شىء . .

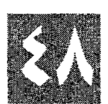
وتدخل واحدة ثانية . . والشيخ عطعوط يقول لها وهو منكس الرأس : سلامتك يا أم الخير . . سلامتك يا أم الغالى حسنين . . بإذن الله . . إن كان معك من فلوس ربنا،حطى فى القفة دى . . إنها مدخرات اليتامى والمساكين . . مفيش فلوس . . اخلعى غوايشك . . ارجعى يا أم الخير . . جوزك مش حيتجوز شلبية . . خلاص منعنا ذلك . .

وتقول أم الخير : كلامك مضبوط يا سيدنا . . كلامك حكم . . يا نهار أبيض يا أولاد . . كلامك تمام . . مكشوف عنك الحجاب يا سيدنا . .

وتزغرد . . وغيرها . . وغيرها . . يوما ويومين وعشرين يوما . . وجمع الشيخ عطعوط مالاً كثيرًا . وشعر بالإرهاق الشديد . . وأصيب بالتهاب رئوى . .

وقررنا فض هذا المولد وإدخال الشيخ عطعوط مستشفى قصر العينى . . ودخل . . وفى يوم من الأيام وجد هيصة ودوشة وزغاريد أمام باب العنبر الذى استلقى فيه . . وجاء البوليس وكبير الأطباء . . إيه الحكاية؟ لقد عرفته إحدى الممرضات وكان قد (عالجها) . . فإذا بها تزف هذه البشرى إلى جاراتها فى حى بولاق . . فجاء الرجال والنساء والأطفال وفى قلب قصر العينى يطلبون بركات الشيخ عطعوط . . فهو أحسن من أى دكتور وكلامه أعظم من أى دواء!

هؤلاء البخلاء العظماء



كان توفيق الحكيم يتظاهر بأنه رجل بخيل ويجب أن يحكى حكايات عن هذا البخل . فعندما كان له مكتب فى المجلس الأعلى لرعاية الآداب ، كان يطلب من كل واحد يأتى لزيارته أن يذهب إلى يوسف السباعى يشرب عنده القهوة ثم يجىء إليه . . يعنى أنه لن يقدم قهوة ولا شايا . . وكان يقف طول الوقت حتى يوهم الناس بأنه خارج . . أو حتى لايغرى أحدًا بالجلوس . .

والحقيقة أنه لم يكن بخيلا وإنما يحب أن يبدو كذلك . .

وأذكر أن ابنه الفنان إسماعيل الحكيم احتاج إلى خمسة آلاف جنيه فطلبها من والده . . فاشترط الوالد أن يأخذ عليه كمبيالات لكى يدفعها بانتظام ٥٠ جنيهًا كل شهر .

وكان توفيق الحكيم يأتى بمقعد ويجلس أمام غرفة نوم إسماعيل حتى إذا خرج طالبه بالفلوس .

وفى يوم سألت الحكيم : عامل إيه إسماعيل؟

فقال الحكيم سعيدًا : إنه يدفع بانتظام . هكذا الأصول . وأنا أريد أن أعلمه أن يسدد ديونه!

وسألت المرحوم إسماعيل : عامل إيه مع بابا؟

قال : ولا حاجة . . أنا أعطيه الفلوس وهو يعطينى الكمبيالة . . ويعطى الفلوس لماما . . وماما ترد لى الفلوس . . ولو نظر والدى فيها لوجدها هى هى . . من ثلاث سنوات!!

وأم كلثوم بخيلة مشهورة . وكنت لا أصدق ذلك . وفى سنة ١٩٧٠ كنت رئيسا لتحرير مجلة (آخر ساعة) ورأيت أن أكتب مقالا طويلا عن فساتين أم كلثوم ومجوهراتها . وأخذت معى المرحوم أحمد يوسف كبير مصورى أخبار اليوم ، وكان قد وقع فى الأسر فى حرب ١٩٦٧ ، ثم دفن الكاميرات التى كانت معه . . وعاد بعد ذلك إلى مصر . . ومنذ دفن الكاميرات لم يمسك كاميرا ولم يصور . فقررت أن أخرجه من هذا الموقف الحزين . ووافق على أن يصور فساتين أم كلثوم . . وكان هذا التحقيق الصحفى بداية انطلاقة جديدة له . . وذهبنا . وغيرت أم كلثوم فساتينها واحدًا وراء واحد . . ومن أول لحظة قلت لها :

ـ فنجان قهوة يا ست!

فتوقفت أم كلثوم ونادت خادمتها : هاتى له قهوة .

فقلت : سادة من فضلك!

وظل التصوير والحديث مع أم كلثوم ساعة . فقلت لها : هوه حد خد القهوة وراح بها مكتبى فى آخر ساعة؟

ـ الله . جرى لك إيه يا أنيس . . هوه مفيش على لسانك غير قهوة قهوة . . أنت انسرعت؟

وضحكت وقلت لها : والله أنا طلبتها مرة واحدة . . وخايف أطلب شاى لزميلى المصور!

وجلست تتحدث ساعة أخرى . .

ولم تأت القهوة . .

وقلت لأم كلثوم : طيب القهوة وراحت مكتبى . . أنا عاوز قهوة هنا . . ممكن؟

وشخطت أم كلثوم : جرى لك إيه . . أنت مش شربت القهوة؟!

ـ والله أبدًا!

ـ أنت ذاكرتك ضعيفة للدرجة دى يا أنيس؟!

ولم أشرب القهوة !

أما أستاذنا الفيلسوف دكتور عبد الرحمن بدوى فهو شديد البخل . عنده بدلة واحدة . الجاكتة كحلى . والبنطلون رصاصى والكرافتة من جلد الثعبان . . لايغسلها ولا يكويها ولايتغير لونها . . ومن الممكن أن يستخدمها حزاما أيضا . .

إذا التقى مع توفيق الحكيم فى مطعم جروبى فى الساعة السابعة صباحا . . فالذى يصل قبل الآخر يظل واقفا يدور حول الترابيزة ، لأنه لو كان جالسًا فسيكون الآخر ضيفا عليه . . ولذلك يجلسان معا وكل واحد يدفع حسابه!

ود . بدوى من أسرة دقهلاوية غنية . وقد أرسل له والده العمدة بلاص جبنة قديمة ومعه أحد الخفراء ليعمل خادما فى بيته فى شارع همدان بالجيزة . ووجد الفيلسوف مشكلة لا حل لها : فإذا ترك الجبنة ، فإن الخفير من الممكن أن يفتح البلاص ويمد يده ويأكل . . وإذا أقفل على الجبنة وترك الخفير أمام باب الشقة ، فقد يعود إلى البلد . . أو يجلس على القهوة . . ولا بد للخفير أن يغسل ويكنس ويطبخ . . فوجد الحل الفلسفى المثالى هو : ترك الخفير مع البلاص وأقفل (محبس) المياه . . حتى إذا أكل واحتاج إلى الماء ، فلن يجده . . وسوف يفتضح أمره عندما يعود الفيلسوف من الجامعة!

وكان من عادة د . بدوى إذا دخل مكانا ووجد ساعة على الحائط . . أوقف ساعة يده ـ توفيرا لجهود ساعته!

ومرة دعانى إلى الغداء فى مطعم فى سيدنا الحسين مطعم شعبى . . وطلب (فتة كوارع) وطلب طرشى بالشطة . . وطلب سلطة من نار . . وجاء الطعام بكميات كبيرة . وقلت :

ـ لا أستطيع أن أمد يدى يا دكتور؟

ـ ليه؟

ـ لا أكل اللحم . .

ـ والفتة؟

ـ فيها شوربة لحم .

ـ والسلطة ؟

ـ لها رائحة اللحم . .

ـ إذن الخبز هنا سخن طازة . . ولذيذ جدًا . .

ورأيت كل النظريات الفلسفية والمعانى الجميلة كلها تلاشت واحدة بعد واحدة . . لقد تناول الفيلسوف كل الطعام . . والتقيت برغيف بلدى ساخن . .

ونحن فى الطريق عائدين مشاة من سيدنا الحسين إلى الجيزة . سألنى :

ـ إيه رأيك فى الجو؟

ـ حار .

ـ لا . . جو المطعم؟ إن الطعام المصرى له مذاق خاص لا نظير له فى الدنيا . . المرة القادمة سوف ترى الطرب والكباب والكفتة . . ليس لها نظير!

وذهبنا مرة أخرى وسألنى عن الجو . . وتحدث طويلا عن أنواع اللحوم فى العالم . . وكيف أنه يأتى بالعلماء إلى مطاعم سيدنا الحسين .

فقلت : ولكنك لم تذق طعم العيش الساخن؟!

ـ أنا أفضله فى الفتة . . ولكن ماذا تطلب طعاما آخر مادمت لا تأكل اللحوم؟

ـ لقد طلبت جبنة . . ولم تحضر!!

ـ ليس عندهم جبنة .

ـ طلبت سلطة طازة . .

ـ ليست عندهم سلطة طازة ، إنهم يصنعونها قبل ذلك بأيام . . لأنهم يخلطون الطماطم بالخبز بالبصل بالخل بالزيت بالليمون . . فيكون لها مذاق خاص . .

ـ ولكن لها رائحة اللحم .

ـ لماذا لم تفعل كما كان يفعل الجاحظ؟

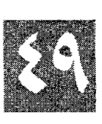
ـ ما الذى كان يفعله؟

ـ كان يعصر الليمون فى أنفه . . ليقضى على قدرة الأنف على الشم ويأكل أى طعام . .

ـ المرة القادمة . .

ـ على حسابك أنت بقى!

من الذى لايحب شلبية ؟!



فوجئت بناقد فنى يقول لى أمام الكاميرا : مصر كلها أحبت مسلسل «من الذى لايحب فاطمة؟» . فشكرته . وفجأة قال لى : ما اسم المسلسل الجديد .

قلت : القلب أبدًا يدق!

قال : لا . . ليس صحيحًا .

قلت : لا أفهم .

قال : أنت لاتريد أن تكشف عن اسم المسلسل الجديد . . إنه من الذى لايحب عيوشة؟

فضحكت وأنكرت ذلك تماماً .

ولكنه قال : وبالأمارة أنت حضرت بروفة لهذا المسلسل من يومين . . وكان الناس سعداء . . فقد كانت البروفة فى الشارع . . ولكى أكون دقيقا لقد كانت فى جراج . . أنا رأيتها . .

ولم أفلح فى إقناعه بأن الذى رآه كان مائدة عشاء أقامها

المهندس يحيى زيدان . . صحيح العشاء كان فى جراج . ولا أعرف السبب . . فالبيت ليس فيه تكييف . . ولا صاحب البيت عنده رغبة فى مراوح أو حتى فتح الشبابيك . . وكان لابد أن يقام العشاء فى الهواء الطلق . . والحقيقة أنه لم يكن طلقا فقد أحاطت بنا السيارات من كل جانب كأنها متاريس حتى لايهجم علينا المشاة والشحاذون والقطط وكلاب السكك . .

ولكن عرفت أن هناك سببا آخر وهو أنه ليس لديه خدم . . ولذلك شارك فى تقديم الطعام - وطعام إيه . بلا قرف! - البواب والسايس وأولادهما وضيوفهما . . ومثلا كانت سيدة العرض المسرحى واحدة اسمها شلبية . . وقد جاءت من الصعيد الجوانى لتعمل فى التمثيل . . فقدمنا لها د . سمير سرحان رئيس هيئة الكتاب على أنه المطرب راغب علامة . . ود . نهاد صليحة الناقدة الشهيرة على أنها سهير البابلى . . وقدمنا لها الكاتب الساخر على سالم على أنه حسين فهمى . . ولما جاء مصطفى حسين أقنعناها بأنه عادل إمام . . والمسكينة صدقت! والتقطت لها صورًا مع الجميع . . ولما جاء صاحب الوليمة الشوارعية المهندس يحيى زيدان تسابقنا فى تقديمه وإطلاق الأسماء الفنية عليه . . فواحد قال : فريد شوقى . . ولكن شلبية لم تصدق وقالت : جائز أخوه . .

قلنا : فعلا . . أخ غير شقيق . . ونسينا أننا قلنا لها إنه أخو فريد شوقى ثم أكدنا لها أنه صالح عبد الحى . . ثم نسينا وقلنا لها : ضحكنا عليكِ ده صالح سليم . .

وتعالى يا شلبية . . روحى يا شلبية . . الله يخرب بيتك يا شلبية فين البصارة . . دى مش بصارة دى ملوخية . . دى مش ملوخية دى إيه يا يحيى بك . .

ولكن يحيى بك لايعرف أسماء هذه الأطعمة ـ إن كانت أطعمة . . وإنما هى أطباق طائرة تجىء من الجراج . . أو هى حفلة تعاونية شارك فيها كل بوابى وسايسى المناطق المجاورة . . برافو عليك يا شلبية أهو كده الأكل ولا بلاش . . وده إيه يا شلبية . قالت : اسم الله على مقام سيدى كوكتين ـ قصدها كوكتيل . . ومنين ده يا شلبية؟

قالت شلبية : والله يا سعادة البيه مش عارفة . . يمكن بصارة بالعدس أو عدس بالفول . . بالهنا والشفا . . سعادتك تأكلها النهارده وبكرة حتعرف إن شاء الله اسمها . .

■ أمال دى منين يا شلبية؟

● دى اسم الله على مقام سيادتك من مطعم سى مصطفى . .

تقصد سى مصطفى حسين . .

ولما حضر مصطفى حسين سألناه قال : يحيى زيدان فضحنى . . كل مرة آجى يقول لى : مفيش شوية عضم للكلب . . مفيش فتة . . مفيش ملوخية . . أى حاجة يا أخى! فأنا اشتريت دماغى . . وملأت له صندوقا من مخلفات الزبائن . .

وأشرت إلى الضيوف السالف ذكرهم وقلت له : إنهم سعداء جدًا .

قال لى مصطفى : ليه إن شاء الله؟

قلت له : اسألهم . .

■ اسأل شلبية . .

● مين شلبية؟

■ التى أمـامك . . وهى الفتـاة الأولى والتى جـاءت من أبو طشت دوغرى للشاشة الصغيرة . .

● مالها ؟

■ قدمت لنا أكل الكلاب .

● يا نهار أسود!

■ أسـود ليـه؟ . . حـصل إيه . . أنت مـالك . . الناس سـعـداء فنانين وبوابين سعداء بهذا الطعام . .

● يحيى هو اللى قدم لهم الأكل ده ؟

■ لا أنت عارف يحيى لا يظهر فى الصورة . . إنه يحرك هذه العرائس من وراء الستار . . ويظهر كما ترى . . والدموع فى عينيه . . كأنه مظلوم مجنى عليه . . وكأن الضيوف قد ربطوه بالسلاسل إذا لم يقدم لهم طعاما . . فقدم الطعام وهو كما ترى حزينًا على ذلك . .

● حزين على إيه ؟

■ أنت عارف .

● عارف إيه ؟

■ عـارف أن الدمـوع فى عـينيـه لاتجف ـ ولاتنزل . . إنهـا معلقة . . إنها حبيسة . . ولا تغادر عينيه إلا عندما يضحك . . فهو يهتز . . وإذا اهتز سقطت الدموع من عينيه . . وبقدرة قادر تظهر دموع أخرى . . إن دموع التماسيح لاتجف!

● أيوه . . فعلا هو تمساح . .

وتركت الضيوف سعداء بما يأكلون ويشربون والجمهور يطل من بين السيارات والنوافذ سعداء بهذا العرض المسرحى . وأسعدنى

أننى ألفت وأخرجت هذا المشهد المسرحى . فأنا الذى اتفقت مع سفرجى فى مطعم مصطفى حسين أن يبعث بمخلفات الطعام . . واتفقت مع أحد السائقين ألا يتوقف عن إمداد الضيوف بالفول والعدس والبصارة والبصل الأخضر والفجل الذى ينقلونه من الجرادل مباشرة إلى أطباق الضيوف . . وأفهمت الآنسة شلبية أنهم جاءوا خصيصا لامتحانها على الطبيعة . . وعرفت فى اليوم التالى أن شلبية غنت ورقصت ويحيى زيدان على يقين من أن شلبية قد شربت كأسا أو عشرين كأسا وإلا لماذا فعلت كل هذا الذى فعلت .

مظلومة يا شلبية!

وفى البرنامج التليفزيونى قلت للناقد الفنى : أنت ناقد عظيم وصحفى من الدرجة الأولى . . كيف عرفت المسلسل الجديد : من الذى لايحب شلبية؟ مع أنك لا جلست معنا ولا رأيتنا وإنما جاءت إليك الأخبار وأنت فى بيتك!

وفى اليوم التالى : كشفت للضيوف ماذا حدث بالضبط فقاطعونى جميعا : يا أخى حرام عليك . . لقد كان الأكل لذيذا . . وخصوصا البصارة .

ـ كانت فيه بصارة؟ ده فول !

ـ كان فيه فول ؟ دى ملوخية !

ـ كانت فيه ملوخية ؟ دى طعمية !

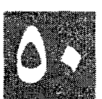
ـ كان فيه طعمية ؟ دى مفتقة . .

ـ هيه دى كانت عزومة ؟

ـ لا . . كانت بهدلة !

ـ فعلا . . آخر بهدلة !

واحدة جاءت تتسلى



اجتمعت لجنة الوجوه الجديدة للتليفزيون ، جلست فى الصف الأمامى . . ونادوا على الوجوه الجديدة . .

الوجه الأول : فتاة من الإسكندرية ، طويلة سمراء . . جلست أمام الميكروفون . . قلت لها : أريد أن أرى جانب الوجه . . ارفعى شعرك إلى أعلى . . اقتربى من الميكروفون . .

لاحظت أن العرق يتصبب على وجهها ، قلت لها : على مهلك . . سوف ننتظر حتى تهدئى تماما . .

نظرت إلى أعضاء اللجنة إن كان أحد يريد أن يوجه إليها سؤالا . . لا أحد يريد . . بل لا يبدو على وجه أى واحد وأية واحدة رغبة فى أن يفتح فمه أو يفتح عينيه وينظر إليها . . ولم أفهم . .

وسألتها : من فضلك كم عدد الدول العربية؟

سكتت وفكرت وظهر العرق على وجهها وقالت : أربعون دولة . .

قلت لها : اذكريها من فضلك؟

أجابت : مصر وسوريا ولبنان والسعودية وأثيوبيا . . وماليزيا و . . المغرب . .

وسكتت تماما ، فقلت لها : ومالطه!

قالت : ومالطه!

قلت : وقبرص . .

قالت : وقبرص !

قلت : وجنوب أفريقيا ؟

قالت : وجنوب أفريقيا .

قلت لها : أمامك صحيفة اقرئى أى شىء وشكّلى . .

وقرأت . لا تعرف خبر إن من اسم كان . . ولاتنطق الكلمات نطقا صحيحا . .

والتفت إلى أعضاء اللجنة لكى يوجه لها أى أحد أى سؤال . . ولكن جميع أعضاء اللجنة لايريدون أن يساهموا . . شىء غريب .

وأشرت إلى الوجه الجديد أن يتفضل بالخروج . طبعا : صفر على عشرة . . والحلاق سبعة على عشرة . .

وسألت جارى : إيه الحكاية ؟

قال : إنها بنت فلان الفلانى الذى يعمل فى التليفزيون .

■ يعنى إيه ؟

● يعنى أنت تقرر أى شىء ونحن موافقون . . لأن والدها اتصل

بنا جميعا فى البيت وفى المكتب . . وبسببها تحدث معنا وإلينا ألف واحد من التليفزيون ومن الإذاعة . . ولذلك تركنا لك أن تقرر ما تشاء ونحن موافقون!

وأشرت إلى أن يجىء وجه جديد آخر . وكانت الوجه الجديد فتاة محجبة ، قلت لها : أنت عارفة أن التليفزيون لن يختار واحدة محجبة .

قالت : لابد أن أكون محجبة .

فأشرت إليها أن تخرج ، وخرجت!

وجاءت واحدة ثالثة ، جلست أمام الميكروفون ، وأمسكت الصحيفة وقرأت ، لا بأس . وقعت فى أخطاء نحوية . .

قلت لها : من فضلك قولى لى ما هى مشكلة السعودية مع أوكرانيا ؟!

قالت : مشكلة الخلاف على الحدود . .

قلت لها : اذكرى أشهر السوريين فى الموسيقى والغناء .

قالت : الأخوين رحبانى .

قلت : فيروز ؟

قالت : فيروز لبنانية . .

■ هل تعرفين اسم الوزير المغربى الذى حصل على جائزة نوبل هذا العام ؟

فكرت طويلا ثم قالت : لا أحد فى المغرب قد فاز بجائزة نوبل . .

■ كم عدد سكان الهند ؟

● ٢٠٠ مليون .

■ كم عدد سكان اليابان ؟

● عشرة ملايين !

■ وعدد سكان أمريكا !

= أمريكا الشمالية عددها مائة مليون وأمريكا الجنوبية خمسون مليونا . .

■ وعدد سكان مصر ؟

● أربعون مليونا . . لا . . سبعون مليونا . .

■ ما هى الدولة العربية التى لاتعرف اللغة العربية؟ . .

● تونس والصومال وجنوب السودان .

ـ تفضلى قومى . .

وتلفت إلىَّ أعضاء اللجنة . . وقالوا : طبعا ساقطة . .

وجاء شاب نحيف أسمر وقد وضع على أنفه منظارا غليظا . . وجلس . . وقرأ . .

قلت له : طبعا إذا نجحت سوف تجعل شعر رأسك أطول قليلا . . لأنك ظلبطة .

فضحك وقال : بس أنجح .

قلت له : اقرأ . .

قرأ ولم يخطئ فى النحو . .

قلت له : أنت صعيدى .

● نعم .

■ من أين ؟

● من أسوان . .

■ من أهم شخصيات أسوان ؟

● العقاد . .

■ قرأت كتبا للعقاد .

● كلها . .

■ قرأت كتابه «فى بيتى» ؟

● نعم . .

■ أيهما تفضل : العقاد أم طه حسين ؟

● الاثنين . .

■ أيهما تفضل ؟

● العقاد . .

■ لماذا ؟

وذكر عددا من الأسباب المعقولة .

■ وأنت تريد أن تعمل ماذا فى التليفزيون ؟

● أقدم برامج أدبية . .

■ افرض أنك تقدم برنامجا أدبيا فماذا تقول ؟

فاعتدل فى جلسته وقال : سيداتى سادتى . . حلقة اليوم سوف تكون عن أهم كتاب صدر فى الخمسين عاما الماضية ، وهو كتاب «فى صالون العقاد ـ كانت لنا أيام» للأستاذ الكبير أنيس منصور . . ولست أنا الذى أقول أنه أحسن كتاب صدر فى الخمسين عاما الأخيرة ، وإنما هو الكاتب الكبير أحمد بهاء الدين . .

■ طيب اتفضل . .

● نجحت ولا إيه ؟

■ تفضل . .

● بجول لك إيه . .

نجحت ولا أروح أرمى نفسى فى النيل جدام التليفزيون . . أنا جلت لأمى اليوم فى التليفون . . أجول لها إيه . .

وقد تغيرت معالم وجهه ، كأنه يعنى ما يقول ، فأشفق عليه أعضاء اللجنة . . وضحكوا وهزوا رؤوسهم بما معناه أنه نجح ، وامتنع عن الخروج قبل أن يعرف ، وزعق فى الميكروفون وقد أخرج سكينا من جيبه : جولوا من فضلكم وإلا حاجتل نفسى هنا . .

ونظرنا بعضنا إلى بعض وحتى لايرتكب هذا الشاب الصعيدى جريمة مؤكدة ، فقلت له : مبروك . .

فقال : عاوز أجى أبوس اللجنة كلها . .

فأشرت إليه : أن يخرج ويترك مكانا لغيره . .

ودخلت الاستوديو فتاة شكلها ظريف لطيف . . ويبدو أنها كانت تدخن . . فقد لاحظت أن دخانا . . بقايا دخان قد خرج من أنفها . .

فقلت : أنت تدخنين ؟

● نعم .

■ وسوف تدخنين فى التليفزيون ؟

● نعم . هل هناك مانع؟

■ طبعا لا . . ولكن قد يؤثر على صوتك . .

● إذن بدلا من أن أعمل مذيعة أعمل فى الإخراج أو فى الإعداد .

■ يهمك أن تنجحى ؟

● طبعا .

■ فإذا لم تنجحى ؟

● ولا حاجة . أنا لم أنجح فى أشياء كثيرة .

■ يعنى إيه؟

● يعنى حاولت أن أكون مضيفة طيران . لم أنجح . حاولت أن أعمل فى أحد الفنادق لم أنجح . حاولت أن أطفش من هذا البلد إلى أستراليا لم أنجح . كنت مخطوبة والخطوبة اتفركشت .

■ لماذا ؟

● خطيبى كان قفل . . لا يدخن ولا يشرب ، لا يرقص ولا يعرف يعوم زى حضرتك كده . . مش برضه حضرتك حاولت تتعلم العوم . . ولم تنجح . .

■ يعنى إيه ؟

● يعنى إذا نجحت أو لم أنجح فلا يهم . .

■ ما هى عاصمة بلجيكا ؟

● بروكسل .

■ وعاصمة أسبانيا ؟

● مدريد .

■ وعاصمة الفلبين ؟

● الناس يقولون إنها مانيلا . . والحقيقة أنها كابزون ستى!

■ غـريبـة أن ٩٠٪ من الناس لايعـرفـون أن مـانيـلا ليـست العاصمة . .

■ عاصمة الملايو ؟

● كوالا لامبور . .

■ غريبة . .

● غريبة أننى عرفت هذه المعلومات . . الحقيقة أننى سافرت إلى كل هذه البلاد .

■ لماذا ؟

● والدى سفير .

■ وتعرفين لغات أخرى ؟

● الإنجليزية والفرنسية والإيطالية والألمانية . .

وسألتها بكل هذه اللغات . وقلت لها : أقول لك حاجة غريبة .

● إذا قلت لى أننى ساقطة فليس غريبا .

■ لا . . ناجحة .

● فعلا غريبة . . شكرا .

وجاءت آخر وجه واحدة من المتقدمات . . قصيرة القامة مليانة ، شعرها قصير ومرفوع لفوق . . ووجهها مستدير وخدودها بارزة . ونظرنا بعضنا إلى بعض . . ولم نختلف على أنها لاتصلح وجلست ، وأشرت إليها أن تقرأ ، وقرأت . لا أخطاء . طلبت إليها أن ترفع وجهها لفوق . . وأن نرى جانب الوجه . . وأن ترفع شعرها حتى نرى بقية الوجه . .

سئلت : من أين ؟

● من مصر .

ضحكت . أعيد السؤال : من أى مكان فى مصر ؟

● أى مكان . . وما دخل هذا بالامتحان ، من أى بلد . .

■ تعرفين اللغة الإنجليزية ؟

● مش قوى .

■ والفرنسية . .

● طشاش . .

■ ولغات أخرى . .

● الأمهرية . .

■ لغة إيه دى . .

● لغة الحبشة . .

■ وإيه لغات أخرى ؟

● تيجرى .

■ لغة أى بلد .

● لغة أريتريا . .

■ قراءة وكتابة . .

● وأقول شعرا أيضا . .

■ عندك فكرة أنه ممكن تنجحى؟

● لا . .

■ ليه ؟

● أولا الشكل مش ولابد . . ممكن أعمل فى الإعداد أو فى الإخراج . . ومش مهم كمان .

■ لماذا ؟

● مش مهم أى حاجة .

■ يعنى إيه ؟

● أنا كنت مسافرة إلى أمريكا أمس . . وتأخرت الطائرة . . إلى الغد . . فإن نجحت أو لم أنجح فأنا مهاجرة!

■ أمال جيتى هنا ليه ؟

● حاعمل إيه . . قلت اتسلى! وأدينى اتسليت . .

قريباً جداً : لا (ماما) ولا (بابا) !

٥١ ضحك الشباب والأطفال ، عندما رويت لهم هذه الحكاية : فقد كان من عادتى أن أقبل يدى أمى . . وتصادف أن زرتها فوجدت عندها عدداً من الضيوف . فانحنيت أقبل يدى أمى . فخجلت من الضيوف ، وسحبت يدها حتى لا أنحنى وأقبلها فتضايقت وقلت لأمى : إذا لم تعطنى يدك فسوف أقبل . جزمتك!

فمدت يدها وقبلتها شاكرا!

هذا المنظر لم يعجب الشبان والأطفال . وتساءلوا : ولماذا تقبل يدى أمك؟!

ولم أجد ما أقوله فقد تغير الزمن . وتغيرت العلاقات بين الأطفال والأمهات والآباء . . وأصبح الابن ينادى أباه وأمه بالاسم الأول ـ ولايجد الجميع فى ذلك حرجا . . وأكثر من ذلك أن الأم لم يعد يهمها كثيرا ما يفعله الابن . ولا الأب . والأغنياء من

الناس يتركون مهمة تربية الأطفال للخادمات . . فالأم لاتبالى . والأب مشغول . والنتيجة : أطفال لهم أخلاق وعادات لايعرف الأبوان من أين جاءت . . أو يخجلهما أن يُعرف من أين جاءت . إنها جاءت من الخدم الذين يحقدون على الأب والأم ، والذين يرضى غرورهم أنهم هم الذين يتولون تربية الأطفال ـ أى تربية (الإنتاج المشترك) للأب والأم .

هؤلاء اليتامى ـ أى الذين لايجدون الأب والأم . كأنهما ماتا . إذاً ليس اليتيم من مات أبوه ، ولكن كأنه! وليس اليتيم من ماتت أمه . وإنما كأنه!

وقد سئل الفيلسوف الإنجليزى «جونسون أنكر» عن أهم حوادث العام الماضى ، فقال : إن طفلا قتل طفلا . . وإن القتل كان من مسدس اشتراه الطفل . أى أنه سرق فلوسا . وذهب إلى أحد المحلات ، فوافق على أن يبيع للطفل هذا المسدس . وإن الطفل مدرب على القتل ، دون أن يدرى به أحد . وأنه استدرج طفلا مثله . . وأطلق عليه الرصاص فقتله . ووقف إلى جوار القتيل يتفرج عليه . وفى المحكمة سأله القاضى : هل تعرف أنه مات . .

ـ أعرف . .

ـ كيف تعرف أنه مات .

ـ لأنه لم يستطع أن يقف ليعود معى إلى البيت .

ـ والدم اللى نزل منه . .

ـ كان بسبب الرصاص اللى خرج من المسدس . .

ـ ولماذا قتلته ؟!

ـ لأننى أخاف أن أقتل الكلب ، لأن أبى وأمى يحبانه أكثر منى!

إن الطفل يغار من الكلب ، وأبواه لا يلاحظان ذلك وهو يخاف من أبويه . ولا يخاف من الله لأنه لايعرف من هو الله!

إننا أمام حادثة فظيعة ، تزلزل أساس العائلة والتربية الاجتماعية والأخلاقية والدينية . . وتشير إلى المجرم الحقيقى : إنه الأب والأم أحدهما أو كلاهما!

والأم التى تريد أن تكون أما ، ليس عندها وقت لذلك . . ولا عندها استعداد لأن تقوم بدور الأم ، والأب ليس عنده وقت . ويرى أن تربية الطفل من واجب الزوجة وليس من مسئولياته . .

والرجل : أب بالصدفة .

والأم : أم بالغريزة . .

فهى أم تحت التمرين . والأب يلعب بالحصان وبالمدفع . .

ولذلك فالأم عندما يولد لها طفل . فهى أم من أول لحظة . بل هى أم وهى حامل . . ودور الأم طويل . لأن الإنسان هو صاحب أطول طفولة بين الكائنات الحية . أما الأب فدوره تافه فى إنجاب طفل . . والدور كله للمرأة : حامل ومرضعة ومربية . . ولذلك تحاول الأم دائما أن تؤكد لزوجها أن الطفل يشبهه فى نظراته وحركاته وأصابعه وعينيه . . كأن الأم تريد أن (تعين) زوجها أبا . .

فهى أم بالغريزة . وهو أب بالتعيين . .

حتى هذه المعانى لم يعد لها وجود الآن . فالأم لاتريد أن تكون أما ، والأب لم يكن أبا . وضاع الطفل بينهما . وسوف يضيع المجتمع القائم على الأسرة والعلاقات الإنسانية .

والضلال ، والضياع ، والفوضى ، والتذمر الذى يتعرض له الأطفال ويؤكده الشباب . . أسبابه فى البيت . . فإن لم نعد ترتيب البيت وتسكين العواطف فى القلب ، والانضباط فى العقل والأطر فى المجتمع ، وسيادة قانون الدين وقانون المجتمع ، فسوف تثبت المسدسات فى أصابع الأطفال ، وسوف يملأون جيوبهم بالقنابل ودماءهم بالإيدز . . وسوف تكون هذه هى النهاية ـ أو مقدمات النهاية للإنسانية العاقلة الفاضلة!

وتختفى كلمة : بابا . . وكلمة : ماما . .

وسوف يستعيض الأطفال بعبارات مثل هذه : بأقول لك يا ست أنت ـ يقصد أمه . .

وبأقول لك يا أخينا ـ يقصد أباه!

يوسف.. وحكايته إلى الأبد !!

٥٢ من أجمل قصص القرآن الكريم والتوراة قصة يوسف عليه السلام وأخوته . فيوسف هو الابن رقم ١١ لسيدنا يعقوب . وهو الابن الأول لزوجته «راحيل» . أما ابنها الثانى الذى ماتت أثناء ولادته فهو «بنيامين» . ولأن يعقوب عليه السلام ، قد فضل يوسف عن بقية أخوته ، حسدوه وحقدوا عليه . فكروا فى قتله . وألقوا به فى البئر . وحمله بعض التجار إلى مصر وباعوه هناك . واشتراه الحاكم . وظهرت براعته فى تفسير الأحلام . وحاولت «زليخة» زوجة الحاكم الفرعونى أن تغريه . فرفض . فدبرت له تهمة . وسجنه الحاكم . إلى آخر القصة القديمة التى نعرفها . وعاش يوسف فى مصر ومات فى القرن السابع عشر قبل الميلاد عن ١٢٠ عاما أو ١٤٠ عاما . ونقلوا جثمانه ودفنوه فى مدينة الخليل . .

وأهم ما فى هذه القصة المأساة التى ترتبت على أن أباً يفضل ابنا عن بقية الأبناء . . أو بنتا عن بقية البنات . . وهى قصة تتكرر

كلما كان هناك أبناء وبنات . وكان هناك أب يفضل واحدا عن الجميع . فيحقد الباقون على ذلك؟!

ولا تخلو أسرة من شىء من مثل ذلك . وبعض الآباء يلوم نفسه ، ولكنه لا يستطيع أن يمنع نفسه من حب واحد دون الآخرين . .

وقد نشرت إحدى الصحف الفرنسية أن الرئيس «شيراك» ، له ابنة فى مستشفى الأمراض العقلية . . جميلة وكانت طبيبة ففشلت وتزوجت ففشلت أيضا . لماذا؟ لقد كان والدها يحب أختها الصغرى . فانزوت وانطوت ومرضت . والبنت الصغرى هى التى ساعدت الرئيس الفرنسى على نجاحه فى الانتخابات . .

والسيدة «مرجريت» تفضل ابنها المقامر السفيه على ابنتها . . فهو باسم الحب يستنزف أموالها ، وابنتها تركت لها أوربا وتعمل صحافية فى أمريكا . . وكثيرا ما زارتها أمها ، لتجدها قد غادرت البيت والبلد قبل ذلك بساعات!

والرئيس الفرنسى «ميتران» كانت له ابنة غير شرعية . تعيش بعيداً عن العيون وعن الأقلام . وقبل أن يموت جاهر بحبه لها . . وفضلها على كل أولاده . وأورثها جانبا من ثروته . وجعلها مسئولة عن تراثه الأدبى . وكان أولاده يضيقون بذلك ولكن احتراماً لأبيهم قد كظموا غيظهم . . حتى جاهر الرئيس الفرنسى بهذه البنوة ، ولم يخف أنه يفضلها على العالمين!

وابنة الرئيس الروسى «يلتسين» ، وسكرتيرته الحالية ، ومديرة معركته الانتخابية ، هى أهم مراكز القوى فى الكرملين . . قد

فضلها على أقرب الناس إليه : أمه وزوجته . وتضايق الجميع . ولكن أحكام القلب غير قابلة للاستئناف أو الطعن فيها . .

وكذلك ابنة الرئيس «مانديلا» ، التى جعلها تقوم بكل وظائف زوجته التى طلقها . . وثارت الأم . ولكن الأب قد استولت عليه ابنته وسكرتيرته وموضع سره وحبيبته .

وكذلك ابنة الرئيس «كارلوس منعم» ، فبعد أن طلق زوجته ، قامت الابنة بدور الأم وأحسن . . فهى السكرتيرة والسفيرة ، وهى مصدر الضيق والغيظ لكل الأولاد والأم والأقارب . .

و«أنديرا غاندى» ابنة الزعيم «نهرو» . .

و«بنظير بوتو» بنت الرئيس «بوتو» ، لقد فضلها الأب على الابن الذى تآمر عليها وأعلن أنه سوف يقتلها . . ولكنهم قتلوه واتهموا أخته بذلك . .

إنها نفس قصة يوسف عليه السلام . الابن الذى أحبه الأب ورعاه . فحقد عليه أخوته . . وكان «يوسف» جميلا . . ذكيا . . موهوبا فى تفسير الأحلام . ووافق الفرعون وجعله حارسا على خزائن مصر . . ولما أراد يوسف أن يأتى بأبيه إلى مصر أخفى «بنيامين» واشترط ألا يتركه إلا إذا جاء أبوه عليه السلام وجاء أبوه عليه السلام وأقام فى مصر . .

ولا نهاية لقصة أساسها أن قلب أب مال إلى واحد من الأبناء أو البنات . ورغم أن المأساة معروفة لنا ملايين المرات ، فإن القلب له منطق آخر لا علاقة له بالعقل . . أو بالتاريخ! . .

نعم شباب.. ولكن أولاد مَنْ ؟!

٥٣

كانت الساعة الثالثة صباحاً ، عندما قررنا أن نغادر أحد مطاعم القاهرة . المطعم قد حطم أعصابنا تماما : الموسيقى صاخبة ضارية هادمة مهلكة للأعصاب والعضلات . . ودخان السجائر قد أحرق العينين واستقر فى الرئتين تماما ، كأننى دخنت ألف سيجارة فى أربع ساعات . ولو كان الأمر بيدى ، لخرجت بعد نصف ساعة . . ولكن الأمر لم يكن فى يدى . . وإنما فى أيدى ضيوف من الشبان ، سعداء بالموسيقى و«التنطيط» والتدخين . .

ولم أجد معنى لأن أسأل أو أتساءل عن المتعة التى يجدونها فى هذه الدوشة الموسيقية الغنائية . التى لا أحد يعرف ما يقوله المطرب ولا يعرف ما يقوله جاره . . فأنت لاتعرف ماذا تقول وماذا يقال؟ . .

ويكون الرد عليك : إن الموسيقى لاتكون ممتعة ولذيذة ، إلا إذا كانت انفجارا ودويا . . أما لماذا يجىء الشباب إلى هذا المطعم .

فلكى يأكلوا ويشربوا و«يتنططوا» ويتهامسوا ويتلامسوا . . أما الكلام والمناقشات فليس هذا مكانها . . ومعنى ذلك أنهم وجدوا

المكان المناسب ، أما أنا فليس هذا مكانى . وكان من الطبيعى أن أسكت فبلعت لسانى !

وخارج المطعم كان الهواء أنقى وأبرد وأهدأ . ولولا برودة الجو وخوفى من الأنفلونزا الصينية ، لوقفت طويلا أحاول أن أغسل صدرى بالهواء المنعش . . ولكن مع الأسف هذا الهواء النقى لايطرد الهباب والتراب والنيكوتين ، الذى استقر فى الخلايا . . وأننى محتاج إلى أن أدخل غرفة إنعاش لأشم ألف أنبوبة أوكسجين!

وليس هذا هو المهم . . ولكن الذى همنى وأهمنى شىء آخر . . فقد وجدت عشرات الشباب والشابات ـ ونحن فى الساعة الثالثة والنصف صباحا ـ يهتفون من سياراتهم وينطلقون إلى هذا المطعم . . وبين شفتى كل واحد وكل واحدة سجارة . . وكثير منهم معه التليفون المحمول (الموبايل) . . هؤلاء الأطفال ما الذى يفعلونه بهذه التليفونات . ولماذا اشتراها الأب؟ يقال : لأن الأم والأب يريدان أن يعرفا أين ابنهما العزيز . فقط!

وهل يستطيع أن يسمع أمه وسط الضوضاء . . وهل تستطيع أن تسمعه . يبدو أن المهم أن تعرف أين هو فقط . . وأنه لايزال بخير!

أولاد من هؤلاء ؟!

أعود إلى منظر هؤلاء الشباب . . قميص وبنطلون جينز . . وأعمارهم دون العشرين أو بعدها بقليل . فأين كانوا قبل الآن ، ماذا فعلوا؟

والآن ماذا يفعلون . وإلى متى؟ ثم بعد ذلك متى يعودون إلى بيوتهم . وماذا يقول الأب ، إن قال؟ وماذا تقول الأم إن فتحت فمها؟ وما الذى يفعلونه فى هذه الدنيا؟ موظفون؟ إنهم صغار . .

طلبة إذاً . طلبة يدرسون ماذا . . أو لم يدرسوا ماذا فصارت هذه حالتهم . .

وقد رأيت ذلك فى أماكن كثيرة . إنهم إذًا بالألوف . أولاد من؟ مصريون؟ طبعا مصريون . ماذا يقرأون؟ ليس عندهم وقت . . فهل نحن نكتب لهم . . وإذا كتبنا فهل يقرأون؟ وإذا كان هؤلاء الشبان بمئات الألوف فى القاهرة ، وكذلك فى الإسكندرية وفى القرى السياحية . فهل هذا مستقبل مصر ، ولبنان ، وسوريا ، والأردن ، والخليج ، والمغرب ، وتونس؟! هل هذا هو وجه وعقل وقلب وأيدى وسيقان الأمة العربية؟!

ثم هذه الوجوه الشاحبة المرهقة من أى شىء؟ قل أنت! من السهر ، والإرهاق ، والتدخين ، والخمر ، والحشيش ، والبانجو ، والهيروين ، والكوكايين . . من المسئول عن هؤلاء . وماذا نستطيع أن نفعل لهم أو من أجلهم؟

أو هل هذه هى الموضة فى الدنيا؟! أو هل هذه هى نتيجة الإهمال التام لهم . . واللامبالاة العائلية؟! هل هم مثل (طرح البحر)؟

أى مثل الجثث التى يطرحها البحر على الشاطئ . . ليسوا كذلك . فليسوا موتى . . وإنهم أحياء يرزقون بلا سبب وجيه . . وينفقون بلا منطق ـ يأخذون الفلوس من آبائهم بالإكراه أو بالذوق . . أو يسرقونها!

ثم إنهم لايتكلمون اللغة العربية ، وإذا تكلموها ففيها كلمات أجنبية . . ثم إنهم مصريون .

يعنى إيه؟

يعنى مصيبة يا سيدى!

سوف يتساءلون : هل كانت حياة على كوكب الأرض؟



من عشرين عاما أصدرت كتابين هما : الذين هبطوا من السماء . . والذين عادوا إلى السماء!

وقالوا أيامها : تخريف!

وموضوع الكتابين هو : إنه يحتمل أن تكون هناك كائنات عاقلة مثلنا فى كواكب أخرى قد هبطت إلى الأرض . وتركت آثارها فى أماكن كثيرة من كوكب الأرض . وبسبب لانعرفه الآن ، قد عادت . . إلى أين؟ نحن لانعرف . ولكن نحن نعرف أين هبطت . وتركت آثارها . . وأن ذلك حدث من عشرات الألوف من السنين . . أى قبل الحضارة الإنسانية!

كيف ؟ ولماذا ؟

هذا هو السؤال ، ومعناه : كيف جاءوا إلينا . . وبأية وسيلة . . وما قيمة هذه الرحلة الطويلة جدا جدا إلى الأرض؟

ماذا أخذوا . ماذا تركوا . ماذا رأوا؟! ولابد أن تكون هذه الرحلة طويلة . . لأن أقرب كوكب إلى المجموعة الشمسية (يضم تسعة كواكب يدور حولها خمسون قمرا وكلها تدور حول نفسها وحول الشمس) يبعد ألوف السنين الضوئية (السنة الضوئية عبارة عن واحد وأمامه ١٧ صفرا من الكيلومترات!) فما هى وسائل الانتقال الجبارة التى استخدموها . . ولماذا هذا المشوار الطويل جدا؟ وكيف عاشوا؟ هل هذه الكائنات العاقلة قد وجدت وسيلة أخرى للانتقال : كأن توضع أجسادهم فى جهاز لتتحول فيه إلى ضوء وطاقة ، ثم يعاد تركيبها بعد عشرات ألوف السنين . نحن لانعرف . ولكن العقل لايستبعد أن تكون هناك حياة . . أى شكل من أشكال الحياة فى كواكب أخرى!

وقد حدث أيام الرئيس «أيزنهاور» أن جاءت كائنات من الفضاء الخارجى والتقت به . ونشرت الصحف الأمريكية ذلك . وطالبوا الرئيس «أيزنهاور» بأن يكشف هذه الحقيقة . ومات ولم يقل . . ولكن الرئيس «كارتر» قد وعدهم أثناء حملته الانتخابية بأن يكشف هذه الحقيقة . وذهب «كارتر» ولم يقل . فناشدت المجلات العلمية المحترمة قراءها أن يكتبوا للرئيس الأمريكى «كلينتون» بأن يكشف عن هذا السر ، الذى تتستر عليه أجهزة الأمن ووكالة الفضاء الأمريكية من أربعين عاما بالكمال والتمام . وكتب مئات الألوف من القراء إلى الرئيس الأمريكى . وأعلن أنه تلقى الرسائل . ولم يقل شيئا!

ولكن وكالة الفضاء الأمريكية تعتقد اعتقاداً قاطعًا ، بأن هناك

حياة عاقلة فى مكان ما من الكون . فليس معقولا أن يكون كوكب الأرض هو المكان الوحيد فى الكون ، الذى يصلح لحياة عاقلة . ففى الكون ملايين ملايين . . (يجب أن نكرر هذه الأرقام حتى تملأ كل سطور هذا الكتاب وهو عدد النجوم التى تدور حولها أضعاف هذا العدد من الكواكب التى تصلح للحياة) ولذلك أرسلوا سفينة فضاء من عشرين عاما . وعلى السفينة صور وتسجيلات وأفلام ولوحات فنية لتاريخ الحضارة الإنسانية . . مع تحديد لمكان كوكب الأرض من المجرة ، التى نقع فى جزئها الجنوبى ، وهى المسماة (بالطريق اللبنى) الذى يضم مائة ألف مليون نجم كالشمس . . وفى الكون كله مليون مليون مثل هذه المجرة . . وقد تكون هناك أكوان أخرى غير هذا الكون الذى نعرفه . . وعددها ألف مليون مليون كون!!

وهذه السفينة قد بعث بها الأمريكان لعلها ـ بعد ألف . . بعد مليون سنة ـ أن تقع فى أيدى كائنات عاقلة فيعرفون أننا هنا . . أننا أحياء عقلاء فى مكان ما من الكون . ونحن فى انتظار الرد علينا . . أو الإحساس بنا!

ومنذ أسابيع اكتشف العلماء الأمريكان أن الحجر الذى عثروا عليه من ١٢ سنة فى القطب الجنوبى ، هذا الحجر قد سقط على الأرض من عشرين ألف سنة . وكان يدور فى الفضاء من ثلاثة آلاف مليون سنة . . وأن هذا الحجر قد أفلت من جاذبية المريخ . . وبتحليل هذا الحجر وجدوا ميكروبا ميتا . أى حياة . . أى أن المريخ كانت به حياة . . أو لاتزال به حياة . . أو بقايا حياة أكثر تعقيدا .

ومن يدرى بقايا حياة عاقلة . . ولكن لأسباب فلكية مجهولة لنا انعدمت هذه الحياة . . كما انعدمت حياة الديناصورات على الأرض من أربعين مليون سنة بعد أن عاشت على الأرض ستين مليون سنة . ولكن الديناصورات انعدمت بسبب اقتراب أحد النيازك الضخمة من الأرض وسقوطه عليها . . فارتفعت درجة الحرارة وجفت المياه وماتت الكائنات الضخمة . فمن يدرى ربما حدث شىء من ذلك على المريخ . . المهم أن هناك حياة فى المجموعة الشمسية . وأن هذه الحياة كانت على المريخ . . فمن يدرى ربما كانت حياة مثل حياتنا وقامت قيامة أهل المريخ . . كما سوف تقوم قيامتنا . . وتصبح الأرض خرابا يبابا . وتجىء كائنات أخرى بسفن فضائها من مكان بعيد وتبحث فى الأرض وتجد آثارًا لحياة ميكروبية فلا يستبعد العلماء أن تكون قد عاشت على هذه الأرض حياة حيوانية أو نباتية . . ثم يحتاجون إلى ألوف السنين أو ملايين السنين لكى يثبتوا أنه كانت هناك حياة عاقلة على هذه الأرض !

كل شىء جائز !

أنا وزير «كان وكان» ؟!

٥٥

بعد أن قارنت بين صور الوزراء وهم يحلفون اليمين بصورهم بعد ذلك . أى بعد أن جلسوا طويلاً جداً على المقاعد فى مكاتبهم وفى اللجان وفى السيارة وفى الأفراح والمآتم ، وفى انتظار كبار زوار الدولة والوقوف طويلاً فى الطابور نهاراً وليلاً وبعد تنشيف دمهم فى الصحف وفى مجلسى الشعب والشورى . . وبعد ذهابهم سراً وعلنا للمستشفيات لإجراء الفحوص .

بعد كل ذلك قررت أن أبتدع وزارة جديدة . . فليكن اسمها الآن مؤقتاً (وزارة لشئون الوزراء) . . لأن شئون الوزراء لاتسر عدواً ولا حبيباً .

وتذكرت زمان عندما كانت والدة رئيس الوزراء د . عزيز صدقى تتصل بنا وتشكو من أن صورة ابنها (كشرة) جداً . . ولا دخل لنا فى ذلك فعزيز صدقى كشر .

وكذلك والدة د . فاروق الباز كانت تتصل بى وتغضب من أننى نشرت له صورة بالجلباب والطاقية ، وكانت تقول : منين أنت بتحب فاروق ومنين تنشر له صورة كأنه بواب أو سفرجى !

قام الوزير وزوجة الوزير تفزع من صورته بعد سنوات من جلوسه على مقعد الحكم .

وأما مكتب الوزير فهو صندوق خشبى يقرف ، ولا شيء يدهشنى فى شئون الوزراء إلا مكاتبهم . فالمكاتب كلها من خشب . . المكتب والأرض والجدران . وتندهش جداً . فهذا النوع من الخشب ليس موجوداً فى مصر ، مستورد يعنى . . ثم إن بلادنا حارة وليست باردة تحتاج جدرانها إلى أن نغطيها . وشيء آخر مضحك . . كل مكاتب الوزراء لها ستائر كثيفة على النوافذ . . وفى نفس الوقت مضاءة بالفلورسنت . . الأرض والجدران والسقف . . مع أنه لو فتح الستائر لاستغنى عن الأشعة البنفسجية الضارة بعينيه وصحة سيادته .

وكل واحد من الوزراء عنده ستائر كثيفة وعنده برافان حتى لا يراه أحد . . كما أن هناك وزراء عندهم مكاتب عبارة عن غرفة فى داخل غرفة وباب من وراء باب . . وأحد هذين البابين (مسروق) . . أى كده وكده . . تماماً مثل المقابر الفرعونية التى جعلوها كذلك تضليلاً للصوص . . وإذا كان هذا رأى الوزير فمعنى ذلك أن كل زواره من اللصوص!

أما السجائر فهى تملأ جو المكتب . . والوزير يدخن ويشرب دخان الآخرين . . وإلى جانب ذلك القهوة والقهوة . . وألوف المكالمات التليفونية التى تهلك أعصابه فيشرب قهوة . . والمشاكل اليومية ابتداء من معاقبة أحد السعاة فى محافظة أسوان وأحد الوكلاء فى محافظة الإسكندرية ، والرد على استجوابات النواب الذين لم يحقق لهم الوزير مطالبهم الشخصية جداً . . وإذا عاد إلى

البيت فيوما الساعة الخامسة ويوما السابعة . . ويوما لايعود . . وإذا عاد فلكى يغمض عينيه فينهض لحضور ثلاثة أفراح فى ليلة واحدة . . ويجب أن يذهب . . ويتصادف وفاة شخصية مهمة . . فلابد أن يقول مبروك . . ولابد أن يقول : البقية فى حياتك .

هذا إذا لم يكن هناك زائر كبير لمصر . . فإذا جاء هذا الزائر فلابد من السيد الوزير أن يأخذ له (تعسيلة) فى السيارة من المكتب إلى المطار . . وفى المطار يذهب قبل الموعد بساعة أو ساعتين . . يشرب القهوة ويتفادى أن يبدو نائما . . مع أن النوم حاجة ضرورية ، وأنه من الطبيعى أن ينام الإنسان الذى ليس عنده وقت لكى ينام .

وحتى الآن لم أتعرض لمشاكل الوزير العائلية . طبعاً له مشاكل كثيرة أخرى . . مع زوجته وأولاده . مع زوجته التى رأته لطيفا جداً مع إحدى الموظفات فى الوزارة . وكيف لايكون؟ هل زوجته تريده حيواناً كاسراً . . هل هى حيوان كاسر مع كل الذين يتلطفون معها ويتابعونها لأنها حرم سيادة الوزير . . وقد يكون الوزير طافح الدم ولايقوى على حمل رأسه . . وإنما يلقى بها مرة على كفه اليمنى ومرة على كفه اليسرى عندما يدق جرس التليفون ويقف على حيله قائلا : متى؟ وكيف؟ من قال للسيد الرئيس؟

باختصار مصيبة . وتظهر زوجته كأن شيئاً لم يحدث ، وتقول له : وبسلامتها اسمها إيه؟

فيقول لها : كارثة!

ـ هذه الموظفة المفعوصة اسمها كارثة؟

ـ موظفة إيه وزفت إيه؟ الحريق الذى ابتلع المكاتب والمخازن .

ـ سيبك من هذا الحريق . . كلمنى عن البنت التى كانت واقفة تتمايل وتتمايص . . حتى صاحباتى سألونى مين دى اللى أكلت عقل الوزير؟!

بذمتك أنت لو كنت الوزير ما الذى تفعله؟ بذمتك أنت يا شيخ هل هذه زوجة تقدر الدوخة ووجع القلب الذى يكتوى به الوزير؟

ولكنها المرأة . . زوجة الوزير أو زوجة الخفير .

وبلاش مشاكل الأولاد . . وبلاش مشاكل الأقارب . . وبلاش مشاكل الدائرة الانتخابية . . وبلاش مشاكل مصارينه . . مصرانه الغليظ بالذات . . والكوليسترول . . وعينيه . . وبلاش ما يقوله زملاؤه . . الوزراء من ورائه . . وبلاش أن أخباره تظهر فى التليفزيون دقيقة أو دقيقتين مهما كانت أعماله جليلة!!

هل يوجد وزير واحد يعرف معنى الإجازة الأسبوعية؟ ولا واحد أو الإجازة السنوية ؟ ولا واحد!

ولا حتى رئيس الجمهورية حسنى مبارك لايعرف الإجازة .

وقد قابلت المهندس علاء حسنى مبارك فى بيت السفير المغربى بمناسبة عشاء على شرف ولى عهد المغرب الأمير حسن . . وعلى عادة المغاربة فهم لايعيشون إلا فى الفرفشة . . الطبل والزمر والغناء . . فالملك الحسن ابن حظ ويقود الفرقة الموسيقية أمام ضيوفه . وصداقته لعبد الحليم حافظ معروفة . . والشعب المغربى كله يحب الطرب .

وقلت لعلاء مبارك : هل من الممكن أن أبعث معك رسالة للرئيس حسنى مبارك؟

قال لى : طبعاً بكل سرور .

قلت : هل من الممكن أن تقول لبابا إنهم اخترعوا أشياء جديدة اسمها الفرفشة . . الطبل والزمر والغناء والموسيقى والرقص . . وإنها تطيل العمر . . وتقول لبابا أن يأخذ له إجازة يومين من كل أسبوع ليستريح . . ويريح الوزراء وكل الأجهزة فهو يشكل وراءه كل الناس . . ولذلك فهم عصبيون وهم مرهقون . . إن رؤساء الدول الكبرى . . كرؤساء أمريكا الذين يحكمون الكرة الأرضية والكواكب الأخرى يأخذون إجازات يصيدون فيها السمك أو يركبون الخيل . . أو يتمشون فى الغابات . . ولابد من الإجازة . . والرسول عليه الصلاة والسلام قال : «إن لبدنك عليك حقا» . . أى أن الإنسان الذى لايعطى جسمه إجازة بالذوق يأخذها الجسم بمنتهى القوة وفى أحد المستشفيات! هل هذا ممكن ؟

فوعدنى بذلك .

وقابلت السيدة سوزان مبارك وقلت لها نفس هذه الرسالة فضحكت وقالت : ياه ده كان غيرك أشطر!!

سألت : يعنى إيه ؟

فقالت : نحن حاولنا معه طول العمر . . ولكن لا فائدة!

وقابلت الرئيس مبارك وقلت له : يا ريس أنا بعثت لك رسالة مع علاء مبارك .

قال : آه قال لى . . يعنى إيه؟

- يعنى إيه؟ ولا حاجة يا ريس .

- صحيح يعنى إيه .

- . . . .

إنه لايعرف معنى الإجازة ولم يجربها طول عمره ولذلك فهو لايريدها .

الصينيون قالوا لى فى تايوان : إن كلمة ويك إند . . إجازة . . لم يعرفوها إلا من الأمريكان بعد الحرب العالمية الثانية . . لأنهم يعملون ليلا ونهاراً .

وذلك عمل ومتعة وراحة!

يقول عميد المؤرخين أرنولد توينبى إن أهم أحداث القرن العشرين وقعت فى مدينة نيويورك . . فقد قررت السكرتيرات أن يقمن بإجازة ويرفضن أى مبلغ تدفعه المؤسسات لهن . ولايهم ما الذى يفعلنه بهذه الإجازة . المهم أن يتأكد لهن هذا الحق . وأن يتمسكن به . ورضخت كل المؤسسات لذلك رغم محاولات مضاعفة الأوفرتايم للعاملات!

وفى إحدى المرات كنا مع الرئيس السادات فى زيارة للمغرب . وبعد العشاء مررنا بحمام للسباحة فى غاية الجمال . فقلت للرئيس السادات : شايف يا ريس العظمة . . شايف الأبهة . . شايف النعيم الذى هو من حق الذين يعملون ليلاً ونهاراً .

وسكت . . ثم استأنفت الكلام قائلا : مش الكشك اللى أنت عايش فيه يا ريس فى القناطر الخيرية .

وتوقف الرئيس السادات عن السير وقال بصوت مسموع : جرى إيه يا أنيس أنت يعنى لازم تكرهنى فى عيشتى ، يا أخى أنا مبسوط بالكشك ده . . وهمه يعنى سايبينى . . دول بيقولوا ده الرئيس السادات عنده قصر وفيه مرجيحة . . تصور!

ـ طيب يا ريس ما تجيبهم يتفرجوا عليه . . علشان يعرفوا إن القصر ده ليس إلا استراحة المهندسين بوزارة الرى .

ـ طيب إيه رأيك لو جاء الناس إلى هذه الاستراحة ورأوها ثم قالوا ولكن السادات عنده قصر سرى .

ـ قصر سرى؟ إزاى يا ريس؟

ـ إزاى . . اسألهم . . بيقولوا إن عندى قصرًا تحت الأرض . . وناس بيقولوا ده القصر على حدود ليبيا بعيداً عن عيون الناس . . وبيقولوا إننى آكل ديك رومى كل يوم . . أنت شفت عندى ديك رومى . . طيب أنت حتعمل إيه الصبح؟ تعدى علىَّ علشان نتمشى . . ونتكلم . . ونشوف حتكتب إيه .

ـ حاضر ياريس .

وكان السادات يتريض . . يمشى ويركب البسكليت . . ويجىء من يقوم بتدليكه . . ثم إنه يأكل وجبة واحدة فى اليوم .

لهذه الأسباب كلها أو لانعدامها . . كانت صورة الوزير شاحبة . . وأكراشهم ظاهرة وصبغة شعر الرأس واضحة . . وألوانهم مخضوضة وأعصابهم تالفة . . والحل؟

الحل الذى هو من صميم اختصاصى كوزير لشئون الوزراء . . أن نفتح النوافذ على حدائق صغيرة فى كل وزارة . . وأن نجعل المقاعد

مريحة . . وأن نمنع التدخين بتاتاً . . وأن نخفف من مركزية الحكم فى مصر . . فالوزير مشغول بالسياسة العامة للوزارة وليس بشئون السعاة والسائقين . وأن تكون السكرتيرة معقولة الشكل والمظهر وليست (خنشورا) من مخلفات الوزراء السابقين . . وألا يشترك الوزير فى عشرين لجنة . . وألا يذهب مطلقا إلى المطار فى انتظار الزوار .

وألا يذهب الرئيس نفسه إلى المطار . وأن تكون تلك قاعدة فى البروتوكول . فمعظم دول العالم لايذهب رؤساؤها إلى المطار!

وأن يكون للوزير مواعيد ثابتة للنوم والطعام والشراب والراحة . . وأن يكون مقبولاً لدينا جميعاً إذا أرسل باقة ورد بدلاً من حضوره لعشرين فرحاً ومأتماً كل أسبوع!!

لقد ذهبت لزيارة وزير خارجية كوريا الجنوبية فى الموعد المحدد ، فجاءت السكرتيرة تعتذر دقيقتين اثنتين فقط . ثم عادت وقالت : الوزير يريد أن يراك فوراً .

ودخلت فوجدت الوزير نائما على الأرض ومدير مكتبه يقوم بتدليك كتفيه وظهره وعضلات ذراعيه وساقه . . وهو يفعل ذلك ثلاث مرات يومياً ، فهذا التدليك الذى يمارسه كل الناس قادر على أن يجعله فى غاية اللياقة الجسمية والعصبية!

وزرت وزير الصناعة اليابانى فى الموعد الذى حدده ، وجاءت السكرتيرة وانحنت ورحبت وانحنت وأشارت أن أمشى وراءها ، ومشيت ومشيت ودخلت باباً من بعد باب . . ووجدت مكتب الوزير فى غاية البساطة والنظافة والأناقة . . النوافذ واسعة والستائر جميلة والهدوء شامل . .

وانتظرت دقيقة ودقيقتين . . وتلفت حولى لأننى أسمع صوتاً هامساً . . كأنه صوت أفعى يتسلل تحت المقاعد . . ونظرت حولى . . وإلى الأرض وفوجئت بأن السيد الوزير قد وقف على دماغه وفوق قدميه بعض الكتب . . إنها رياضته المحببة كل يوم .

ولما دعانى إلى أن أفعل ذلك أكدت له عجزى عن واحد على ألف مما يفعله ثلاث مرات يومياً!

وقد جاء الوقت لكى أغير اسم وزارتى هذه بدلا من وزارة شئون الوزراء . . إلى وزارة : كان وكأن .

فأكثر الوزراء لايعرفون قواعد النحو والصرف . ويتكلمون اللغة العربية كلغة أجنبية؟ عار . . طبعا عار قومى!

ولذلك سوف أجعل من المحتم على كل وزير أن يقرأ فى كتاب صغير للنحو والصرف . ويعرف مرة واحدة إلى الأبد : أن (كان) ترفع المبتدأ وتنصب الخبر . . وأن (كأن) تنصب المبتدأ وترفع الخبر . . وأن الحروف : من وعن وإلى تجر أكبر سفينة فضاء ، تجر الكرة الأرضية . . تجر المجرات فى السماء .

وأذكر أننى هاجمت وزير العمل من ثلاثين عاما . هجوماً عنيفاً ، فقد ألقى خطاباً فى عيد العمل وانتهز هذه الفرصة المباركة فذبح واضع قواعد النحو : سيبويه . . ذبحه وداسه بالجزمة . والعمال يصفقون له .

وهاجمته بعنف وقلت : منذ الآن لن نحاسب طفلا إذا أخطأ فى النحو . . بل نشجعه على أن يمضى فى احتقار النحو والصرف . . لأن هذا هو الطريق إلى أن يكون وزيراً . . وزيراً للداخلية . . للخارجية وزيراً بلا وزارة . . ورئيس وزارة كمان!

وحدثنى الوزير وقال لى : أنت تهاجمنى لأننى وزير للعمال .

قلت له : لا ولكن لأنك وزير!

وعرفت أن الخطبة التى ألقاها الوزير كانت مُشَكَّلة . . شىء فظيع!

وأفظع من ذلك أن الذى كتبها له وشكلها هو ابن عمى!!

وإنى انتهز هذه الفرصة لأقدم استقالتى من هذه الوزارة ، لأن مهمتى قد انتهت ، فليس صعباً أن يتخذ الوزير معظم هذه القرارات فى يوم واحد . ويلتزم بتنفيذها .

من الممكن أن يحدث .

ومن الممكن أيضا أن يحدث ذلك يوماً واحداً . وبعده يعود كل شىء إلى ما كان عليه . . فهذه عادة مصرية قديمة ، فالمصريون نارهم قش . . أى نارهم لاتستمر مشتعلة طويلا . فهم يتحمسون بشدة ثم يخمد كل شىء بمنتهى السرعة!!

والخطوة التالية سوف يلعنون القنزحة الوزارية التى كنت داعية لها . . وسوف يقولون : إن أجدادنا الفراعنة لم يكونوا كذلك . . وبنوا الأهرامات!

ولا أجدادنا من العرب كانوا كذلك ولا أسيادنا من الأتراك والمماليك والفرس والرومان والإغريق . . يعنى إيه؟

يعنى أن المثل الذى يقول : من عاش بالحكمة عاش بالمرض ـ هو مثل صحيح .

وإن المثل الذى يقول : آفتى معرفتى وراحتى ما اعرفش ـ مثل صحيح!

والمثل يقول : من بعد عن داره اتقل مقداره ـ مثل صحيح .

والمثل الذى يقول : يا داخل بين البصلة وقشرتها ما ينوبك إلا ريحتها - مثل صحيح!

والحديث النبوى الذى يقول : ابدأ بنفسك ثم بمن تعول ، حديث شريف صحيح . . وهذا الحديث ينطبق على شخصى بالذات : فأنا أيضا لا أعرف الإجازة ولا أمارس أى نوع من الألعاب الرياضية . . وأن باب النجار مخلع - وأننى أنا النجار وكل أبوابى مخلعة! وإننى إذا أردت أن أطاع فيجب أن آمر بما يستطاع . . وإننى لم أستطع فكيف يستطيع غيرى من الوزارة .

يعنى إيه؟

يعنى : قل يا باسط . . يا عمى يعنى هوه ده بقى اللى ناقص فى مصر؟! كل شىء تمام فى مصر . . وهوه مفيش غير الوزراء اللى حياتهم ملخبطة؟!

وقبل أن أوقع بإمضائى على هذا المقال المسئول عن كل كلمة فيه أقول : وأنا مالى . . لا أنا وزير . . ولا أحد طلب منى ذلك .

- ثم إن الوزراء سعداء ومستعدون أن يموتوا على مقاعدهم . . ويكفى أن تنظر إلى الوزير بعد أن يترك هذا المقعد . . كيف هو؟ إنه أقرب إلى الأشباح . . فالكرسى مهما كان متعباً ، فهو رمز للسلطة والنفوذ والناس يمسحون الأرض أمامه بألسنتهم ودموعهم ويذبحون كرامتهم وكبرياءهم أمامه . . إذا لم تصدق ذلك ، فاذهب إلى نقابة الوزراء السابقين فسوف تجد أن الواقفين على الباب الذين يتوكأون على العصا وعلى الجدران ليسوا شحاذين . . وإنما وزراء سابقون وأناس حالمون بالنوم على الكرسى حتى الموت .

ونمت تحت الكنبة!

٥٦

يمكنني أن أدخل في مناقشة مع أي إنسان في قدرتي على تحمل الحرارة . . فأنا أتغطى باللحاف في عز الصيف ومن غير مروحة أو تكييف . . وقد حدث أن سافرت إلى بلاد إفريقية حارة . . فأول شيء أفعله في غرفتي هو إطفاء التكييف فورا . فعلت ذلك في السودان وأوغندا وتنزانيا وكينيا وتنجانيقا والكونغو والهند وإندونيسيا والملايو وسرى لانكا وكوبا والبرازيل . .

وعلى الرغم من إحساسي بأن أجهزة التكييف قد خرست تماما . . فإنني بسرعة أدفع اللحاف أو البطانية بعيدا عني . . ولكن عندما أصحو من النوم أجد أن اللحاف قد زحف بقدرة قادر فغطى جسمي ورأسي أيضا!

حدث أن كنا في الخرطوم وقيل لي في المطار إن الرئيس نميرى عنده زكام . يعني يجب أن أكتفي بمصافحة الرئيس نميرى من بعيد لبعيد . . لا قبلات . . ولكن ما العمل لو حاول الرئيس فعانقني وقبلني كما يفعل مع كل الصحفيين الذين يعرفهم ويعرفونه . .

مشكلة وكان المرحوم يوسف السباعى يشكو من زكام خفيف . فسألنى : حتعمل إيه؟ قلت : أعمل عيان!

وذهبت إلى إحدى الصيدليات واشتريت أسبرين . . وحقنة نوفالجين وحقنة ردكسون . . وذهبت إلى الفندق . وأقفلت جهاز التكييف وابتلعت قرصين من الأسبرين . . وجاء الطبيب فأعطانى حقنة نوفالجين . . ودخلت تحت البطانية فى انتظار العطس والزكام . . ويبدو أننى نمت بسبب هذه المهدئات التى تناولتها . . ودق الباب . وكان دقا عنيفا . وكنت قد نزعت التليفون من الحائط . . وكان الذى يدق الباب أحد رجال المراسم وقال لى : موعد اللقاء مع الرئيس نميرى والرئيس السادات سيكون فى العاشرة . فقلت : ولكن ملابسى كلها بعثت بها إلى المكوجى . . قال : البس جلبابا سودانيا . . قلت : أرجوك لا أستطيع . . قال : آتيك ببدلة على مقاسك . . أو بنطلون وقميص . . مقاسك كام؟! قلت الحقيقة أننى مريض . . ارتفعت درجة حرارتى وعندى رعشة . . والقلب زايد دقتين . . وأنا أعرف أنها أعراض حمى الملاريا!

ولم أذهب إلى اللقاء . . ولكن عند سفرنا من الخرطوم بحث عنى الرئيس نميرى . وأتوا بى من الطائرة . . ولم يكد يرانى حتى ضحك وقال : سلامتك . . أنا بعثت لك أربع بطاطين لكى تتغطى بها فى طائرة الرئيس السادات!

وكنا فى زيارة سرية مع د . بطرس غالى إلى كينيا . . والجو حار طبعا وملىء بالرطوبة . . فوجدت د . بطرس غالى خلع الجاكتة . . وقال لى : اخلع الجاكتة قلت : ليه؟

ـ يا أخى الدنيا حر . .

= فين؟

ـ هنا فى الطائرة . . ألم تلاحظ ؟

= لا والله يا دكتور . .

ـ أنا لا أعرف ما الذى سنفعله تحت . .

وكانت الطائرة لم تهبط على أرض كينيا . . ولما هبطت كان الجو شديد الحرارة والرطوبة معا . . وضحك د . بطرس غالى وقال : تعرف أنا عاوز إيه . . أنا عاوز واحد يخلع جلدى . . أنا حاموت من الحر . .

قلت له : تعرف أنا عاوز إيه . . أنا عاوز واحد يركب لى جلدك ويضعه على جلدى . . فأنا لا أشكو من الحر .

ـ إزاى يا أخى . .؟

= كده يا أخى!

وفى هافانا عاصمة كوبا كان الجو شديد الحرارة . والناس يمشون نصف عراة . . الرجال والبنات السمراوات وأجسامهن جميلة . . وأنا أرتدى الجاكتة فوق القميص والبنطلون الصوف . واحد قال : يعنى إيه المنظر ده؟

قلت : يعنى أنا مش متضايق من الحر . .

ـ أنت من أى بلد؟

قلت له : من مصر .

قال : مصر أقل حرارة من هنا . .

قلت : ولذلك أنا سعيد بالحرارة هنا .

ـ . . . .

في العام الماضي كنت في أوكرانيا . . الله على الجو الحار . . إنني كنت معجبا بحرارة الجو . . ولكن معجب جدا بما فعله الحر في الفتيات الجميلات . . يا دين النبي . . الفتيات الجميلات الأجسام والسيقان عاريات إلا قليلا . . فهناك اتفاق سرى بين الشمس والبنات . . هي تطل من وراء السحب ، والبنات يقابلنها بسيقان جميلة جدا عارية جدا جدا . . في أوكرانيا يشكو الناس لا من حرارة الشمس فقط ، ولكن من الولعة التي تمشى على ساقين!

. . إلا في السعودية الأسبوع الماضي . . قالوا الحرارة : ٤٧ ، وقالوا : ٥٠ مئوية . . أما حرارة مدينة الرياض فليس لها نظير في الدنيا . . حرارة جافة . . الشمس كأنها بركان أبيض أزرق فظيع - ويصب على مدينة الرياض أهوالا وحميما من الحرارة الناشفة . . حرارة كأنها صداع . . أو كأنها جهنم انفتحت فوق . . هذا إذا سرت في الشارع ولو دقيقة واحدة من السيارة إلى السوق . . والعكس . . وفي الجناح الذي نزلت به وأجهزة التكييف تتسابق وتتآكل وتحترق فإن درجة الحرارة منخفضة جدا . . ولا أعرف كيف أخففها قليلا وأقفلت التكييف . . ولم تمض إلا لحظات حتى كانت الحرارة التي تدخل من النافذة وتخترق الستائر الكثيفة شيئا لايحتمل . . أنا لا أحتمله .

وجلست في فزع وأنا أقول لنفسي : يا خبر أسود . . أمال حاعمل إيه في جهنم؟!

وألقيت بالأغطية بعيدا عن السرير ولم أستطع أن أغلق أجهزة التكييف . . ولكن لجأت إلى حيلة . . وهي أنني وجدت كنبة كبيرة . . وتحت قوائمها الأربعة نمت حتى الصباح!!

سفير بين كل الناس!



لى صديق يعمل سفيراً ، وهو سفير بمعنى الكلمة . فهو يستضيف الناس وهو يصلح ما بينهم . وقد تعذب بسبب ذلك كثيرا لأنه حسن النية ، وهو يعانى من المشاكل فى كل مكان يذهب إليه . فهو يسمع أن فلانا على خلاف مع زوجته . . فإذا به يحشر نفسه بين «البصلة وقشرتها» ويعود حزينا لأنه لم يفلح فى أن يحقق شيئا بل إنه أغضب الزوج والزوجة معا . وهو غلطان طبعا لأنه لا يلم بكل الظروف . ولأنه لم يتزوج بعد فهو لايعرف أن الخناقات بين الأزواج ضرورة يومية . . أو ضرورة حياة . . ومجال مستمر للمساومة والمصالحة والمراجعة والترابط من أول وجديد!

وقد سمع أن رجلا يعاكس زوجة أحد جيرانه . وكان ذلك فى مدينة روما . الرجل إيطالى والجار إيطالى . وقد شكا له أحدهما من ذلك . فراح يفكر ويفكر وقرر أن يكون سفير الخير إلى هذا الشر . وقرر أن يكون حمامة السلام بين الجارين بل إنه قال لهما :

عندنا فى الإسلام أن النبى ﷺ أوصى بالجار السابع ، ودعا الجميع إلى العشاء . وفتح الموضوع وتكلم هو عن الجار وفوجىء بأن أحدا لم يتضايق من أن يكون هذا الجار صديقا لزوجة ذلك الجار لا هى اعترضت ولا زوجها . وقالت الزوجة : ولكن زوجى له صديقة!

وتساءل السفير إن كان هذا يرضى الزوجة .

فقالت : نعم ، له صديقة ولى صديق . . واتفقنا على ذلك!

وأحس السفير أنه أدخل نفسه فى المكان الخطأ . وحاول أن يغير الكلام فى هذا الموضوع . ونجح ولكن لايزال وجهه يدل على أنه متضايق لما يحدث بين الجيران . . وتضايق أكثر لأنه أدخل نفسه فيما لايعنيه .

وتساءل السفير : إذا كان هذا حالكما . . فلماذا الخناقات ليلاً ونهاراً؟

قال الزوج : أقول أنا .

قالت الزوجة : أقول أنا . .

قال الزوج : ليس لى اعتراض على أن يكون لها صديق ، ولكن كل اعتراضى أنه يجىء فى أوقات غير مناسبة . . فهو يجىء فى الصباح الباكر قبل أن أذهب إلى العمل .

وقالت الزوجة : ليس هذا هو السبب ، ولكن السبب أنه يحمل طعامه وشرابه معه ولايريد أن يتناول شيئا مما عندنا فى البيت!

قال لى السفير : ودارت بى الأرض . . ورحت أشتم نفسى فى

سـرى ، وأخـتـار الحـيـوانات التى تناسب تفكيـرى وسلوكى . . حمار . . قرد . . كلب!!

إذا لم تكن هذه الحكاية مـفـيـدة . فـفى القـامـوس شىء من الفـائدة . فـفى القـاموس : أن السـفيـر هو الرسـول ليـصلح مـا بين الناس .

وفى القـامـوس : السـفـرة هى الطعـام الذى يحـمله المسـافـر . . والسفرة معناها المنضدة التى نأكل عليها .

قالت السيدة عائشة : «صنعنا لرسول الله وأبى بكر «سفرة» فى «جراب من جلد» .

ويقال : أسفر النهار أى أضاء .

وفى القرآن الكريم : ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ أى مشرقة .

والمرأة سفرت وجهها أى كشفته . فهى سافر ولا يقال سافرة قال على بن أبى طالب لعـثـمـان بن عـفـان رضى الله عنهـمـا : إنهم استسفرونى بينك وبينهم - أى جعلونى سفيراً أصلح ما بينكم .

والسافر معناه الكاتب . . لأنه يوضح المعانى . . والكتاب يسمى «سفرا» ففيه توضيح وبيان للمعانى .

وسـفـيـرنا حـاول كل المعـانى التى جاءت فى القـامـوس ، فكان نصيبه الندم على أنه عين نفسه سفيرا بين كل الناس!

أول تمثال لسيدة فى العالم العربى!

٥٨ منذ أيام أقمنا أول تمثال فى مصر كلها وفى العالم العربى لفنانة . إنه تمثال أم كلثوم أقمناه فى بلدتها المنصورة اعتزازا بفنها العظيم وأثرها على الغناء فى العالم العربى .

أما بقية التماثيل فى مصر فهى للساسة والحكام : سعد زغلول ومصطفى كامل وطلعت حرب وأحمد ماهر ولاظوغلى وإبراهيم باشا . . وتمثال للمهندس الفرنسى الذى فتح قناة السويس ديليسبس . وهو منذ العدوان الثلاثى على مصر ملقى على الأرض مع احتقار الناس له .

وفى الإسكندرية تمثال للخديو إسماعيل ورغم أنه تحفة فنية فإن أحداً لايريد أن يراه . . وأن يتذكر ما كان لحكام مصر قبل ثورة يوليو سنة ١٩٥٢ . .

وهناك تمثالان لشاعرين هما أمير الشعراء شوقى وشاعر النيل حافظ إبراهيم ، فهما فى حديقة لايراهما إلا من يقترب منها .

وكانت هناك أفكار لإقامة تمثال لجمال عبد الناصر . وتلاشت الفكرة ، وتمثال للسادات واكتفينا بأن جعلنا اسمه على أكبر ميادين القاهرة ، وعلى إحدى المدن الجديدة : مدينة السادات .

والروس أقاموا لعمالهم تمثالا هائلا عند بحيرة السد العالى .

والفنان مختار صنع تمثالا لنهضة مصر عند مدخل جامعة القاهرة .

وهناك تمثال لرمسيس الثانى فى ميدان محطة سكك حديد القاهرة . وسوف ننقله ليكون أمام المتحف الجديد العالمى الذى سوف يقام بالقرب من الأهرامات .

ونقل تمثال رمسيس هذا يحتاج إلى مليونى جنيه . . لأنه يحتاج إلى عربات خاصة يمكن أن تمر تحت الكبارى العلوية فى ميدان المحطة . . ولكن لأن رمسيس قد أصاب التآكل إحدى ساقيه ، فنحن نخاف عليه أن يقع فتنكسر الساق الأخرى ، فلابد أن نعالجه أولا قبل أن ننقله مرة أخرى ـ فقد كان مكانه فى المرة الأولى أمام جامعة القاهرة . . وكان تمثال نهضة مصر فى ميدان محطة سكك حديد القاهرة!

ولأم كلثوم تمثال آخر توأم فى حديقة دار الأوبرا وكذلك تمثال لمحمد عبد الوهاب .

وتمثال أم كلثوم من إبداع الفنان الشاب طارق الكومى وأم كلثوم كانت قصيرة القامة مثل الموسيقار النمساوى موتسارت .

ولكن أحدا منا لم يرها قصيرة أبدا . حتى أننا كنا نندهش إذا

وصفها أى إنسان بأنها قصيرة . . فقد كنا نراها طويلة جداً عريضة جداً . كيف؟ فنحن لانراها ، ولكن نطير معها فوق . . فوق السحاب . . وأى إنسان يبلغ السحاب ويتجاوزه ليس طويلا وإنما هو عملاق . وكذلك كانت أم كلثوم . . تماما مثل سيدة الغناء الفرنسى المطربة ميرى ماتيو . . صوتها قوى جداً جميل جداً . وهى قصيرة . ولكن من الذى يراها فى حجمها الطبيعى؟ لا أحد . وكذلك أم كلثوم . . فقد جلست إليها كثيراً . . ورأيتها سمراء قصيرة غليظة الصوت . . ولكن أشعر بأننى أراها طويلة أيضا فى نفس الوقت . . لم أر تناقضا فى ذلك . . فهى قصيرة عندما تتكلم ، عملاقة عندما تغنى . . كيف؟ إنه الفن الجميل يضيف إليها كثيراً فى قدميها وفى عنقها . . ويعلو بها قمة الفن!

لا يهم من الغلطان !

٥٩ تخيلت مجلة «أبوكا» الإيطالية لقاء فى أمريكا بين «تشارلز ، وديانا» بعد طلاقهما . . هو كانت ترافقه عشيقته «كاميلا» . . وهى يرافقها عدد من الشبان . ولم تكد تراها «كاميلا» ، حتى دعتها إلى الجلوس ومعها كل أصحابها . .

ثم طلبت «كاميلا» من الشبان أن يذهبوا بعيدا ، وأن يتركوا الزوجين السابقين . . وذهبت «كاميلا» وأخلت الجو تماما لـ «تشارلز ، وديانا» .

ثم كان هذا الحوار الذى نشرته المجلة الإيطالية ، بقلم صحفية شابة ساخرة . .

ديانا : هل استرحت الآن؟!

تشارلز : وأنت هل استرحت؟

ديانا : لم أكن أنا السبب . . فأنت خدعتنى وقلت لى : إنك تركت هذه العجوز «كاميلا» . . وكنت كاذبا . ولم تكتف بهذا ، بل

أنت جرحتنى فى صميم قلبى ، عندما قلت لى : إنك لم تفكر فى الزواج منى بعد أن رفضتك أختى . . وقلت : إن «كاميلا» هى التى اختارتنى . . هى العشيقة التى اختارت الزوجة . . هل نسيت أنك قلت لى : إنك تحبنى . . هل نسيت ونحن فى الكنيسة ، عندما همست فى أذنى إننى جميلة . . وإننى أجمل من أية فتاة رأيتها فى حياتك؟! . . فما معنى مثل هذه العبارات فى أول لقاء رسمى دينى لنا . . ثم لم أفهم أن الحروف الأولى من اسمك ، مثل : الحروف الأولى من اسم «كاميلا» . . وأن زراير القمصان الذهبية ، عليها حرف من اسمك وهو نفس الحرف من اسمها . . لم أفهم! . . إذن لم تكن صلة عابرة . . وتسمى هذا حبا وإخلاصا . . وسكتت ونزلت الدموع من عينيها!

تشارلز : انتهى كل شىء . . أنت اخترت هذه النهاية . . ولم تكن هذه النهاية سهلة . . إنها طبيعية . . فقد كان الطريق إليها مليئا بالفضيحة . . فضيحتى وفضيحتك وإهانة للأسرة المالكة . . والتاج والعرش . . و«كاميلا» لم ترد عليك بكلمة واحدة . . رغم أنك أهنتها . .

ديانا : وهل تظن أننى أسكت على واحدة خطفت زوجى . .

تشارلز : ولكننى لم أشتم واحدا من عشاقك . .

ديانا : لأن أعصابك قوية . . ولأنك غلطان منذ البداية . . فأنت الذى بدأت بالخيانة . . بل كانت الخيانة قبل الزواج .

تشارلز : على كل حال فقد انتهى كل شىء . .

ديانا : ولكن لم ينته شىء عندى . .

تشارلز : هذا شأنك . . ولكن عندى كل شىء قد انتهى .

ديانا : وهل ستتزوج «كاميلا» .

تشارلز : لم أفكر بعد . .

ديانا : هذه الدميمة . .

تشارلز : لا داعى لأن تشتمى المرأة التى أحبتنى وأحببتها . . وقد تكون زوجتى يوما ما . .

ديانا : وهل تطلقنى من أجل هذه العجوز . .

تشارلز : أنت التى طلبت الطلاق .

ديانا : يعنى لم يكن فى نيتك أن تطلقنى؟

تشارلز : بعد كل هذه الفضائح؟ كان لابد من الطلاق . .

ديانا : ولايهمك ماذا يقول ولدانا!

تشارلز : وهل كان لديك أدنى اهتمام بهذا؟

ديانا : أنا صارحت الولدين بكل شىء!

تشارلز : لقد أدهشنى ذلك . . ماذا تقولين لابنك المراهق الآن . . ماذا تقولين له وكيف تفسرين الذى قلتيه فى التليفزيون . . كان منظرك بشعا . . وأنت تعترفين بخيانتك أمام الملايين . . ولا أعرف إن كان ابنك الأكبر قد رأى ذلك . . وإذا كان قد رأى هو أو رأى زملاؤه فى المدرسة . . ماذا قال عنا ، وماذا قالوا عنه وعنا؟

ديانا : أنت السبب!

تشارلز : أنا السبب . . أنت السبب . . انتهى كل شىء . .

ديانا : يعنى أنت عـاوز تنهى الكلام؟ مـسـتـعـجل على «كـامـيـلا» . . مش قـادر تبـعـد عنهـا خـمس دقـائق لكى تكمل حديثك معى؟

تشارلز : ليس هذا . . ولكن لا معنى لاستمرار الحديث بيننا فالماضى لن يعود . . ولا أحد يريده أن يعود . غلطة!

ديانا : غلطة مَنْ؟

تشارلز : غلطتى . . غلطتك : غلطة «كاميلا» . .

ديانا : وتذكر «كاميلا» الآن؟

تشارلز : هى التى لم تتغير . .

ديانا : لم تتغير لأنها وضعت نصب عينيها منذ البداية أن تخرب بيتنا وتحطم هذه العلاقة الجميلة التى كانت بيننا . . والتى لاتزال . .

تشارلز : أوه . . لا . . لا داعى لمثل هذا الكلام ، الذى لم يعد له معنى . . فلا أنت تحبيننى ولا أنا . . انتهى كل شىء . . وأتمنى لك . .

ديانا : زيجة زى الزفت!

تشارلز : زى الطين!

ديانا : خسارة!

فعلا . . خسارة أن يتهافت علىّ ألف شاب . . وأنت ليس أمامك إلا هذه العجوز . .

هذا هو الفرق بين الحب الغالى والحب الرخيص . .

تشارلز : أخرسى يا . .

ديانا : يا إيه؟

يا ابن العجوز الشمطاء!

تشارلز : لمثل هذه الكلمات ، كان يجب أن يكون الطلاق ، بعد أسبوعين من الزواج عندما شتمت أمى . .

ديانا : وأنت شتمت أبى ، وقلت لى : إنه رجل ذئب مزواج . .

تشارلز : وهل كان ذلك شتيمة . . إنها حقيقة . .

ديانا : وأمك شمطاء ليست هذه شتيمة . . وإنما حقيقة . .

تشارلز : . . . .

ديانا : . . . .

ومن بعيد يجىء صوت «كاميلا» : شارلى . . شارلى . . وتقف «ديانا» وهى تقول : اشربيه . وابلعى جزمتى وراءه . .

ـ شىء عجيب بينكما توارد خواطر . . ونفس الأمنيات!

وكانت أجمل فنانة باليه!



أنت لاتعرف فنانة الباليه الروسية «تمارا توما نوفا» ، إذن أنت لم تر الجمال ، والدلال ، والرشاقة ، والخفة ، والسمو ، والأنوثة النبيلة . . ماتت فى أمريكا عن ٧٧ عاما . .

أبوها ضابط مهندس وأمها أميرة . وعندما اشتعلت الثورة الروسية ، باعدوا بين الأب والأم . كل واحد نفوه إلى مدينة تبعد عن الأخرى ألوف الكيلو مترات . ولكن الأم أصرت أن تلحق بزوجها ، فتنكرت وركبت قطارا لنقل الخيول . وفى هذا القطار ولدت الوحيدة «تمارا» . . ثم هربت الأسرة إلى فرنسا . . ودخلت «تمارا» المدارس الفرنسية . . واتجهت الطفلة غريزيا إلى الفن الاستعراضى . وكانت فاتنة المعالم . ولسبب غير معروف لاحظت مدرسة الفن الاستعراضى أن الطفلة عندها حضور ورشاقة غير عادية . . وتحدد نهائيا مستقبلها بأن تكون فنانة باليه . .

ورأتها الفنانة الاستعراضية العالمية «أنا بافلوفا» ، فأوصت أن تتفرغ نهائيا لفن الباليه ، فمن النادر أن يظهر نبوغ مبكر فى هذه السن ، وبعيدا عن الجو الروسى ، الذى يقدس الباليه . .

وظهرت «تمارا» على مسارح كثيرة ، وفى الأفلام وهى لاتزال صغيرة . .

وعاشت وحدها فى باريس ، عندما سافر أبواها إلى لندن . . ثم إلى أمريكا . وسكنت فوق السطوح ، وكانت تعيش على الفاكهة والخضراوات سنوات . وفى الوقت نفسه لاتتوقف عن التدريب . وكان جمالها يمتاز باتساع العينين ، والبشرة الوردية ، والأسنان اللامعة ، والذكاء والأدب .

وكبرت «تمارا» والتحقت بفرق موسيقية وفرق باليه عديدة . واشتهرت وارتفع نجمها . . ولكن «تمارا» ظلت تزن نفسها كل يوم . وتحسب بالضبط كم تشرب من الماء والسوائل ، وكم تأكل من اللحم والخضراوات . ولم تذق طعم الخبز والدهون فى حياتها . ولم تذق طعاما مسلوقا . ولا غيرت ساعات نومها أو يقظتها . . فهى تنام بالضبط ست ساعات لاتزيد ولا تنقص . وترى أن الإنسان كلما زاد وزنه اضطرب قلبه ومعدته . . فإذا زاد وزنه أرهق قلبه ومعدته . ولذلك يجب أن يكون خفيف الوزن على القلب والمعدة . .

وتقول : إنها تفضل الماء الدافئ والماء الفاتر على المياه المثلجة ، وعلى كل المشروبات المثلجة . ولم تذق الآيس كريم فى حياتها ، إلا إذا ذاب وصار دافئا . . ولم تضع ساقا على ساق . وإنما يجب أن تمدد الفتاة ساقيها إلى الأمام ، لكى تسرى الدماء فيهما بانسياب وانتظام .

وجاءت «تمارا توما نوفا» إلى القاهرة ضمن فريق «مونت

كارلو» . . ومرة أخرى ضمن فريق «سيرج لوفار» ، وكان من نصيبى أن أصحبها إلى منطقة الأهرامات وأبى الهول . . وأن أركب معها زورقا فى النيل . . وأن يكون ذلك بعيدا عن القاهرة ، واشترطت أن يقف الزورق وسط النيل . . وأن نتركها سارحة وحتى لو استغرقت فى النوم طلبت ألا نوقظها . .

وكنت أجلس فى جانب الزورق ، والشاعر «عبد الرحمن صدقى» مدير الأوبرا فى جانب آخر . . وذهبنا بالزورق بعيدا بعيدا ، إلى قرب مدينة حلوان . . وكان القمر بدرا واسندت «تمارا» ظهرها إلى سارية الزورق الشراعى . . وراحت تنظر إلى القمر . . وتتحرك شفتاها ، لانعرف ماذا تقول ، وكما توقعت هى استغرقت فى النوم ومضى الوقت . . عشر دقائق . . عشرين دقيقة . وصحت «تمارا» من نومها . وسألت : أين أنا؟

قلت لها : لاتزالين على كوكب الأرض!!

وضحكت وقالت سأروى لكما ما هو الحلم البديع الذى أسعدنى . . وروت قصة أدبية لطيفة . . وحكاية غابة وطيور وحيوانات ، اختاروها ملكة على عرش عالم الحيوان والنبات . .

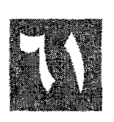
وعندما خرجنا من الزورق وجدنا بائع الترمس . فسألت : ما هذا؟ فقلت لها : ترمس . فمدت يدها وأخذت حبة ترمس واحدة . . ثم سألت : وما هذا؟ فقلت لها : فول مقلى . . فمدت يدها وأخذت حبة واحدة . . ثم سألت : وما هذه؟ قلت لها : هذه قلة يشربون منها . .

وسكبت من القلة قطرات على كفها ، ثم لعقتها بلسانها . .

ومنذ أيام تذكرتها إنها أجمل وأبرع فنانة باليه فى الدنيا . . ساءت صحتها فى السنوات الأخيرة . . بعد زواج لم يكن ناجحا ، وحياة بعيدة عن الأضواء . . وبعد أن أكلت الخبز واللحوم ، وشربت كل أنواع الكحوليات . . واستولى عليها اليأس . وليس بعد اليأس إلا الموت الذى ينقذها من كل ذلك . .

أما أبوها فقد سبقها من ثلاثين عاما . وأمها لاتزال حية . . وليست مضطرة لأن تعمل بوصيتها . فقد أوصت أمها ألا تجعل أحدا من أحفادها يعيش على فن الباليه . . فلا معنى لهذه الوصية ، لأن «تمارا» لم تنجب أطفالا . . ولأن أمها لم تنجب سواها!!

الملل.. أبو الجريمة!



المثل يقول : لامحبة إلا بعد عداوة . .

والأصح أن يقال : لا عداوة إلا بعد محبة!

لماذا؟! سوف أقول لك حالا . .

والشاعر القديم يقول :

احذر عدوك مرة .

واحذر صديقك ألف مرة .

فلربما انقلب الصديق .

فكان أعلم بالمضرة!

والناس يندهشون من أن الأصدقاء يتشاجرون ويختلفون ويكون الخلاف عميقا . والأزواج عن حب . وأيضا المحبون والعشاق وأفراد (الشلة) الواحدة من الرجال والنساء . لماذا؟

أقول لك لماذا؟ فهذه العلاقات الطويلة تصيب الناس بالضيق وبالملل .

والملل يدفع إلى الرغبة فى الهرب من الشىء الممل . من العلاقة المملة .. من تشابه اليوم والأمس والغد . . نفس الوجوه . . نفس الكلام . . نفس المكان . . نفس الطريق . . وهنا يشعر الإنسان أنه سجين لشخص أو لأشخاص . . أو لعلاقات وعادات لاتتغير ولاتتبدل . .

ويندهش الناس أكثر . . كيف أن زواجا استمر عشرين أو ثلاثين عاما انتهى بالطلاق؟ كيف أن رجلا وامرأة عاشا فى التبات والنبات ، وكان لهما الصبيان والبنات . . ثم جاء الطلاق عاديا حاسما ، كيف؟ الجواب : إن الخلافات والقسوة والشدة ، قد تتراكم على شكل غضب وسخط . . كل يوم يضاف شىء . . كل يوم حتى يرتفع حائط الخلاف بينهما . . وتتكدس فلا يبقى إلا أن يذهب كل فى طريق . . والناس ينظرون إلى العشرة الطويلة ، ولاينظرون إلى التداخل والحائط الشائك ، الذى يكون بين الزوجين والصديقين ، فى أيام وشهور وسنوات!

إنه الملل الذى يدفع الناس إلى الهرب . . ويدفعهم إلى العنف وإلى القسوة على مصدر الملل .. أى على الصديق والحبيب والزوجة . . قال تعالى : ﴿ إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ﴾ (التغابن ـ الآية ١٤) . فالزوجة والابن ينقلب عدوا . . لماذا؟ للضيق للقرف . . للملل . .

وليس صحيحا أن الشعوب تكره العنف . أبداً إنها تطلبه . . تبحث عنه . . تخلقه . . فى الخناقات التى تنعش الحياة . . فى

الشطة التى يضعـهـا فى الطعـام . . فى الأفـلام وفى المذابح ، فى الحروب . .

لى صـديق إذا رأى صـورة صـغيـرة فى الصـفحة الأولـى من أية صحيفة اتجه إليها بسرعة ، ظنا منه أن أحداً قد مات . ولماذا يريد أحـداً يموت؟ . . أى حـد . . ويكون جـواره : يا أخى زهقت من الكلام الواحد والحكايات الواحدة . . زهقنا . . قرفنا . . مللنا . . إنه ينتظر موت أى أحد : وهذا لو كان شخصا مسئولا أو خصما أو كان صديقا . . إنه الملل . .

لو حدث أن سمع الناس انفجارا أو دويا أو صراخا ، فإنك تجد الناس تتوقف تماما . كأنها غير مشغولة بأى شىء . . كأنها بلا عمل . ولكن لماذا؟ لأن الانفجار أو الصراخ ، قد أنقذ الناس من حالة الملل واللامبالاة . . والمشى نياما . . إنهم سعداء بالذى دق أبوابهم ورؤوسهم . . وأزعجهم وأحرق أعصابهم . شكراً للعنف . . شكراً لطلقات الرصاص . . حتى للدماء . .

والناس يتزاحمون على أبواب السينما ، ويقفون طوابير طويلة ويكون السبب هو أن هناك فيلما مخيفا أو مرعبا : عفاريت أو جرائم . .

وقد اعتاد الناس على أفلام الحروب . . ولم يعد الناس يقرفون من الأفلام عن الحرب والأفلام التسجيلية للحرب نفسها . اعتادوا على الدم وعلى العنف . . حتى أصبح العنف نفسه مملا . . تماما كالذى يعتاد على الشطة ، أو يعتاد على ضوضاء القطار ، أو الطائرة فينام . .

ولا يكاد يصحو من الفيلم أو الضوضاء ، حتى يبحث عن عنف

جديد . . دم جديد . . رعب . . فالناس هم الذين يطلبون العنف . . وشـركـات السـينمـا تنتج لهم مـا يريدون ، وتتنوع أشكال وألوان العنف والأشـبـاح والدمـاء والحـروب الحـقـيـقـيـة والحـروب السينمائية . . حتى لايزهق المشاهد . . الزبون الذى هو على حق دائما . .

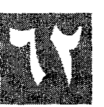
أذكر أن زميلة صحفية قد دعتنى فى يوم من الأيام إلى حفلة إعدام!!

واندهشت للدعوة . ولكنها كانت جادة ، فهى تذهب إلى مكان تنفيذ أحكام الإعدام وتقف تتفرج . ولاتهتز لها شعرة .

وسألتها فكان جوابها : يا أخى كرهت الرجال . . كرهتهم . . أتمنى لو أن الله قد قضى عليهم جميعا ، وأعطانى العمر الطويل لأدفنهم واحداً وراء واحد أو أعطانى عمراً أطول ، لكى أقطعهم وأضع كل واحد فى عشرين كيس بلاستيك!

وعندها أسباب كثيرة لذلك . . ولكنها غنية وجميلة ، وحياتها هادئة ناعمة . وهذا هو السبب : إنها زهقت . . ملت . . قرفت . . وتريد شيئا يهزها بعنف ، ويغلى الدماء فى عروقها ، وتصرخ ويكون الصراخ هو راحتها اليومية!

.. ثم لا يقولون شيئا!



عجيب أمر الشعوب العربية ، إذا تغير «بوش» ، وجاء «كلينتون» لم تهتز لهم شعرة . . وعندما يذهب «كلينتون» ويجىء «دول» ، أو عندما يبقى «كلينتون» ، كأن شيئا لم يحدث . مع أن الرئيس الأمريكى هو رئيس الكرة الأرضية والكواكب الأخرى . . قوة وسلطانا ومالا وجمالا!

فإذا جاء واحد اسمه «نتانياهو» رئيسا لوزراء إسرائيل ، بأغلبية أقل من ١٪ تتلخبط البلاد العربية . . وهذا يجرى وهذا يتعثر . . وهذا يقوم وهذا ينام . ماذا حدث؟ إنهم أتوا برئيس وزراء جديد . . وهذا الجديد يقول : إنه سوف يفعل كذا ويفعل كذا . . وإنه يضرب وسوف يقتل . . وسوف يسيح دماء العرب . .

كلام . ونحن نستطيع أن نقول كلاما أسوأ من هذا ، فنقول له : ونحن أيضا قادرون على أن نقتل المدنيين والعسكريين فى إسرائيل وخارجها . . ونحن جربنا الحروب خمسين عاما ، ومستعدون أن

نمضى فى ذلك خمسين عاما أخرى!

هو يقول . ونحن نقول .

ولكن الذى حدث فى العالم العربى شىء مضحك حقا . لقد خاف العرب؟ من أى شىء؟ من رئيس وزراء جديد فى إسرائيل . من هو؟ ما هو؟ ما الذى يستطيع ولانستطيعه نحن . . ما الذى استطاعه أستاذه «بيجن»؟

«بيجن» هو الذى حقق السلام مع «السادات»؟!

ونحن حاربنا حزب العمل بزعامة «جولدا مائير» . . وانتهت الحرب بانتصار العرب . . وعاد المنهزمون فى الحرب يحققون السلام مع العرب . . السلام مع الأردن ومع فلسطين ، ويحاولون مع سلطنة عُمان وقطر . . وهم دائما على علاقة ممتازة مع المغرب وعلاقة جيدة مع تونس . . وهم يبيعون بترول العراق وينقلون الطعام من تركيا وأوربا الشرقية إلى العراق ويبيعون السجاد الإيرانى .

أما إذا كان العرب فعلا فى حاجة إلى لقاء . . وقمم . . فالعرب على حق فى ذلك ، بشرط أن تكون هذه القمم من أجل إصلاح ما بين العرب أولاً . . فهناك خلافات على الحدود . . وهناك خلافات على تمويل الإرهاب وتدريبه . . وهناك خلافات على العمالة المصرية . . والمصريون لايتقاضون مرتباتهم بانتظام من ليبيا . . ولم يقبضوا التعويضات من العراق . .

ثم هناك الوضع الدموى فى البحرين . .

وهناك سفن مصرية محبوسة فى موانئ أريتريا . . عشرون سفينة . . وكانت قبل ذلك سفن مصرية سجينة فى مياه اليمن . .

ثم معسكرات التدريب فى السودان . .؟! ثم حقيقة المصانع والأسلحة الكيماوية فى ليبيا . ويقال فى سوريا .

فبين العرب مشاكل هى الأهم ، ولابد من الوقوف معاً . لماذا لايكون الجلوس معا فى هدوء وحل مشاكلهم بالعقل؟! فإذا حلوا هذه المشاكل فأمامهم المشكلة العربية الإسرائيلية . . مشكلة فلسطين ومشكلة سوريا . .

ثم ما هذا الذى يجرى فى الجزائر . . إن العرب يتفرجون على الدماء التى تلطخ أرض الجزائر . . كأنهم يتفرجون على أحداث وقعت فى المريخ . . مع أن المشاكل العربية واحدة والهموم واحدة . . وأسباب الصراع فى الجزائر موجودة بدرجات مختلفة فى كل البلاد الإسلامية . . ولابد من دراستها ومحاولة منعها فى أى بلد عربى . .

وهناك مشاكل البطالة . . ومشاكل التنمية . . ومشاكل ما بعد الحرب . . ومشاكل الأسرة ومشاكل المفقودين ومشكلة قديمة ولكن خطيرة : مشكلة ملايين الألغام على حدود مصر ، وحدود العراق ، وإيران ، والكويت . .

ومشكلة أخرى هى : تزوج واهرب!

ففى كثير من البلاد العربية يجىء أناس كسياح ويتزوجون زواجا عرفيا . . وينجبون أولادا ويهربون . . وإذا كانت الزوجة سعيدة الحظ اعترف زوجها بأولاده منها . فإذا حدث وظهرت مشكلة جنسية الأولاد . . طبعا لهم جنسية والدهم . . فما الذى تفعله الزوجة؟ عندنا فى مصر ألوف القضايا والأطفال . . وفى ليبيا

أيضا . هذه مشكلة تستحق الدراسة ، واتخاذ قرار فيها فى مؤتمرات القمة العربية . .

أما حكاية إسرائيل وزعمائها الصغار أو العواجيز ، فهى ليست أخطر المشاكل ولكن من أهمها . . واسأل : مصر والأردن وفلسطين . . لن يقول أحد : إنها أهم مشكلة . . وإنما أهم منها مشكلة الرغيف والكتاب والدواء .

ويكفى أن يتذكر المصريون ماذا حدث لهم يوم اتفقوا على السلام مع إسرائيل . اتهمهم العرب جميعا ـ فيما عدا سلطنة عمان ـ بالخيانة والعمالة والتصفوية والجبن .

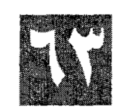
ورغم هذه الاتهامات .

فقد سار العرب فى الطريق نفسها . . ولم تفتح مصر فمها بكلمة واحدة . . واليوم يعود العرب إلى اتهام الدول التى تريد السلام . .

أليس من حقك أن تسأل فى الأول وفى الآخر : أيها العرب ماذا تريدون من أنفسكم ولأنفسكم . . تريدون الحرب؟ قولوا ولكن يجب أن تتفقوا على من الذى سوف يحارب لمن؟ تريدون السلام؟ قولوا . .

والعرب يقولون كثيرا جدا ثم إنهم لا يفعلون شيئا!

تزوجها من الصين!



هل أنت خبير فى الزواج؟!

ـ لا . .

ـ أمال أنت خبير فى إيه؟!

ـ فى أشياء كثيرة ليس من بينها الزواج . . لأن الإنسان لايمكن أن يكون خبيراً فى المستحيل . .

ـ وهل الزواج مستحيل!

ـ أقصد أن مشاكل الحياة الزوجية مستحيلة الحل . .

ـ يعنى إيه؟!

ـ يعنى أن الإنسان عندما يتزوج ، فهو اختار واحدة رآها يوما أو عشرين ، ورأى أحسن ما فيها ورأت ألطف ما فيه . . وبعد ذلك تبدأ الحياة عن قرب . . وكلما ازددت اقترابا ازددت ابتعادا ، وظهرت أنت على طبيعتك ، وظهرت هى أيضا على طبيعتها . . وتكون النتيجة أنك اكتشفت أنها مختلفة تماما . . وأنك أنت أيضا . . والحل؟ لا حل . . لأنه لايوجد أى اتفاق بين المرأة

والرجل ، سواء كان الزواج عن حب أو عن مصلحة . . هى كائن مختلف جدا . . ولاتعرف إن كانت طفلة عاقلة أو سيدة مجنونة . . عندها أى امتنان أو ناقمة عليك وعلى الناس . . وإن كانت تطيق أن تنظر إلى وجهك أو تستمع إلى صوتك . .

ـ وبعدين؟

ـ ولا حل . . وكل يوم مشكلة . . وكل ساعة قضية . . وأنت لاتعرف لك رأسا من رجلين . . وفى هذه الأثناء يكون عندك أولادك . . والأولاد هم أكبر كارثة تصيب أى إنسان . . أكبر قيد من حديد وشوك . . لا أنت عارف تخلص منها ومنهم . . ولا أنت عارف تعيش معهم . . ثم أنت الذى أتيت بهم إلى هذه الدنيا . . وأنت مضطر غصبا عن عينيك أن تربيهم . .

ـ يبقى أنت ما عرفتش قيمة المرأة الصينية .

ـ المرأة الصينية كالمرأة الأمريكية ، كالألمانية ، كالمصرية . . وحياتك كلهن زى بعض . . الطينة من الطين والعجينة من العجين . .

ـ يبقى سيادتك ما بتفهمش أى حاجة لا فى النساء ولا فى الزواج . .

ـ إزاى!

ـ أقول لك إزاى!

استمعت إلى هذا الحوار الغريب . واقتربت لأسمع الذى سوف يتحدث عن مزايا المرأة الصينية . . إنه من حضرموت غنى جداً ، تزوج امرأة خليجية حلوة ، جعلته يحس طول الوقت أن السيدة قد

تزوجت خادمها ، وأنها لذلك تنظر إليه من فوق . . ثم إنها أنجبت له ثلاثاً من البنات!

وفى يوم قرر تأديبها فتزوج واحدة سورية . . بيضاء حلوة . . خضراء العينين ذهبية الشعر . . طول وعرض . . وانكسرت شوكة الزوجة الأولى «أم البنات» . فالسورية قد أنجبت ثلاثة أولاد . . وجاء دورها هى الأخرى ، لأنها «أم البنين» فرفعت رأسها لفوق . . أعلى من الأخرى وأعلى من الزوج . . وطلبت خادمات من الحبشة . . ومربية من بريطانيا . . وأقامت وحدها فى فيلا . . وانتهزت السورية فرصة ضعف هذا الزوج المليونير . . ضعفه أمام أولاده الذكور . . وأمامها طبعا ، وراحت تتحدث بقنزحة . . وتقيم الولائم لأهلها وأقاربها . . والزوجة الأولى قد لانت ولانت . . وإن كان فى رأيه أنها ، أى الزوجة الأولى ، ألطف ، وأرق ، وأجمل ، وأخف دما . . وبناتها فى غاية الجمال . .

ولسبب ما قررت «أم البنين» أن تمضى الصيف كله فى دمشق . . بين أهلها وأقاربها وصديقاتها . طبيعى . ولكن زودتها . . فهى تنفق كثيرا على أهلها وعلى أصدقائها . . وتريد أن تقيم قصرا فى حلب . . بلدها . . وأن تعيش فى أسبانيا . . وأن تجرجره وراءها فى كل مكان . . ليبتعد عن الزوجة الأولى التى غيرت من سلوكها تماما ، وأصبحت زوجة نموذجية . . بل إنها عرضت أن تعيش معظم الوقت فى اليمن ، لأنها تزوجت زوجها عن حب . . ويندهش الزوج من أن زوجته الأولى تصرح أمام كل الناس بأنها تحبه . . وإن كانت السورية لم تقل ذلك يوما . .

هنا فقط كان لابد من الزوجة الصينية . . وذهب إلى هونج كونج . . إلى أحد محلات المجوهرات . . دخل المحل ظهرت فتيات صغيرات بائعات فى غاية الأدب والرقة . . وقال لواحدة : لو اشتريت هذا الخاتم؟

- تحت أمرك .

- أقصد لو اشتريت هذا الخاتم وقدمته لك شبكة .

- شرف عظيم . .

- إننى جاد .

- وأنا أيضا . .

- هل أنت عارفة معنى الكلام؟!

- طبعا .

- إيه رأيك؟!

- موافقة على الزواج فورا .

- طلباتك؟!

- ليست لى أية طلبات . .

- يعنى إيه؟!

- يعنى أخرج معك الآن إلى المطار .

- هكذا؟

- نعم .

- وتكونين سعيدة؟

- نعم .

- لماذا؟!

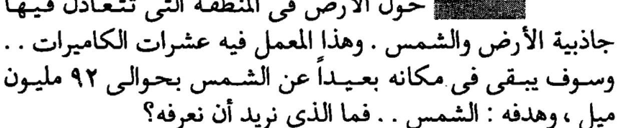
- لأن حلم حياتى أن أتزوج رجلا شرقيا ، أسمر اللون له ابتسامة حلوة . دوغرى ، يريد أن يتزوج وأعلن ذلك صراحة .

- الحمد لله . .

يقول لى أنا : وكل ما قالته هذه الزوجة تعيده كلمة كلمة . . أول ما أدخل البيت تساعدنى على خلع ملابسى ، وتغسل قدمى فى ماء الورد . . وتقف حتى أغير ملابسى . . وأجلس إلى المائدة وتقف ورائى ، حتى أقول لها : اجلسى ياميا . . أين الأولاد؟!

- نائمون يا سيدى . . ولم تنطق مرة واحدة اسمى ، دون أن تسبقه كلمة يا سيدى . . ولا مرة . . تكون فى عز النوم . . ويخيل لها أننى أناديها ، فتقول : تحت أمرك ياسيدى ، مع أننى لم أتكلم . . أما الأولاد ففى غاية النظافة والصحة والعافية . . والبيت ملىء بالزهور وفى غاية الأناقة . . أهم من كل ذلك لم تطلب منى شيئا واحدا . . ولا زارها قريب ولا طلبت أن تسافر إلى أى مكان . . نسيت أن أقول لك : إن السورية تصادقت مع زوجتى الأولى والاثنتين عاجزتان عن فعل واحد على ألف مما تفعله الصينية ، التى أنجبت لى ولدا وبنتا . . وبس! أنت لم تسألنى عن حالتى النفسية . . إننى فى غاية السعادة سيد كل البيوت وكل الزوجات . . والفضل للزوجة الصينية!

العلم طويل والعمر قصير!



٦٤ على ارتفاع مليون ميل من الأرض ، يوجد المعمل الفضائى «سوهو» . وهو بالضبط يدور حول الأرض فى المنطقة التى تتعادل فيها جاذبية الأرض والشمس . وهذا المعمل فيه عشرات الكاميرات . . وسوف يبقى فى مكانه بعيداً عن الشمس بحوالى ٩٢ مليون ميل ، وهدفه : الشمس . . فما الذى نريد أن نعرفه؟

نريد أن نعرف أسباب هبوب العواصف على الأرض . . وانخفاض وارتفاع درجات الحرارة . . ولماذا ترتبك الاتصالات اللاسلكية فى الأرض . . ولماذا تتلخبط العقول الإلكترونية فى سفن الفضاء التى تقترب من الشمس . . أو توازيها أو تبعد عنها متجهة إلى الفضاء الخارجى . . وما الذى يحدث بالضبط فى أعماق الشمس أو على سطحها . . وما هذه البقع السوداء التى تظهر كل ١١ سنة ولماذا؟

من المعروف عندنا أخيرا جدا أن الشمس لها دوى فظيع . . وأن بها زلازل وبراكين لاتتوقف . . وأن درجات حرارة الشمس بالملايين ، فى جوفها وبالقرب من سطحها . . والشمس كما قال

العالم المصرى الكبير د . «مصطفى مشرفه» : هى الجسم الوحيد ، الذى تتحول فيه الكتلة إلى طاقة فورا .

أوضح هذه العبارة : فنحن نعرف أن القنبلة الذرية هى جهاز تتحول فيه كتلة اليورانيوم إلى طاقة حرارية . . والعالم الفيزيائى «أينيشتين» له معادلة جميلة بسيطة مشهورة ، تقول : الطاقة النووية = الكتلة «اليورانيوم» × سرعة الضوء «سرعة الضوء ٣٥٠ ألف ميل فى الثانية» . .

وتخرج من الشمس عواصف مغناطيسية . . تذهب فى قوتها إلى أبعد من الشمس . . وهذه العواصف عبارة عن ما لا نهاية له من الذرات ، تتدفق فى كل الاتجاهات ، وتصل إلى الأرض أيضا فى الفضاء الشديد البرودة . ولا يصل إلى الأرض إلا القليل من كل شىء . . وهناك أجواء حول الأرض تعوق وتعرقل الفيضانات الشمسية : طاقة وجاذبية وحرارة ومواد ملتهبة قاتلة . .

ويؤكد لنا المرصد «سوهو» أن الشمس أمامها اربعة آلاف مليون سنة لكى تبرد . . فإذا بردت فسوف تقع فى جاذبية كواكب أخرى . . ربما كانت الأرض أقربها . . أى تلتحم بالأرض ولاتكون هناك لا أرض ولا شمس . ومن المعروف أن الشمس عمرها أربعة آلاف مليون سنة . . وأن الأرض أقل من ذلك بألف مليون سنة . .

والتسجيلات التى بعث بها المرصد «سوهو» للغليان والبراكين والزلازل فى داخل الشمس لاتوصف . . فهو خليط من الأجراس والعواء الطويل والصراخ . شىء رهيب ، مخيف . . وقد حاول العلماء أن يحتفظوا لهذا الصوت بقوته الحقيقية ، فكادت أجهزة التسجيل أن تتحطم . .

وقد سجل المرصد «سوهو» أن هناك مدا وجزرا على سطح الشمس . وهذا يحدث مرة واحدة كل ٢٠٠ سنة . . ومن شأن هذا

المد أن يؤدى إلى ارتباك الأجواء والمجالات المغناطيسية وتوازن الكواكب التسعة ، التى من بينها الأرض فى دورانها حول الشمس .

والشمس بشكلها وحرارتها وغليانها ، هى صورة مصغرة لما كان عليه الكون . فمن المعروف أن هذا الكون قد بدأ بانفجار عظيم من حوالى ١٤ ألف مليون سنة . والانفجار بدأ بأن ذرة تفجرت . وهذه الذرة كانت فى حجم حبة الشمس . . وهذه الحبة تزن ملايين ملايين ملايين . . ملايين الأطنان . والذى يدل على قوة الانفجار أن شظايا هذه الذرة هى كل النجوم والسدم والكواكب والمجرات تتحرك بعيدا وبسرعة هائلة . فإذا كان هذا حالها اليوم ، فكيف كانت من ١٤ ألف مليون سنة . . إن الشمس هى صورة تقريبية لما كانت عليه مادة الكون وانفجار الميلاد الأول لهذا الكون .

ونحن نريد أن نعرف بالتقريب ماذا جرى لهذا الكون . . وكيف تدفقت غازاته وذراته وناره وجليده ودخانه وعواصفه المغناطيسية . . كيف ترابطت وتشابكت . ثم تنافرت وتباعدت . . وكما يقول القرآن الكريم : ﴿ .... كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾ . . فالكون كله يسبح فى الفراغ ، وكل شىء فى الكون يدور حول نفسه فى فلك . . وحول نجوم أخرى فى فلك . . والنجوم فى فلك . . ففى المجموعة الشمسية كواكب كلها تدور حول الشمس فى مدارات ثابتة وحول نفسها أيضا . . وكل هذه المجموعة معا تدور حول نجم فى قلب المجرة ، التى نحن جزء منها . . والمجرة التى بها ألوف ملايين النجوم تدور حول نفسها وحول مركز فى مجرات أخرى . .

فالكل فى فلك يسبحون إلى ما شاء الله . .

ونحن لاندعى العلم بكل أسرار الكون وحكمة الله . . ولكن نريد أن نعرف الكثير ، والمثل يقول : العلم طويل والعمر قصير!

من العقل والقلب والأنف يغنون!



حين تسمع الصوت الجميل تقول : الله . . يعنى : سبحان الله الذى خلق هذا الصوت الجميل . . أو الله يعطيك العافية لكى تسعدنا أكثر . .

وأحيانا تقول بغضب : الله . . أى الله يأخذ الصوت وصاحب الصوت!

هناك أصوات تخرج من العقل . أى أصوات منضبطة . . على القاعدة . . فهى مادة لدراسة العلماء والباحثين . لأنها هندسية . واضحة الأرقام والزوايا والخطوط .

وهناك أصوات تخرج من القلب : حارة مندفعة الأسى والحزن والبهجة . . تشعر أن المطرب يعانى من لواعج الحب والبعد . . فهو حزين ينقل إليك بصوته وبسرعة كل ما فى أعماقه ، ويصل إلى أعماقك . .

وهناك أصوات تخرج من الحنجرة . فالمطرب يقوم بتسليك القصبة الهوائية . . ويكون لصوته مذاق التراب ووقع الحجارة لأن

الصوت محشور مخنوق . . وهذا يضايقك . لأنك تريد أن تنساب مع الصوت السهل المنطلق . ولكن الصوت يخذلك فيتوقف بك عند الحلق . .

وهناك أصوات تخرج من الأنف . . وتجد المطرب لكثرة الغناء قد طال أنفه . . ولكن الأنف أضيق من الحنجرة . . ولذلك فإن المطرب (أخنف) . . ويحاول أن يشغلك عن مصدر الصوت وحجمه بأن يقفز على المسرح أو ينشر ذراعيه . . ويستجدى الناس أن ينسوا مصدر هذا الصوت . .

وهناك أصوات تجىء مع الاستعراض الفنى . . فالمطرب يهتز . . إنه يحتمى فى الموسيقى . . ويجىء الصوت مع الموسيقى فلا يعرف أين هو الصوت ، وأين هى أنغامه الموسيقية؟ كل الموسيقى الحديثة راقصة . . فالذى يريد أن يسمع فقط لا يستطيع ، وإنما لكى يسمع لابد أن يقفز كالقرد . . أو «يتنطط» كالدببة . . فمن غير رقص لا غناء ، ومن غير غناء لا رقص . . وليس فى استطاعة أحد أن يقول : الله . . لأنه مشغول بتحريك رجليه ووسطه ورأسه . . وأنه فى حفلة «زار» إيقاعية . .

أما الذى يغنى بعقله محمد عبد الوهاب ولو كان يغنى من قلبه لقصر عمره وكثرت أمراضه . ولذلك عاش «عبد الوهاب» العمر الطويل واختار الأداء السليم العلمى الهندسى . . وكذلك «سيد درويش ، ومحمد فوزى ، وسيد مكاوى ، وفيروز ، وصباح ، ووديع الصافى ، ومحمد ثروت ، وشفيق جلال» ، والمطربة الفرنسية «ميرى ماتييه» . .

رأيت «محمد عبد الوهاب» يطلب من «وديع الصافى» أن

يغنى ، بينما كان يضع أذنه على بطن «وديع الصافى» ويقول : إيه ده . . بركان . . كيف يغنى أى إنسان بهذه القوة ، وبعد تناول وجبة كبيرة؟!

لأنه يغنى من فوق . . من دماغه . . من عقله!

أما الذى يغنى من قلبه وبقلبه وإلى قلوبنا ، فأم كلثوم ، وفريد الأطرش ، وعبد الحليم حافظ ، وفايزة أحمد ، والسنباطى ، وشادية ، ومحمد عبد المطلب ، وهانى شاكر ، وعمرو دياب ، ومحمد الحلو .

أما الذين يغنون من أنوفهم ومن سيقانهم فهم معظم المطربين الجدد . .

أما الذى يغنى من حنجرته ولا تطاوعه ولا يقدر على (تسليكها) ، فهو «على الحجار» . . والذى يغنى من أنفه حتى طال واستطال هو «إيهاب توفيق» . . واللاتى يغنين مش عارف منين هن المطربات الجديدات من مصر ، وسوريا ، ولبنان ، والأردن ، والمغرب . .

وعندنا مطربات لهن أعصاب مثل «سميرة سعيد» . ومطربات لهن عضلات ، مثل «وردة» الجزائرية ، و«ميادة الحناوى» . .

ومطربات ليس لهن جميعا علاقة بالطرب ، ولكن عندهن قدرة على دفع أجر الملحن المصرى . . وهو أجر كبير . ولذلك فهن يغنين فى التليفزيون ولهن ألبومات . . وسوف يمضين فى هذا الطريق مادامت عندهن فلوس . . وليس من حق أى أحد أن يسأل : من أين؟ وكيف؟ ولماذا؟

فليس هذا شأن أحد . إنهن قادرات على توفير المبالغ المطلوبة .

وقـادرات على فـرض أصـواتهن وصـورهن فى التليـفـزيون وفى الصـحف . فـهن لايغنين لا من العـقل ولا من القلب ولا من الأنف . . وإنما يغنين من جيوبهن . . بفلوسهن!

هل نسـتطيع أن نفـرض الغناء بالقـوة . ممكن بعض الوقت . وسوف يستمع الناس لكى يعرفوا . . وينتظرون أن تظهر موهبة من هذا الصوت . فإذا لم تظهر الموهبة انصرفوا عنها . . ولكن الموهبة ليست فى حاجة إلى فلوس ، لكى نعرضها على الناس . . ولكن الموهبة إذا عرفناها يجب أن تفتح لها الأبواب والنوافذ . . كما فعلنا لمطربة صغيرة وموهبة أيضاً هى «غادة رجب» . وهى ـ إن شاء الله ـ سوف تكون أجمل الأصوات العربية . . فهى صغيرة فى حاجة إلى تدريب . . ولكنها تلميذة تدرس وتتعب ، وهذا يرهق صوتها وصحتها . . ولكن خامة الصوت والأسلوب والأداء ، وحب الناس لها واستعدادهم لتشجيعها ، سوف يجعلها أمل المستقبل فى الغناء العربى!

حتى لا تسقط الأحجار على سكان الأرض!

٦٦ يسقط على الأرض ملايين من قطع الحجارة ، التى تهب علينا من الفضاء الخارجى . بعض هذه الحجارة عندما تدخل غلاف الأرض ، تتحول إلى ذرات من الرمل . هذه الذرات عليها معادن وفيها خلايا عضوية حية ، وفيها ميكروبات وجراثيم أيضا ، استطاعت أن تقاوم عشرات الألوف من درجات الحرارة فوق وتحت الصفر . . وبعض هذه الحجارة هى مخلفات الانفجارات الهائلة التى أدت إلى ظهور هذا الكون الذى خلقه الله منذ ١٤ ألف مليون سنة!

وآخر ما اهتدى إليه علماء الفلك من حقائق مروعة ، أنه ليس بعيدا أن نفاجأ بحجر فى حجم «القاهرة» استطاع أن يتخطى كل العقبات واتجه مباشرة إلى الأرض . فإذا حدث فسوف تحترق الغابات على الأرض ، وتموت النباتات والحيوانات ، وترتفع مياه البحار والأنهار . . ويموت الناس حرقاً أو غرقا ـ لا كل الناس ـ ولكن بضعة ملايين منهم!!

وقد حدث قبل ٦٥ مليون سنة ، أن سقط حجر كبير ، فقضى

على الديناصورات وحيوانات وحشرات ونباتات كثيرة . . وكان الديناصور يتجول فى الكرة الأرضية لمدة ستين مليون سنة .

وأحدث ما اهتدى إليه العلماء أن حجرا فى حجم القاهرة الكبرى ، اكتشفه الفلكيون سنة ١٨٠١م . هذا الحجر فى طريقه إلى كوكب الأرض . وسوف يصلها بعد مائة ألف سنة . وهذه حقيقة فلكية للعلم فقط . . أما الذى يجب أن تفكر فيه جديا ، فهو أن هناك أحجارا كثيرة وكبيرة ، ومن الممكن ولأسباب لانعرفها تتجه إلى الأرض وإلى أية مدينة . ومن الضرورى أن نواجه ذلك الخطر . ولا أحد يقدر على ذلك سوى أمريكا .

ولذلك أقامت أمريكا مشروعا اسمه مشروع «كلمنتين» ، لضرب هذه الأحجار خارج الأرض ، وتحطيمها وتحويلها إلى بودرة . هذا المشروع هو أن تطلق أمريكا صاروخا جبارا ، يحمل فى رأسه ثلاثة مراصد فلكية . وهذه المراصد مزودة بكاميرات وقرون استشعار ، وغرف صغيرة للتصوير والتحميض ، وإرسال الصور إلى محطات المتابعة الأرضية . . ثم تتلقى الأوامر بالقضاء على هذه الصخور ، التى رصدتها وحددت مكانها وسرعتها . . والاقتراب والتحرش بها . . ثم تحطيمها . .

وكان هذا المشروع ضمن استراتيجية أكبر هى «حرب النجوم» ، الذى كان موجها إلى روسيا . . فإذا أطلقت روسيا صاروخا فى اتجاه أمريكا ، فإن أقمار التجسس ترصده . . وتعطى إشارة البدء إلى صواريخ على الشاطئ الأمريكى ، أو فى القواعد الأوربية . . أو فى المنصة المدارية حول الأرض . . وفى لحظات تنطلق صواريخ عابرة للقارات ، لتحطيم الخطر الروسى ، بعيدا عن المدن الأوربية والأمريكية . . فوق المحيط أو فى الفضاء حول الأرض .

وقد أدى الخوف من «حرب النجوم» هذه، إلى نهاية الحرب الساخنة والحرب الباردة أيضا. وانتهى الفزع الأمريكى من روسيا، وإيران، وكوريا الشمالية.. أما الرعب الجديد فهو الذى يتولاه علماء الفلك، الذين رصدوا عدداً كبيرًا من الكتل الحجرية الهائلة، تدور حول الأرض وبين الكواكب.

وقد تتجه إلى الأرض قريبا أو بعد حين.. المهم أن الخطر موجود يدور حولنا. ومهمة المشروع الجديد، الذى تبقى من حرب النجوم، أن يرصد ويترصد وأن يحمى الأرض وسكانها من الصخور الضالة فى المجموعة الشمسية..

ومشروع أمريكى آخر هو أن تضع سفن الفضاء مرصدا فلكياً، فوق إحدى هذه الصخور، لتعرف حركتها بالضبط، وتقترب من أحجار أخرى، تبعد عنا ملايين الكيلومترات، بين الأرض والشمس، أو بين الأرض والكواكب الأخرى.

وهناك مشروعات أكبر طموحا، وهى أن نحصل على عينات، من تربة هذه الأحجار، قبل أن تدخل فى الغلاف الجوى للأرض.. أما الهدف فهو أن تلتقط بعض الخلايا الحية العجيبة، التى لاتموت مهما ارتفعت درجة الحرارة أو انخفضت.. أعجب من ذلك أن هذه الصخور عمرها ألوف ملايين السنين، وقد تعرضت لأشكال وألوان من الحرارة والبرودة والمجالات المغناطيسية الهائلة، ومع ذلك لم تستطع كل هذه العوامل أن تقضى على الحياة فى الخلايا.. كيف؟ لا أحد يعرف..

هناك نظرية تقول: إن كل شىء فى الكون حى، أو كل شىء فيه حياة. وكل ما فى الكون حياة ما لا نهاية له من أشكال الحياة.. أما الموت فهو يقضى على بعض الكائنات، ولكن الحياة تستمر فى كل شىء آخر.. كيف؟ الله وحده يعلم!

اللهم احفظنا من أنفسنا!

٦٧ نحن لانعرف كيف تنتقل صفات الأب والأم إلى الطفل . . أو صفات الأجداد إليه . . فيكون الأب أسمر والابن أزرق العينين مثل جده . . أشقر اللون مثل جدته . . لا يأكل اللحم ولايشرب اللبن مثل عمته التى لم يرها . . وتكون لصوته (بحة) مثل خاله الذى لم يره . كيف؟ لايوجد أى جواب عند أى إنسان فى أى مكان . وإنما كل الذى يقال هو : إن عوامل وراثية تنقل هذه الصفات على شكل أوامر إلى الجسم والأعصاب والوظائف فى المولود الجديد . يعنى إيه؟ يعنى توجد أوامر . هذه الأوامر ممن؟ لا أحد يستطيع أن يجيب عن ذلك . وكيف تنتقل هذه الأوامر؟ وكيف تنفذ بمنتهى الدقة؟ لا إجابة عند أى أحد . .

ولكن العلوم الحديثة تقول لنا : إن هناك خلايا حية فيها هذه الأوامر . . أو إن هذه الخلايا هى عقول صغيرة جبارة . وهذه العقول هى التى تحكم وتتحكم فى النمو الإنسانى . كيف؟

لا إجابة عند أى أحد . فالعلم قال لنا ذلك . ووصف لنا هذه الخلايا ووصف لنا شكلها . . بس!

وعلم «الهندسة الوراثية» هو العلم الذى رصد عوامل الوراثة وعرف مفرداتها . . وعرف أن هذه العناصر خاصة بالطول والعرض أو خاصة باللون أو خاصة بالصحة والمرض . . ثم إن العلم راح يتدخل ويغير ترتيب العناصر الوراثية . . تماما كما تغير وضع الحروف فى الكلمات . . أو وضع الكلمات فى الجمل فيختلف المعنى . فاستطاع علم «الهندسة الوراثية» أن يجعل الصغير من الأسماك أو من الطيور كبيرًا . ويجعل الريش الأسود أبيض والأبيض أسود . . وأن يرصد الأمراض قبل وقوعها . . ولذلك تدخل فى نمو النباتات والفواكه والحيوانات وجعل ألوانا وأحجاما جديدة لكل ما يريد من النبات والحيوان . . الثمار والبيض والريش والدهن واللحم . .

وقد لاحظ اليابانيون أن الذين يشتغلون فى تربية النحل وجمع العسل يتعرضون للسع النحل . ولذلك بحث اليابانيون ودرسوا . وانتجوا نحلا لايلسع . . كيف؟ لاحظ اليابانيون أن النحل فى إحدى مراحل نموه لو تعرض للأشعة فإن الإبرة المزدوجة التى يلسع بها تسقط بالأشعة . أو تنكسر أو لاتنمو . والنتيجة أن النحل لايلسع .

وأنا رأيت فى تايوان كيف جعلوا السمك النيلى أكبر حجما وطولا وعرضا من سمك نهر النيل المصرى . . وفى يوم جاء إلى مصر وزير الزراعة الإسرائيلى «إرييل شارون» . وأقمنا له عشاء فى حديقة الحيوان ، حيث كان يقيم وزير الزراعة المصرى . وكان الجو

صيفا والليلة قمرية . . فأطلقنا الحيوانات حولنا ونحن نتناول الطعام . . الفيلة والغزلان والزرافات . فكان الجو استوائيا . . وبعد أن تناولنا طعامنا وقف وزير الزراعة الإسرائيلى «شارون» يعرض البضاعة التى جاء يبيعها إلى مصر . . لقد أتى ببطيخ من أحجام مختلفة . . فى حجم البرتقالة وفى حجم حبة القلقاس . . وفى حجم الطفل الصغير . . وقال إن الفرد يستطيع أن يشترى الصغيرة والأسرة تشترى الكبيرة . وقال إنهم فى إسرائيل قد استخدموا الهندسة الوراثية فى زيادة سكريات الخضراوات كالبطيخ والشمام والفاكهة مثل التفاح والبرتقال . . وكان استعراضا مثيرا . .

وفى مصر الآن نقوم بزراعة الخلايا . . خلايا النباتات . . وذلك بعد اختيار أحسن السلالات النباتية ، ثم نزع بعض خلاياها وإعادة زرعها فى سوائل كيماوية ، ثم وضعها فى تربة . . حتى تصبح شجرة صغيرة ، اخترناها من أحسن السلالات النباتية ، ثم نقوم بتصديرها بعد ذلك بمئات الملايين إلى العالم الخارجى . .

ومن أحلام العلماء أن يغيروا بعد ذلك لون البشرة ولون العينين والشعر . . وبذلك يقضون على الفواصل اللونية بين الشعوب ـ وهذه هى بداية اللعبة الخطرة . . وكان الرومان يقتلون الأطفال الضعاف . . فالحياة للأقوياء فقط ، وكان النازيون يحاربون الشعوب الملونة : السوداء والصفراء . . من أجل أن يسود الجنس الآرى! فلاتزال هذه الرغبة المجنونة موجودة . وليس طرد الأجانب من الدول الأوربية إلا تعصبا للجنس الأبيض . . فإذا جاء العلماء وألغوا الفوارق بين الألوان وجعلوها بيضاء أو سوداء حسب الطلب ،

فهذه هى الجريمة العلمية التى سوف تقع فيها الدول . ولذلك يجب أن نتنبه إلى هذا الخطر العلمى الرهيب . . فيوم اخترع الإنسان القنابل الذرية خفنا من الموت . . ويوم اكتشف الإنسان اللعب بعوامل الوراثة ، فنحن فى رعب من الكائنات العجيبة ، التى يمكن أن يصنعها الإنسان بيديه ، ليقضى على نفسه وعلى حضارته بيديه أيضا! إن الذى حدث فى اليابان بعد قنبلة هيروشيما ، والذى حدث فى مدينة تشيرنوبل بعد انفجار مفاعلها النووى ، هو أوضح دليل على الذى تفعله الأشعة الذرية فى ترتيب العناصر الوراثية . . فقد ظهرت كائنات مرتبكة التكوين الجسمى والعقلى . . كائنات نباتية وحيوانية . . شىء أسوأ من ذلك ممكن أن يحدث بسبب العبث بعناصر الوراثة ـ فاللهم احفظنا من أنفسنا!

ولاننسى مارلين مونرو والهواء وفستانها!



كان عندى رد جاهز على الذين يقولون : إن التليفزيون هو الذى يعلم الأطفال الضرب والقتل . أى أن العنف يبدأ فى التليفزيون ، وينتهى بالقضاء على المتفرجين . .

وكان ردى هو : ما الذى شاهده «قابيل» من مسلسلات التليفزيون حتى قتل أخاه «هابيل»!

أى أن القتل ابن الغيرة . والغيرة هى التى ولدت الحسد من أخ على أخ! فالمحرض على القتل ليس التليفزيون ، وإنما هو الشر الكامن فى كل إنسان!

ولكن الدراسات الجادة فى بريطانيا وأمريكا أكدت أنه التليفزيون ، الذى يضع أمام الأطفال الصغار أسهل الطرق للسرقة والقتل . لأن النماذج التى يقدمها التليفزيون ألطف وأظرف . . وإنها نتيجة تعاون وتنفيذ بين المؤلف والمخرج . وقد سئل الأطفال الذين قتلوا أطفالا : كيف عرفتم هذه الطريقة فى القتل؟!

أجابوا : من التليفزيون!

أما الشيء الذى أدهش علماء النفس والمحققين ، أن الأطفال الذين قتلوا أطفالا ، لايعرفون معنى الموت . . لايعرفون أن طفلا عندما يصيبه الرصاص فى دماغه أو فى قلبه يموت . والدليل على ذلك أن أحد الأطفال ، بعد أن قتل زميله ، راح يحدثه أن ينهض ، ليعود الاثنان إلى البيت ، وأنه آسف لما حدث!

وقد سأل القاضى : هل تعرف معنى أن زميلك قد مات؟

قال : لا . .

ـ أنت عندما حاولت إيقاظ زميلك ، الذى سقط على الأرض ، هل كان يرد عليك؟

ـ لا .

ـ لماذا؟

ـ لأنه كان غضبانًا . .

ـ ما الذى أغضبه؟

ـ أننى أطلقت عليه الرصاص فجرحته فى دماغه . .

ـ مات؟

ـ لا أعرف . .

ـ الموت هو أن الإنسان لايدق قلبه . . ولايتكلم . . هل تفهم؟

ـ نعم .

ـ هل أنت ميت الآن؟

فكر الطفل قليلا ، وراح يتلمس جبهته ، فلم يجد عليها دما ، وقال : لا . .

كأنه يتصور أن نزيف الدم ، هو الذى يدل فقط على أنه ميت ـ إلى هذه الدرجة لم يفهم القاتل أنه قاتل ، وأن الضحية قد ماتت .

ولكنه فقط رأى التليفزيون ، وقلد التليفزيون وقتل زميله فى المدرسة!

أكثر من ذلك : إن أفلام الحرب العالمية الثانية ، وحرب فيتنام والبوسنة والهرسك ، تعرض فى وقت واحد . . تنشر الأخبار وترصد المعارك الحربية والدماء والموت الحقيقى . . وتجىء أفلام الحرب ، تعرض معارك دموية أقوى وأمتع ، وفيها أناس يموتون - يمثلون أنهم ماتوا . والمشاهد يرى التمثيل والحقيقة فى وقت واحد . . ولكن التمثيل أروع وأجمل ويقوم بدور القاتل والقتيل ممثلون مشهورون . .

والنتيجة : إن أحدا لم يعد يدرك الفرق بين الحقيقة والتمثيل . . بين القتل الحقيقى والقتل كده وكده . . أى أن التليفزيون ، قد هون القتل والدماء . . فلم تعد مثل هذه الأحداث البشعة تضايق الإنسان . . لقد أصبحت كلها تمثيلا فى تمثيل . . وبذلك لم تعد الحرب والعنف شيئا بشعا . وإنما هى شىء عادى يراه الناس ، وهم يأكلون السندوتشات . . إنها تسلية قبل النوم!

بل إن المشاهدين انتقلوا من مجرد التسلية واللامبالاة إلى الإعجاب العظيم بالممثلين . . أى بأبطال الحروب والقتلة والسفاحين . . فهم لاينظرون إلى الدماء فى أيديهم أو تحت أقدامهم ، وإنما إلى الأسلحة التى يستخدمونها ، والبراعة فى إسقاط الطائرات ، ونسف الدبابات ، وقتل وأسر أكبر عدد ممكن من الجنود!

والذين شاهدوا «مارلين مونرو» تغنى وتتدلع وتتمايص أمام الجنود الأمريكان فى حرب فيتنام ، نسوا هزيمة أمريكا ، ومقتل سبعين ألفا من شبابها ، وضعف هذا العدد من أبطال فيتنام

المدافعين عن أرضهم . . ولم يذكروا إلا جمال «مارلين مونرو» ، وإلا أن الهواء قد رفع فستانها ، فحاولت أن تمنع الهواء من تعرية ساقيها . . وكل شىء راح وانتهى ، وبقيت صورة الفستان ، ومارلين مونرو والهواء .

ولاتزال صورة «مارلين مونرو» هذه ، وصور أخرى لها وهى تهنئ الرئيس الأمريكى وعشيقها «جون كيندى» بيوم ميلاده . . فلما خرجت «مارلين مونرو» من بين الضيوف بجمالها ، ودلالها ، ودلعها ، وقالت للرئيس الأمريكى «كيندى» : كل سنة وأنت طيب يا سيادة الرئيس!

كان تصفيق الملايين فى كل مكان ، وضحكهم وهم يتغامزون ، لأنهم يعرفون الصلة بين الرئيس وملكة الإغراء . . ونسى الناس أنها خيانة زوجية على أعلى مستوى . .

أما الذى أنساهم فهو جمال «مارلين مونرو» . . وكذلك نسى الجنود المذبحة التى يشتركون فيها ، والهزيمة التى لم تعرف أمريكا هزيمة عسكرية لاقبلها ولابعدها .

وأفلام الحروب بما فيها من أناقة ، وفخامة ، وبراعة ، وإتقان ، ونجوم تجعل الناس ينسون أنهم أمام جريمة ومذبحة بشعة . ولكن (الحرفية) والحيل ، والخدع عمقت فى الناس قبول العنف والدم والقتل مادام جميلا أنيقا . . وهذا هو التأصيل للشر فى نفوس المشاهدين من الأطفال . . فالتليفزيون ينشر الجريمة ويشجع على العنف .

فليس الأطفال إلا شياطين تحت التمرين . . وهذا هو الخطر الملون الأنيق الفخم ، الذى نرحب به فى كل البيوت ، وننسى أنه هو الفاعل الحقيقى لجرائم الصغار والكبار!

تعلم : كيف تنام أعمق !



للقرن العشرين صفات كثيرة من بينها : أنه عصر الإنسان الصغير ـ أى الشعوب . . أو عصر الشيء الصغير أى الذرة . . أو عصر الفضاء أى السفر إلى الكواكب الأخرى . .

ولكن من المؤكد أنه عصر القلق والأرق . أو النوم قليلا . أو النوم بعنف واليقظة بعنف أيضا . . أى استخدام المنومات ثم استخدام المنبهات أيضا . وأننا مدمنون للاثنين معا . .

أحكى لك تجربتى . . فقد كنت أضع إلى جوار سريرى نوتة وقلما . . حتى لاتهرب منى أية فكرة . . واردة . . أو إشارة . . فأسجلها بسرعة . لا بأس . . ثم وجدت أقلاما تضىء فى الظلام ، عندما تضغط عليها ، أى من الممكن أن أسجل أفكارى دون إضاءة كل نور الغرفة . . ثم وجدت نوتة لها موسيقى . . مجرد الضغط عليها ، فإنها تطلق موسيقى ناعمة ، تدفعك إلى النوم وليس إلى اليقظة . أو إلى الكتابة فى هدوء موسيقى . وكان من نتيجة ذلك أننى لم أعرف النوم وأحسست أن السطور التالية فى هذه النوتة

تؤرقنى . . تدفعنى طول الوقت لأن أكون مثلها فى حالة انتظار لما سوف يجىء من أفكار . . فى حالة تربص لاقتناص أفكارى . . وأظل هكذا صيادا طول الليل وبدلا من أن أتصيد أفكارا وأحبسها . . فإننى أفتح صندوقا يهرب منه النوم وأتصيد الورق . . فأقع ضحية يومية له . . وأظل طوال اليوم أترنح من التعب . . وأحاول تنبيه نفسى بالقهوة والشاى ، حتى إذا جاء موعد النوم كان عزيز المنال!

وأبعدت القلم والورق من غرفتى ، ورحت أتدرب على النوم ، بمجرد وضع رأسى على المخدة لا أفكر فى أى شىء . . أركز كل قدرتى على أن أطرد أية فكرة . . أى خاطر . إيمانا منى بأن الأفكار لاتضيع . . قد تذهب بعيداً ولكنها تعود . لابد أن تعود بل إن الكثير من الأفكار ترتب نفسها ، وتستعد للظهور بمجرد أن أصحو من النوم . . فعقلى لم يكن نائما تماما . وإنما كان يعمل على طريقته . . ويحل مشاكل أثناء النوم . .

وقد اهتديت إلى كثير من الأفكار الجميلة ، وحلول للمشاكل أثناء النوم . . أى أنها كانت تحل نفسها وأنا نائم . . والأفكار التى ترد على ذهنى نهارا ولا أكتبها . لا تهاجر . . ولاتهرب . . وإنما تتوارى لتعود مرة أخرى . . فلا شىء فى العقل يضيع ، ولا شىء فى الذاكرة يختفى . وإنما كل شىء محفوظ هناك ومسجل وفى انتظار استدعائه . . تماما كالكمبيوتر الذى وضعنا فيه ملايين المعلومات . تظل هناك فى انتظار إشارة منك . .

وقد دربت نفسى طويلاً وكثيرًا على النوم بمجرد أن أدخل فى الفراش . . وأنا كالطفل : لا صوت ولا حركة . ولكن ـ مع الأسف ـ

أنام قليلا . أربع ساعات وفى حالات نادرة جداً خمس ساعات . وبس!

وإذا تعاطيت حبوبا منومة ، صحوت بعد ذلك بخمس دقائق . . دائخا! ولذلك حرَّمت على نفسى الحبوب المنومة مهما طال أرقى!

والناس يختلفون فى عدد ساعات نومهم وفى مدى عمقها . . وهل ينامون نهارا أيضا :

علماء النفس ينصحون بأن تنام نهارا ولو عشر دقائق . هذه الدقائق كافية جداً لأن تريحك . . أن تريح جسمك وعقلك أيضا .

ويرون أن عدد الساعات الكافية لأى إنسان هى سبع ساعات . .

وإن كان الأرق نفسه لايقتل . . فقد استطاع شاب أن يظل مفتوح العين ١١ يوما! ولكنه غير قادر على أن يقوم بأى عمل له قيمة . إذاً النوم ضرورى لكى تستريح ، فإذا استرحت أصبحت قادراً على أن تكمل حياتك . وقد أجرى العلماء تجاربهم على الفئران ، فماتت بعد ١٤ يوما من الأرق!

وانتشار وسائل الإزعاج فى : المواصلات ، والراديو ، والتليفزيون ، والجار الذى لايحترم هدوءك ، قد حذف ساعات النوم من عيون الناس جميعا . .

آخر كلام حاول أن تنام هادئا . فالأرق قاتل . والنوم يُنعش ويجدد حيويتك . . وعدد الساعات لايهم . ولكن عمق النوم هو الذى يهم كثيرا جدا!

كل شىء بالعقل!

٧٠ أنا أكثر من كتب عن المفكر الكبير «عباس العقاد» . . جاء كتابى الأول فى ٧٠٠ صفحة بعنوان «فى صالون العقاد ـ كانت لنا أيام» . . ثم عُدت إليه فى كتابى «أنتم الناس أيها الشعراء» . . ثم مرة ثالثة فى كتابى «عاشوا فى حياتى» . . ثم مرة رابعة فى كتابى «هؤلاء العظماء ولدوا معا» .

وأحب الناس «العقاد» وحكاياته ونوادره وطرائفه . . وأنا الذى عملت على أن يكون للعقاد شارع باسمه . . فكان أهم شارع فى مدينة نصر . .

واحتفلت وحدى بمرور مائة سنة على مولد «العقاد» سنة ١٩٨٩م . . وأقمت له حفلة على شكل سلسلة من الذكريات ، هى خلاصة ما حدث لى معه فى عشرين عاما ، حتى توفى سنة ١٩٦٤م .

ومنذ أيام احتفل «المجلس الأعلى للثقافة» فى مصر بمرور ١٠٧ سنوات على ميلاده . المهم أنه احتفال بذكراه . واحتشد عدد كبير

من الأدباء والمفكرين فى قاعة «مكتبة القاهرة الكبرى» أجمل وأروع مكتبات مصر والعالم العربى . .

وتبارى الأدباء فى شعر «العقاد» ، معه وعليه . . وفى فكر «العقاد» ما بقى وما لا يبقى . . والنموذج الذى وضعه «العقاد» لحياته الفكرية . كان رجلا جادا قاسيا على نفسه وعلى غيره .

كان «العقاد» يأكل طعاما مسلوقا . لأسباب صحية . ولكن يجىء فى أحد أيام الأسبوع ويأكل كل ما هو ممنوع . . لأنه يريد أن يختبر معدته وأمعاءه ، ومدى قدرتها على تحمل ما ليس صحياً!

وكان يفعل نفس الشىء أيضا فى الفكر . . فبعد أن كتب العقاد سلسلة العبقريات . . عبقرية محمد ، وعبقرية عمر ، وعبقرية الصديق ، كتب عبقرية المسيح . . وهو موضوع صعب وفيه قضايا شديدة التعقيد . .

وبعد ذلك قرر العقاد أن يختبر قدراته العقلية ، فألف كتابا عنوانه «الله» . . وهو قمة القضايا وأصعبها ، وما أكثر ما قاله الغرب والشرق . . المؤمنون والملحدون . . القدامى والمحدثون . .

ولكن «العقاد» جرب قدرته العقلية ، فى كتاب عن «إبليس» . . وبذلك لم يترك «العقاد» قضية فى الفلسفة ، أو فى الدين لم يتناولها . . مجربا كل قدراته العقلية ووجدانه أيضا . .

وبقدر ما كان «العقاد» عملاقاً فى الفكر ، كان ساذجا فى مشاكله العاطفية . . ويكفى أن أضرب مثالا واحدا . فقد نظم «العقاد» قصيدة جميلة جداً ، عندما أهدته إحدى الجميلات «بلوفر» . . فما الذى قاله «العقاد»؟! وصف أنه بين أصبعى المحبوبة . . وأنها فى كل شكة إبرة ، وكل عقدة خيط تفكر فيه . .

وبعملية حسابية أى بعدد العقد فى هذا «البلوفر» فإنها تفكر فى الأستاذ العاشق .

والذى لم يره ولم يعرفه «العقاد» ، هو أن المرأة تستطيع أن تصنع له «البول أوفر» وهى تتفرج على التليفزيون ، وتتكلم فى التليفون وتقزقز اللب . كل ذلك فى وقت واحد ، فمتى تفكر فيه . . إن صناعة البلوفرات عند النساء عمل ميكانيكى ، ليس فيه أى نوع من التفكير . . لا فيه ولا فى غيره!

وكان «العقاد» رجلا شجاعا فى الحق . ففى أيام «عبد الناصر» ، كان يقول : إن الإنسان لن يحاسبه الله على ما اقترف فى هذه الدنيا ، يكفيه عذابا أن عاش فى زمن «جمال عبد الناصر» .

وكان فى بعض الأحيان ، ينحنى على أيدى ضيوفه وكانوا يسألونه : ما هذا الذى تفعله يا أستاذ .

وكان يرد : لاشىء . . إن ضباط الثورة المصرية ، قد جمعوا الكبرياء والكرامة من عند الناس وألقوا بها فى الزبالة . . فلا كرامة لأحد . . لم يتركوا لى كرامة فاتركونى أفعل ما يمليه عقل رجل أهين فى كبريائه!!

وأغلق «عبد الناصر» صالون العقاد ، الذى يعقده كل يوم جمعة ثلاثين عاما!

وكان «العقاد» منطقيا . كل شىء يفعله بالعقل . ويتصور أن الناس جميعا كذلك . ومن ضمن المشاكل التى حيرته وحيرتنا معه أيضا . أنه كان يشكو من موقف صحف «أخبار اليوم» قال لى : شىء عجيب . . إذا كتبت مقالا جادا نشروا لى صورتى بالبيجاما . . وإذا نشرت مقالا هزليا نشروا لى صورتى بالبدلة والطربوش!

وحاولت أن أقنع «العقاد» بأن سكرتير التحرير ، أو عمال المطبعة لايقرءون مقاله . . ولا يفكرون فى الصورة المناسبة . . إنه يبحث عن صورة على قدر المساحة التى حددها . . وقد تكون صورة صغيرة وقد تكون كبيرة . ولم يقتنع «العقاد» . واعتقد أنهم الشيوعيون يريدون أن يسخروا منه . ومات «العقاد» وظل هذا رأيه!

وفى يوم اتصل بى الأستاذ «العقاد» فى ساعة مبكرة فى حالة غضب شديد . وقال كلاما لم أفهمه . . قال : لماذا يتعجبون . . كيف يتعجبون ، وهل كثير على رجل قرأ خمسين ألف كتاب فى خمسين عاما أن يتقاضى مبلغ ٢٠٠ جنيه؟! . . إن مطربة مثل «نجاة الصغيرة» تتقاضى أضعاف ما يتقاضاه «العقاد»!

ولم أفهم إيه الحكاية . . وأخيرا عرفت أن خبرا قد نشر عن مكافأة العقاد من التليفزيون سنة ١٩٦٣ ، كانت حوالى ٢٠٠ جنيه . . وجاء فى نهاية الخبر : علامة تعجب!

ولم يفهم «العقاد» معنى علامة التعجب . . ولم أفلح فى إقناعه ، بأننا نسرف فى استخدام هذه العلامات ، دون أن تكون هناك أسباب لذلك . . إنها عادة لا لزوم لها . لم يقتنع «العقاد» ، لأنه يرى أن كل شىء له معنى . . وله سبب ـ ولكن ليس كذلك عند كل الناس . .

وتعلمنا من أستاذنا «العقاد» أكبر المفكرين العرب ، أن الله خلق كل شىء لسبب ولحكمة . . وأننا يجب أن نتعلم!

ملحوظة : علامة التعجب فى نهاية الجملة السابقة ليس لها معنى . ولكنها عادة سيئة يا أستاذ . آسف .

٥٠ شمعة من غير مارلين مونرو!

٧١ عندما سأل الرئيس كيندى شابا صغيراً أشقر : ماذا تريد عندما تكبر؟ قال : أن أكون رئيساً لأمريكا!

وفعلا صار الشاب الصغير بيل كلينتون رئيسا لأمريكا ، وكيندى هو مثله الأعلى ، ولايزال يمشى فى نفس الطريق : النساء والسياسة والاتجاه إلى الفضاء . فإذا كان كيندى قد أعلن أن الأمريكان سوف يصلون إلى القمر ، وقد حدث . فقد أعلن كلينتون أن الأمريكان سوف يكتشفون وجود حياة على الكواكب الأخرى . وقد حدث وسوف يذهبون إلى أبعد من ذلك! ولكن ما حدث فى يوم ميلاد كيندى عندما وقفت مارلين مونرو بجمالها ودلالها وفستانها الشفاف وصوتها المثير وقالت : يوم ميلاد سعيد يا سيادة الرئيس!

وتكهربت الملايين التى تحب مارلين مونرو وتعرف علاقتها بالرئيس . . وأنت لاتعرف كيف نطقت بهذه الحروف . فكل حرف

نطقته ليس ككل الحروف . . وليس كما تنطقه أية سيدة . . إنها مارلين مونرو!

إننى لم أسمعها وهى تقول ذلك للرئيس ، ولكن سمعتها وهى تقول لى أنا بعد أن انتظرتها ثلاث ساعات لكى أتحدث إليها . . وقال مدير أعمالها إنها مشغولة جداً . . وإنها سوف تجىء لمقابلتى بعد الحمام والتدليك والمكالمات والدلع ذهابا وإيابا . . وجاءت مارلين مونرو . . يا سبحان الله . . ما هذا الجمال وهذه الروعة . . وقالت لى من بعيد (عشرين مترًا) :

هالو . . إزيك يا أنت!

ولا تسألنى عن عدد الشظايا التى تحولت أنا إليها . . كيف تحولت المادة فى جسمى إلى إشعاع فى الهواء . . كيف خرجت حروف هالو . . وحروف إزيك . . وخاصة الحرف الأول والثانى . . وحروف يا أنت؟! يا خرابى على حرف التاء كيف قالته وكيف أطبقت شفتيها عليه .

ولكن الرئيس كلينتون لايستطيع أن يجعل يوم ميلاده الخمسين يوم (١٩ أغسطس) كما جعله كيندى . . إنه حشر عدداً من الممثلين والعازفين الذين تعجبهم موسيقاه . . . وكذلك عدد المطربين الذين استمع إليهم فى الستينيات عندما كان طالباً يدرس فى بريطانيا . . صحيح أن جميلة جميلات أمريكا تلفت الأنظار وتلوى الأعناق . . ولكن أين جميلة جميلات أمريكا وكل جميلات الدنيا من مارلين مونرو . . وحتى لو ظل الرئيس الأمريكى يعزف على الآلة الموسيقية الغريبة التى ينفخ فيها . . فإن مارلين مونرو قادرة على اكتساح أى شىء وأى أحد .

إن كلينتـون قـد ولد فى نفس البـرج الذى ولد فـيـه نابليـون وكـاسـترو ومـصطفى كـامل وكـاتب هذه السطور . . نابليـون يوم ١٦ وكاسترو يوم ١٧ ومصطفى كامل وكاتب هذه السطور يوم ١٨ .

ولو عاشت أم بيل كلينتون لأدركت الفرق الهائل من احتفالها هى به واحتفال ٢٥٠ مليون أمريكى . . فأم كلينتون كانت ممرضة غلبانة تضع الأحمر والأبيض وتنام حتى إذا استدعاها المستشفى عند منتصف الليل فإنها تقفز من السرير دون أن تقف أمام المرآة .

وقد كتبت فى مذكراتها أنها لاتنسى موقف ابنها من زوجها . . فعندما كان زوجها السكير يضربها كان ابنها يقف حائلا بين زوج الأم والأم . . لأن بيل كلينتون ولد بعد وفاة أبيه بستة شهور . . واتخذ اسم زوج أمه ، وليس والده .

وتقول الأم فى مذكراتها : وفى يوم جاءنى مع بنت فقيرة مكلبظة ولها منظار غليظ وشعرها منكوش ولها بنطلون جينز وقلت له : إيه العفريتة دى . قال : هى التى سوف أتزوجها .

وتزوج هيلارى التى لم تنس لأم كلينتون أنها لاتطيقها . فلم تدعها إلى البيت الأبيض يوم تتويج زوجها رئيسا لأمريكا . . ولو كانت أم كلينتون لاتزال حية ، لأعتذرت هيلارى عن دعوتها لأنها مخمورة دائما ، وإذا سكرت راحت تحكى للناس عن منظرها يوم جاءت إليها لأول مرة!

هل لك رأى آخر؟!



لو قلت أنت : أنا لا أعرف ما الذى تريده المرأة بالضبط؟ فسوف يكون الرد عليك أنك لاتعرف وأنك بلا تجربة ، ولو قلت أنا : بعد كل هذا الذى عرفت وقرأت وجربت فلم أعرف ما الذى تريده المرأة بالضبط ، لقال كثيرون إننى لا أزال عدواً للمرأة!

ولو قال الأستاذ العقاد :

خنها ولاتخلص لها أبداً

تخلص إلى أغلى غواليها .

لكان التعليق : إن العقاد هو الآخر كاره للمرأة محتقر لها . . لأنه عرف نوعية رديئة من النساء ، أو لأنه عرف الكثيرات وكانت النتيجة واحدة وهى أن الرجل يجب ألا يخلص للمرأة . فإذا أخلصت لها هربت منك ، وإذا خنتها جرت وراءك .

ولكن إذا بعث رجل عالم جليل مثل عالم النفس فرويد خطاباً

إلى ماريا أخت نابليون يقول لها : بعد ثلاثين عاما من الدراسة والبحث والتأمل والتجارب وسؤال ألف امرأة وامرأة أصارحك بأننى لا أعرف بالضبط ما الذى تريده المرأة؟

وعندما سئل الأديب الروسى تولستوى عن رأيه في المرأة - زوجته مثلا - التى هرب منها وهو على فراش الموت بعيداً عنها ، فلا تكون آخر وجه يراه قال : لن أقول رأيى فى المرأة إلا بعد أن أتأكد أنهم أقفلوا باب قبرى بإحكام شديد!

والمشكلة مع المرأة أنك حين تتوقع الإنسان يظهر لك الوحش ، وحين تنتظر الوحش «تفاجأ بالطفل» وحين تداعب الطفل تطالعك الأنثي . . وفى جميع الأحوال أنت لاتعرف أيها المرأة؟ ومتى تكون وحشاً أو إنساناً؟ إنها كل ذلك أو أسوأ!

وأستاذنا العظيم سقراط كان يعود إلى البيت مهدود العقل فقد ظل طول الوقت يناقش مبادئ الفلسفة والأخلاق والكون مع تلامذته عارى الصدر حافيا ، فإذا عاد إلى البيت طالعته زوجته قائلة : هل أتيت بالشبشب الذى تركته عند الجزمجى من ستة شهور؟

فلا يرد : فقد نسى ذلك تماماً . وتنتهز هذه الفرصة وتأتى بطشت ماء قذر وتلقى به على رأسه . ويضحك الفيلسوف العظيم ويقول : إن زوجتى كالسماء تبرق وترعد ثم تمطر!

ولكن الذى قاله سقراط عن المرأة بعد ذلك هو أسوأ وأعنف نقد وجهه فيلسوف إلى المرأة وظل يسيطر على أفكار الرجال أكثر من ألف سنة . . لقد رد لها الطشت القذر ملايين المرات!

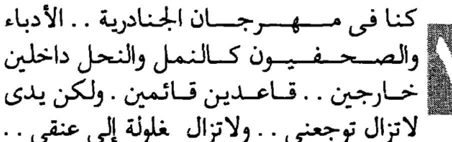
وأستاذنا العظيم الفيلسوف الألمانى شوبنهور كان يكره أمه . فقد كانت تحتقره ، وترى أنه تافه ، وأنها هى الأديبة والفيلسوفة والشخصية ، وكان ابنها الفيلسوف الصغير يقول لها وهى تلقى به على السلالم : سوف تعيشين وتموتين ولن يعرفك الناس إلا بأنك أم الفيلسوف شوبنهور!

وهذا ما حدث ، ولكن الفيلسوف لم يكتف بهذه الإهانة لها ، وإنما كتب فى المرأة ما لم يقله أحد من قبل . . فهى أسوأ مخلوقات الله . . وهى لم تكن أنثى الإنسان . . وإنما أنثى الإنسان قد انقرضت وماتت . . وقفزت أنثى حيوان آخر لتفوز بنفس الدور ، فلا وجه للشبه بينها وبين الرجل . . لأنهما حيوانان مختلفان تماماً . . وكل محاولة من جانب المرأة لتقول إنها النصف الآخر هو تزوير فى وقائع التاريخ . . ومحاولة من اللص أن يؤكد لنا أن الفلوس التى سرقها هى فلوسه مادامت قد أصبحت فى جيبه!

. . إلا إذا كان لك رأى آخر!

الموت لك ياليلى !





كنا فى مـــهـــرجـــان الجنادرية . . الأدباء والصـــحـــفـــيـــون كـــالنمل والنحل داخلين خـــارجين . . قـــاعـــدين قـــائمين . ولكن يدى لاتزال توجعنى . . ولاتزال غلولة إلى عنقى . . وأصافح الناس باليد اليسرى . وأتلقى دعواتهم الكريمة بالشفاء .

ويسألوننى : خير إن شاء الله .

وأقول : أبداً . . كنت أطارد بنات أفكارى فوقعت .

ويضحكون وأضحك . . وأنتقل من موعد مع صحفى سعودى وصحفية عربية . . ومن كاميرا إلى تليفون ، وأحاول أن أقول كلاما مختلفاً فى الإجابة عن السؤال : ما الفرق بين الجنادرية هذا العام والجنادرية فى العام الماضى؟

هناك فرق . وكل سنة يضيفون جديداً ، من الوجوه والأسماء والأعلام ، وفى هذا العام جاء ولى عهد بريطانيا وجاء ابن الرئيس القذافى . . وولى عهد بريطانيا يتحدث عن العمارة الإسلامية .

وجاءنى طبيب صديق يعمل فى مستشفى فقيه ، وهو رجل لطيف ظريف ، ولكنه شـديد القلق . . عنده مـواعـيـد . . أو أنه لايطيق منظر

الأدباء والشعراء . . أو أنه اعتاد على الهواء الهادئ المعقم . . فوجد نفسه فى دخان سجائر وقهوة وشاى وهيصة . . فكان يقول : أتركك الآن .

فأقول له : اقعد انتظر حتى أفرغ من هذه المقابلة ، أقعد يا أخى!

وكان يقعد ليقف . ويقف ليقعد ويتلفت يميناً وشمالاً . . كأنه نسر حبيس يريد أن يطير محطماً الزجاج ومخربشا كل الناس .

ولم أجد إلا حيلة واحدة . فناديت صديقى الشاعر (. . .) وقلت له : أريد أن أقدم لك موهبة شعرية فريدة هى حديث مصر كلها . . إنه الجالس هناك .

وأشرت إلى الطبيب .

وسألنى الشاعر : ماذا نظم؟ فقلت له : أعجوبة العصر والأوان ولؤلؤة الزمان . . فقد نظم ديوانا من الشعر الرومانسى مرة بالفصحى ومرة بالعامية . . ففى الفصحى أبكانا . . ولكنه بالعامية أضحكنا .

ـ يا سلام . . كيف؟

ـ أقول لك . . الديوان بالفصحى اسمه : الموت لك يا ليلى . . وبالعامية ربنا ياخدك يا ليلى!

ولقد تأثر بالشاعر السعودى الرقيق الأمير عبد الرحمن بن مساعد . . وفى العامية تأثر ببيرم التونسى .

وظهر الذهول على وجه الشاعر (. . .) ورأيته يتجه ناحية الطبيب عندما اختفيت فى الأسانسير صاعداً إلى غرفتى .

ولما نزلت لم أجد لا الطبيب ولا الشاعر . ولكن الطبيب حدثنى بالتليفون قائلا : اسكت مش جاء لى واحد مجنون يكلمنى عن واحدة اسمها ليلى . . لم أفهم منه أى شىء . . هل كل الأدباء مجانين بهذا الشكل .

فقلت له : نعم . . جميعاً!

مرحباً أيها الحزن!

٧٤ الأطباء ينصحون المرضى بالروماتيزم أن يدفنوا أنفسهم فى الرمل أو فى الطين . . وبذلك يضيع الروماتيزم . . ويحل محله العرق والحرارة . . والإنسان عندما يشكو من برودة عواطفه ، وبلادة تفكيره ، فإنه يبحث عن الأحزان والذكريات السوداء ويدفن نفسه فيها وحينئذ يتحرك قلبه ، ويصفق ، كأنه زبون فى مقهى له جرسون أطرش . . وحينئذ ترتفع حرارته وتنزل دموعه .

وأنا أحسست بالملل والقرف ، وبأن الدنيا ضيقة ، وأننى محشور فيها ، وأن الهواء قد انسحب منها ، وأن فمى قد التصقت أرضيته بسقفه ، وأن لسانى معقوص ، تماماً كلسان الجزمة بين الجزمة والقدم ، وأن رأسى كبطيخة مليئة بالماء ، ومليئة باللب . . وبهذه الإحساسات العدائية لنفسى ، اتجهت إلى مدينة فيينا ، وتذكرت عندما كنت فى مارس الماضى أجلس فى مطعم المحطة الجميلة . . جلست إلى إحدى المناضد ، وعلى الرغم من أننى ضربتها

برجلى ، فإنها لم تتحرك ، كأنها إنسان متهوس ، لايحيد عن مبدئه . . وتقدم منى الجرسون وقال : تحت أمرك . .

فقلت : أى شىء بارد .

وظننت أننى فى مصر . . ولكن الجرسون طلب منى أن أحدد الشىء البارد الذى أريده فقلت : جيلاتى بسرعة!

لابد أن الجرسون قد دهش لهذا الزبون الذى لايقرر شيئا أول الأمر ، ثم بعد ذلك يختار شيئا محدداً وبسرعة .

ولكن الحقيقة التى لايعرفها الجرسون هى أننى كنت أفكر . . وكانت أفكارى متضاربة ، بل يمسك بعضها بخناق البعض فأنا أقول يجب ألا أنتظرها . . لابد أن كلام الأمس قد أغضبها . . لقد كنت قاسياً معها وعليها . . ولكن بأى حق أقسو عليها ، لست أباها ولا أخاها ولا خطيبها ولا حبيبها . . ولا جارها ولا حتى معرفة قديمة . . لا أفهم لماذا يفرض الرجال أنفسهم على النساء . . لماذا يتوهم الرجل أنه أحد الغزاة ، وأن المرأة هى إحدى المستعمرات وأنه عندما يقترب منها ، ينزل قواته إلى البر ، ويرفع العلم ويعين حاكماً عليها ، ثم يبدأ فى جمع الضرائب منها . ولهذا أعتقد أنها لن تحضر . . وعلى ذلك لا أريد أن أشرب أى شىء محدد . . . وإنما يكفينى أى شىء بارد يطفئ النار التى فى قلبى . . أو فى معدتى . . هناك نار والسلام .

وأقول لابد أنها ستحضر لأن كلامها يقول هذا . . كلامها أحيانا يطردنى ، ولكن روحها تشدنى وتقعدنى ، بل وتدق المسامير فى رجلى وفى يدى . . ولا أكاد أفكر فيها حتى أرى المسامير تطير

من يدى ورجلى . . كأنها قوة مغناطيسية هائلة . . وأحس أن بينى وبينها حبلاً متيناً . . وهذا الحبل أتعلق منه . . أحياناً أتعلق من وسطى ، وأحياناً أراه يرتفع إلى عنقى . . فأنا طفل مربوط من وسطه . . وأمه تشده حتى لايبتعد عنها ، وأحيانا أنا مذنب ومجرم ، وأننى يجب أن ألقى جزائى شنقاً . . سأبقى ، هذا قرار محدد . . ولذلك طلبت من الجرسون جيلاتى وبسرعة . . وهذا قرار محدد .

وجاء الجيلاتى الأبيض الجميل ، ومعه فتاتى فى لون الجيلاتى ، فى حرارة لهفتى وانتظارى ، بادرتها قائلا : كنت سأغادر المقهى حالاً .

قالت أو قالوا : فقد كانت تتكلم بوجهها وعينيها وشعرها ، قالت فى دهشة واستنكار : ولكن لماذا؟!

لم أفهم . .

فقلت متراجعا منسحباً وأمامى رمال وورائى رمال وفى فمى ظمأ كأننى رومل فى صحراء ليبيا : أبداً وإنما أردت أن أستقبلك فى منتصف الطريق .

فضحكت كأنها سمعت رواية فكاهية من أربعة فصول وتبخرت متاعبى . وقرفى ومللى وأحسست أن همومى قد صارت لها أجنحة ، والأجنحة ركبت فى حمام السلام ، وفى منقار كل حمامة غصن زيتون وكلها تطير فى الهواء .

وقالت كلاماً لا أعتقد أن له قيمة علمية أو أدبية أو سياسية

أو فلسفية . . ولكنه كلام لايعرفه الفلاسفة ولا العلماء . . كلام جميل خفيف لطيف .

وامتدت يدى إلى يدها . . ولا أعتقد أننى أحسست بهذه الحركة . . وإنما يدى هى التى تحركت ، كأنها طائر وديع تحرك إلى طائر آخر . . وانشغلنا نحن عن هذين الطائرين وظللنا نفكر . . وتذكرت فجأة عندما كنت تلميذاً فى مدرسة المنصورة الثانوية . . وكنت عائداً إلى البيت فى المساء . . واستوقفتنى تلميذة بيضاء وفستانها أبيض . . وكلامها أبيض وسألتنى : الساعة كام من فضلك؟

فقلت الثامنة . . وبعد لحظة عادت تسألنى : أنت قلت الساعة كام . والله؟ فقلت فى دهشة : الثامنة . . فعادت تقول : طيب وزعلان ليه؟ قلت غاضباً : وأنت مالك؟ قالت : أنا مالى إزاى . . وامتدت يدى وطارت فى الهواء واستقرت على وجهها . . وعرفت بعد ذلك بسنوات أنها كانت تغازلنى . . ويوم عرفت ذلك تمنيت أن أضع يدى تحت قدمى وأدوسها وأرميها فى إحدى الخرائب . . وسألت مارلين : الساعة كام من فضلك؟!

فلم تنظر إلى الساعة وقالت : وأنت مالك من فضلك!

الحمد لله : (علقة) صغيرة كل يوم!



لم نكن فى مصر قد عرفنا الراديو الترانزيستور . فلما ذهبت إلى طوكيو سنة ١٩٥٩ وجدتهم يبيعون الراديو ، كما نبيع نحن الخيار والطماطم فى (المشنة) على الناصية . وكان هذا الراديو صغيرا وألوانه مختلفة . . وكانت النساء يبعن الراديو ويعرضنه على المارة . . واشتريت ثلاثة . وعندما عدت إلى القاهرة اهتزت المؤسسات الصحفية والحفلات لهذا الذى اشتريته من اليابان . وانتشر فى الدنيا كلها . . وكان الناس يحملونه إلى السينما . . يضعونه على آذانهم . . ويتفرجون على الفيلم فى نفس الوقت . . وكان الناس يتضايقون . ولكن أحدا لا يذهب إلى أبعد من ذلك . . فلا أحد قد حطمه تحت رجليه . . أو ألقى به إلى الشارع .

وأول دولة فى العالم حرمت استخدام الراديو فى الحدائق العامة هى فرنسا . فمن حق أى إنسان أن يتكلم ، ومن حقه أن يسكت . من حقك أن تسمع موسيقى من أى مصدر ، ومن حقى أيضاً

ألا أسمع . . فكما أن هناك حرية الكلام ، فهناك أيضا حرية الصمت . وحرمته فرنسا فى جميع وسائل المواصلات . . تماما ، كما نحرم التدخين فى المصاعد ، وفى الأتوبيسات والقطارات والطائرات . فمن حقك أن تشم هواء مسموما ، ومن حقى أن أشم هواء نقيا!

والحل الوسط أن تكون أماكن مخصصة لشمامى الهواء المسموم ، وأماكن للذين لايريدون ذلك! وهناك شعوب عندها وعى صحى . . أو جنون الصحة والمرض . وفى مقدمتها أمريكا . فكل شىء يحسبونه . . كم سعرا حراريا ، كم جراما دهنيا . . فلابد من العقاقير ولابد من المشى والجرى . كل ذلك من أجل الصحة!

وكلمة السر فى الدنيا الآن هى : البيئة . . حماية البيئة . . من التلوث الغازى والهوائى والمائى والصوتى واللونى . . فقد أفسدنا البيئة إفسادا تاما .

الهواء مسموم برصاص عادم السيارات . وماء الآبار مسموم بالمخلفات الإنسانية والحيوانية والصرف الصحى والمبيدات الحشرية والمخصبات الكيماوية ونفايات المصانع . . والضوضاء تسبب الصداع وتسوس الأسنان والضغط وتحرق الأعصاب وتصيب بالقرحة ومرض السكر . . ولابد من حماية الناس من الناس بقوة القانون . وفى جميع قوانين الدنيا مواد لحماية الناس من عدوان الناس . وعلى الرغم من ذلك فليست كل الدنيا تحترم القانون وتحرص على راحة الآخرين . ومنذ أيام نشرت الصحف الألمانية أن شكاوى الناس من إزعاج الناس بلغت ستة ملايين شكوى . هذه

الشكاوى عبء على المحاكم والقضاء وأجهزة الأمن . . ومكلفة ماديا . وتكون هذه الشكاوى من الجيران الذين يزعجون جيرانهم بالكلام بصوت مرتفع أو بالموسيقى أو بكاء الأطفال أو نباح الكلاب . . ومن ضمن الشكاوى أن عمارة تقدمت بشكوى جماعية ضد أسرة عربية لأنها تطهو طعاما له رائحة فظيعة قادرة على إعدام روائح الزهور فى الحديقة ، وعطور السيدات . ووقعت الأسرة العربية على تعهد بألا تطهو هذا الطعام أبدا . . أما هذا الطعام فهو الطعمية التى توضع فى الزيت المغلى ، ويكون لها الصوت المعروف والرائحة النفاذة التى تتعلق بالملابس وبالجدران أياما! ومن ضمن الشكاوى التى تندرج تحت إفساد البيئة : أن جارا اشتكى جاره لأنه زرع نوعا من الزهور الضخمة التى تخل بالهدوء وجمال المكان . ومن العجيب أن المحكمة أخذت برأى هذا الشاكى وأصدرت حكمها باقتلاع هذه الزهور البريئة .

وشكوى أخرى ضد عروسين لايتوقفان عن العناق والقبلات فى البلكونة . . وسبب الشكوى أن العروسين يفعلان ذلك دون مراعاة لشعور فتيات مراهقات فى الشقة المجاورة . ولم تأخذ المحكمة بهذه الشكوى ، فمن حق العروسين أن يفعلا ذلك مادامـا لايخدشان حياء أحد . . أما الفتيات المراهقات ففى استطاعتهن ألا يتفرجن على ذلك!

ولم تفعل ألمانيا شيئا لتخفيف أعباء المحاكم والنيابة والبوليس . ولكن بريطانيا فعلت . فقد شكلت قوات المتطوعين من المواطنين . بتنبيه الناس المزعجين دون حاجة إلى المحاكم . فيذهب هؤلاء

المتطوعون ويطلبون بالذوق إزالة أسباب الشكوى . وقد نجحت هذه التجربة فى بريطانيا .

تفتكر هل تنجح هذه الطريقة فى مصر؟

أنا أقول لك : فى شارعنا خادمة تمسك سجادة قديمة وتظل تضربها بالعصا التى ترن وتدوى فى الساعات الأولى من الصباح . ولاتزال تفعل ذلك من سنوات . ولو نظرت إلى الخادمة فإنك تجدها صغيرة وإلى السجادة تجدها قد انعدمت ألوانها . . لا أصحاب السجادة يختشون على دمهم . . ولا الناس يشكون أو يمنعونها بالقوة أو يشترون سجادة جديدة وعصا من الجلد حتى لايكون لوقعها على السجادة أى دوى .

وأكثر السكان من علية القوم ، وكلنا فى ضيق شديد . . ولم نفلح فى إقناع أصحاب السجادة والخادمة . ولا ذهب أحدنا إلى البوليس . . ونحن جميعا نقبل أيدينا وجها لظهر فليس فى شارعنا ورشة ولامطعم ولا مدرسة . . والشوارع المجاورة تحسدنا على هذه النعمة . . إيه يعنى خادمة وسجادة وعلقة صوتية عشر دقائق كل يوم!

مؤلفات الكاتب الكبير

الأستاذ

أنيس منصور

(أ) ترجمة ذاتية:

١ - فى صالون العقاد.. كانت لنا أيام.
٢ - عاشوا فى حياتى.
٣ - إلا قليلاً.
٤ - طلع البدر علينا.
٥ - البقية فى حياتى.
٦ - نحن أولاد الغجر.
٧ - من نفسى.
٨ - حتى أنت يا أنا.
٩ - اضواء وضوضاء.
١٠- كل شيء نسبى.
١١- لأول مرة.
١٢- شارع التنهدات.

(ب) دراسات سياسية:

١٣- الحائط والدموع.
١٤- وجع فى قلب إسرائيل.
١٥- الصابرا (الجيل الجديد فى إسرائيل).
١٦- عبد الناصر - المفترَى عليه والمفترِى علينا.
١٧- فى السياسة (٣ أجزاء).
١٨- الدين والديناميت.
١٩- لا حرب فى أكتوبر ولا سلام.
٢٠- السيدة الأولى.
٢١- التاريخ أنياب وأظافر.
٢٢- الخالدون مائة - أعظمهم محمد (ﷺ).
٢٣- على رقاب العباد.
٢٤- ديانات أخرى.
٢٥- وكانت الصحة هى الثمن.
٢٦- الغرباء.
٢٧- الخبز والقبلات.

(جـ) قصص:

٢٨- عزيزى فلان.
٢٩- هى وغيرها.
٣٠- بقايا كل شيء.
٣١- يا من كنت حبيبى.
٣٢- قلوب صغيرة.

(د) مسرحيات مترجمة:

** للأديب السويسرى فريد ريش ديرنمات:

٣٣- رومولوس العظيم.
٣٤- زيارة السيدة العجوز.
٣٥- زواج السيد مسيسبى.
٣٦- الشهاب.
٣٧- هى وعشاقها.

** للأديب السويسرى ماكس فريش:

٣٨- أمير الأراضى البور.
٣٩- مشعلو النيران.

** للأديب الفرنسى جان جيرودو:

٤٠- من أجل سواد عينيها.

** للأديب الأمريكى آرثر ميللر:

٤١- بعد السقوط.

** للأديب الأمريكى تنسى وليامز:

٤٢- فوق الكهف.

** للأديب الأمريكى يوجين أونيل:

٤٣- الإمبراطور جونس.

** للأديب الفرنسى يوجين ليونسكو:

٤٤- تعب كلها الحياة.

** للأديب الفرنسى أداموف:

٤٥- الباب والشباك.

** للأديب الإسبانى أرابال:

٤٦- ملح على جرح.

(هـ) دراسات نفسية:

٤٧- الحنان أقوى.
٤٨- من أول نظرة.
٤٩- طريق العذاب.

٥٠- ألوان من الحب.
٥١- شباب.. شباب.
٥٢- مذكرات شاب غاضب.
٥٣- مذكرات شابة غاضبة.
٥٤- جسمك لا يكذب.
٥٥- الذين هاجروا.
٥٦- غرباء فى كل عصر.
٥٧- أظافرها الطويلة.
٥٨- هموم هذا الزمان.
٥٩- زمن الهموم الكبيرة.
٦٠- الحب الذى بيننا.
٦١- عذاب كل يوم.
٦٢- كيمياء الفضيحة.
٦٣- كل معانى الحب.

(و) دراسات علمية:

٦٤- الذين هبطوا من السماء.
٦٥- الذين عادوا إلى السماء.
٦٦- القوى الخفية.
٦٧- أرواح وأشباح.
٦٨- لعنة الفراعنة.
٦٩- دقات الصحة هى الثمن.

(ز) نقد أدبى:

٧٠- يسقط الحائط الرابع.
٧١- وداعًا أيها الملل.
٧٢- كرسى على الشمال.
٧٣- ساعات بلا عقارب.
٧٤- مع الآخرين.
٧٥- شىء من الفكر.
٧٦- لو كنت أيوب.
٧٧- يعيش.. يعيش.
٧٨- الوجودية.
٧٩- طريق العذاب.
٨٠- وحدى.. مع الآخرين.
٨١- ما لا تعلمون.
٨٢- لحظات مسروقة.
٨٣- كتاب عن كتب.
٨٤- أنتم الناس أيها الشعراء.
٨٥- أيها الموت.. لحظة من فضلك.
٨٦- أوراق على شجر.
٨٧- فى تلك السنة.
٨٨- دراسات فى الأدب الأمريكى.
٨٩- دراسات فى الأدب الألمانى.
٩٠- دراسات فى الأدب الإيطالى.
٩١- فلاسفة وجوديون.
٩٢- فلاسفة العدم.

(ح) رحلات:

٩٣- حول العالم فى ٢٠٠ يوم.
٩٤- بلاد الله خلق الله.
٩٥- غريب فى بلاد غريبة.
٩٦- اليمن ذلك المجهول.
٩٧- أنت فى اليابان وبلاد أخرى.
٩٨- أطيب تحياتى من موسكو.
٩٩- أعجب الرحلات فى التاريخ.
١٠٠- ماذا يريد الشباب؟
١٠١- الرصاص لا يقتل العصافير.
١٠٢- من أول السطر.

(ط) مسرحيات كوميدية:

١٠٣- مدرسة الحب.
١٠٤- حلمك يا شيخ علام.
١٠٥- مين قتل مين.
١٠٦- جمعية كل واشكر.
١٠٧- الأحياء المجاورة.
١٠٨- سلطان زمانه.
١٠٩- العبقرى.
١١٠- كلام لك يا جارة.
١١١- فوق الركبة.
١١٢- هذه الصغيرة (وقصص أخرى).
١١٣- يوم بيوم.
١١٤- إنها الأشياء الصغيرة.
١١٥- إلا فاطمة.
١١٦- القلب أبدًا يدق.

(ى) المسلسلات التليفزيونية:

١١٧- حقنة بينج.
١١٨- اتنين.. اتنين.

١١٩- عريس فاطمة.
١٢٠- من الذى لا يحب فاطمة؟
١٢١- غاضبون وغاضبات.
١٢٢- هى وغيرها.
١٢٣- هى وعشاقها.
١٢٤- العبقرى.
١٢٥- القلب أبدًا يدق.
١٢٦- يعود الماضى يعود.

(ك) كتب (مقالات):

١٢٧- ثم ضاع الطريق.
١٢٨- النجوم تولد وتموت.
١٢٩- هناك أمل.
١٣٠- أحب وأكره.
١٣١- الحيوانات ألطف كثيرًا.
١٣٢- مصباح لكل إنسان.
١٣٣- أتمنى لك.
١٣٤- لعل الموت ينسانا.
١٣٥- اقرأ أى شىء.
١٣٦- ولكنى أتأمل.
١٣٧- حتى تعرف نفسك.
١٣٨- الحب والفلوس والموت.. وأنا.
١٣٩- نحن كذلك !!
١٤٠- اللهم إنى سائح.
١٤١- كائنات فوق.
١٤٢- تعال نفكر معًا.
١٤٣- آه لو رأيت !
١٤٤- النار على الحدود: لعبة كل العصور.
١٤٥- انتهى زمن الفرص الضائعة !
١٤٦- هناك فرق.
١٤٧- الرئيس قال لى.. وقلت أيضًا - الجزء الأول والثانى.

(ل) الترجمات القصصية:

١٤٨- رواية (الجائزة) للكاتب الأمريكى أرفنج والاس.
١٤٩- (المثقفون) للأديبة الوجودية سيمون دبوفوار.
١٥٠- (لو كنت مكانى) للأديب السويسرى ماكس فريش.
١٥١- (قصص موارفيا) للأديب الإيطالى ألبرتو موراقيا.
١٥٢- (الجلد) للأديب الإيطالى كورتسيو ملبارته.
١٥٣- (الجيل الصاخب) للأديب الأمريكى جينز برج.

(م) الترجمات الفلسفية:

١٥٤- الفلسفة الوجودية الألمانية - لإميل تسلر.
١٥٥- الفلسفة الوجودية الفرنسية - لجان جاك رسو.
١٥٦- معنى العدم عند هيدجر وسارتر - لجانيت أردمان.
١٥٧- مسرح العبث الفرنسى - لاتيان ماريبو.
١٥٨- الفيلسوف الروسى برديائف - لفيكتور لورتسيف.
١٥٩- من كيركجور إلى مارسل - لأنطوان بابيف.
١٦٠- سيمون دبوفوار تلميذة رصينة - لفرنسواز روسلان.
١٦١ - رسائلها إليه - لفرنسواز روسلان.
١٦٢- فاشلون لكن نبلاء - لجان مارى روار.
١٦٣- ما الميتافيزيقا؟ - لمارتن هيدجر.
١٦٤- الوجودية فلسفة إنسانية - لجان بول سارتر.
١٦٥- فلسفة حنا أرنت - تلميذة للفيلسوف الألمانى مارتن هيدجر - لآدم برجشتاين.
١٦٦- كروتشه فيلسوف الحرية - لايرابيلا دلورنتس.

ن: 1723 تاريخ استلام: 1/6/2006



كيف لا أبكى ؟!

أغنية محمد عبد الوهاب تقول:

لا.. مش أنا اللى أبكى.. ومش أنا اللى أشكى..

بل أنا.. أبكى على ضياع بهجة الحياة وفقد

الصديق، وقوة العافية، وغياب الحبيب..

ولم يعرف الحياة من لم يعرف البكاء.. ولم يعرف

الراحة بعد ذلك من لم يعرف الدموع.. فالدموع هى الحزن وقد ذاب،

وهى الأسى وقد تحول إلى قطرات على الخد.. على الأرض التى منها

وإليها تعود: دمعة.. دمعة..

صدقنى، والله لم أعد أعرف من الذى يبكى على من.. عقلى على قلبى..

أو قلبى على عقلى.. أو عينى على الاثنين..

فقد نظرت حولى فوجدتنى شجرة فى صحراء مجهولة: الاسم والإثم

والرسم.. لمن أوراقها وزهورها وثمارها وطيورها؟ ثم مامعنى هذا

الوجود؟ مامعنى شجرة كأنها بلا أرض وكأنها بلا زهر ولا ثمر بلا بلابل؟

فكيف لا يبكى بعضى على بعضى ؟!

وبقدر ماضحكت بكيت، وأضحكت وأبكيت وتضاحكت وتباكيت. و[illegible]

السبب متأخرا جدا. إننى واحد من المحكوم عليهم بالأفكار الشاقة المؤبدة

مادمت كلمات وعلامات استفهام وتعجب.. ومادمت لا أجد إلا القليل

من الإجابات على دهشتى وحيرتى وضياعى.

ولست وحدى، وإنما أنت أيضا إذا أحببت كثيرا، وضاع منك الكثير، و[illegible]

عنك الكثير، ولم يعد لك إلا الأمل فى القليل. فأنت وأنا - شهيد [illegible]

وشاهد عليه..

أنيس منصور



21133 302524